الفصل
في
الملل والأهواء والنحل

تأليف

الإمام أبي محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم الظاهري

المتوفى سنة ٤٥٦هـ

الجزء الرابع

تحقيق

الدكتور محمد إبراهيم نصر
كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الدكتور عبد الرحمن عميرة
عميد كلية أصول الدين
جامعة الأزهر - فرع أسيوط



شركة مكتبات عكاظ
للنشر والتوزيع

جدة ت : ٦٥٣٣٤٤٨
الرياض ت : ٤٠٤٠٨١٤
الدمام ت : ٧١٤٣٤
المملكة العربية السعودية

الطبعة الاولى ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

نحمد الله تعالى حمد العارفين ، ونشكره شكر المؤمنين القانتين ، على نعمه الظاهرة والباطنة علينا وعلى عباده الذين اصطفى لحمل رسالته والدعوة لدينه ، وبيان كلمة الحق وإظهارها ، ونسأله العون والسداد والتوفيق والرشاد ، إنه نعم المولى ونعم النَّصير .

وبعد فيطيب لنا أن نقدم للأمة الإسلامية بعامة ، وطلاب المعرفة بخاصة الجزء الرابع من الموسوعة المعلِّمة – والتى تسمى « الفصل فى الملل والأهواء والنحل » للالمعى النابه ، صاحب الفكرة الصادقة واللمحة الواعية ، العالم الظاهرى أبى محمد المعروف بابن حزم . ولقد تناول فى هذا الجزء الذَّب عن أنبياء الله ورسله بالحجة الدامغة والقول السديد . وأفرد فصلًا خاصًا للرسول – ﷺ – خاتم الأنبياء والمرسلين .

تناول بعده حقيقة الملائكة – فنفى ما أشاعه الجهلاء وأصحاب الأهواء عن هويتهم ، وخلص فى النهاية إلى أنهم عباد الله المكرمون ، وجنوده المخلصون ، الذين لا يعصون ربهم ، ويفعلون ما يؤمرون . ثم عقد فصلًا مطولًا عن الوعد والوعيد ، وتحدث حديث العارف لدينه الفاهم لكلام ربه عن الشفاعة والميزان ، والحوض والصراط وعذاب القبر . وختم هذا الفصل بالكلام عن القيامة وبعث الأجساد وإثبات وجود الجنة والنار وأفحم الفلاسفة والكلاميين – الذين يتبعون أهواءهم – ويحكمون عقولهم القاصرة ويقولون ببعث الأرواح فقط .

وهذا الجزء – بحق – يعتبر إحدى روائع هذه الموسوعة التى تعد – كما قلنا سابقا – من أولى الكتب التى كتبها علماء المسلمين الأجلاء فى الديانة المقارنة – فكانت نبعًا ثريًا للعلماء والمفكرين المهتمين بدراسة مقارنة الأديان طوال القرون السابقة .

نسأل الله العلى القدير أن يوفقنا – فى تقديم الجزء الخامس والأخير لقراء العربية – فى الصورة التى نتوخاها له – إنه نعم المولى ونعم المعين – وعلى الله قصد السبيل .

المحققان

هل تعصى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

قال أبو محمد : اختلف الناس فى هل تعصى الأنبياء عليهم السلام أم لا .. ؟ فذهبت طائفة إلى أن رسل الله صلى الله عليهم وسلم يعصون الله عز وجل فى جميع الكبائر والصغائر عمدًا حاشا الكذب فى التبليغ فقط ، وهذا قول الكرامية(١) من المرجئة ، وقول ابن الطيب الباقلانى(٢) من الأشعرية(٣) ومن اتبعه ، وهو قول اليهود والنصارى ، وسمعت من يحكى عن بعض الكرامية أنهم يجوزون على الرسل عليهم السلام الكذب فى التبليغ أيضا . وأما هذا الباقلانى فإنا رأينا فى كتاب صاحبه أبى جعفر السمنانى(٤) قاضى الموصل أنه كان يقول : إن كل ذنب دق ، أو جل ، فإنه جائز على الرسل حاشا الكذب فى التبليغ فقط ، قال : وجائز عليهم أن يكفروا ، قال : وإذا نهى النبى عليه السلام عن شىء ثم فعله فليس ذلك دليلا على أن ذلك النهى قد نسخ ، لأنه قد يفعله عاصيًا لله عز وجل ، قال وليس لأصحابه أن ينكروا ذلك عليه وجوز أن يكون فى أمة محمد عليه السلام ، من هو أفضل من محمد ، عليه الصلاة والسلام مذ بعثه الله إلى أن مات .

قال أبو محمد : وهذا كله كفر مجرد ، وشرك محض ، وردة عن الإسلام . قاطعه للولاية ، مبيحة دم من دان بها وماله ، موجبة للبراءة منه فى الدنيا ، ويوم يقوم الأشهاد ، وذهبت طائفة إلى أن الرسل عليهم الصلاة والسلام لا يجوز عليهم كبيرة من الكبائر أصلا ، وجوزوا عليهم الصغائر

---

(١) زعيم هذه الفرقة : محمد بن كرام السجستانى ، كان مطرودًا من سجستان إلى غرجستان ودعا أتباعه إلى تجسيم معبودة ، وزعم أنه جسم له حد ونهاية ، وقد وصف بن كرام معبوده فى بعض كتبه بأنه جوهر كما زعمت النصارى أن الله تعالى جوهر وهم ثلاث فرق : حقائقية ، وطرائفية ، وإسحافية ، وفضائح الكرامية كثيرة جدًا نسأل الله السلامة .

(٢) هو القاضى أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر القاسم الباقلانى ت ٤٠٣ راجع ترجمته فى الجزء الثالث ص ٥٧٠ وتاريخ بغداد حـ ٥ ص ٣٧٩

(٣) الأشعرية : راجع الحديث عنهم فى الجزء الثالث ص ١٠١

(٤) أبو جعفر السمنانى : يسمى : محمد بن أحمد بن محمد السمنانى أبو جعفر قاضى حنفى ت ٤٤٤ راجع الجزء الثانى ص ٣١٤

بالعمد وهو قول ابن فورك الأشعرى(٥) وذهب جميع أهل الإسلام من أهل السنة والمعتزلة والنجارية(٦) والخوارج والشيعة إلى أنه لا يجوز ألبتة أن يقع من نبى أصلا معصية بعمد لا صغيرة ولا كبيرة ، وهو قول ابن مجاهد الأشعرى شيخ ابن فورك والباقلانى المذكورين .

قال أبو محمد : وهذا قولنا الذى ندين الله تعالى به ، ولا يحل لأحد أن يدين بسواه ، ونقول : إنه يقع من الأنبياء السهو عن غير قصد ويقع منهم أيضا قصد الشيء يريدون به وجه الله تعالى ، والتقرب به منه ، فيوافق خلاف مراد الله تعالى إلا أنه تعالى لا يقر(٧) على شيء من هذين الوجهين اصلا ، بل ينبهم على ذلك ولابُدَّ إثر وقوعه منهم ، ويظهر عز وجل ذلك لعباده ، ويبين لهم كما فعل نبيه ﷺ فى سلامه من اثنتين وقيامه من اثنتين وربما عاتبهم على ذلك بالكلام كما فعل نبيه عليه السلام فى أمر زينب(٨) أم المؤمنين وطلاق زيد(٩) لها رضى الله عنهما ، وفى قصة ابن أم مكتوم(١٠) رضى الله عنه ، وربما يبغض المكروه فى الدنيا كالذى أصاب آدم ، ويونس عليهما الصلاة والسلام ، والأنبياء(١١) عليهم الصلاة والسلام بخلافنا فى هذا فإننا غير مؤاخذين بما سهونا فيه ، ولا بما قصدنا به ، وجه الله عز وجل فلم يصادف مراده تعالى ، بل نحن مأجورون على هذا الوجه أجرا واحدًا .

وقد أخبر رسول الله ﷺ أن الله تعالى قرن بكل أحد شيطانًا ، وأن الله تعالى أعانه على شيطانه فأسلم ، فلا يأمره إلا بخير ، وأما الملائكة فبرآء من كل هذا ، لأنهم خلقوا من نور محض لا شوب فيه ، والنور خير كله لا كدر فيه ..

حدثنا عبد الله بن يوسف ، حدثنا أحمد بن فتح ، حدثنا عبد الوهاب بن عيسى حدثنا أحمد بن محمد بن أحمد بن على ، حدثنا مُسلِمْ بن الْحَجاج ، عن عَبْدُ بْنُ حُمَيْدِ ، عن

(٥) ابن فورك : يسمى محمد بن الحسن بن فورك الأنصارى ت ٤٠٦ راجع الجزء الثانى ص ٣٥٢

(٦) راجع كلمة عن النجارية فى الجزء الثالث ص ١٠١

(٧) فى (أ) : (لا يقرهم) .

(٨) هى زينب بنت جحش بن رباب بن يعمر ، وأمها أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم ، هاجرت إلى المدينة وتزوجها زيد بن ثابت ، ثم تزوجها رسول الله – ﷺ ، كانت أول نساء النبى – ﷺ لحوقًا بها راجع ترجمة وافية لها فى طبقات ابن سعد حـ ٨ ص ١٠١

(٩) هو زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبى أبو اسامة مولى رسول الله – ﷺ – وكان يقال له : حب رسول الله – ﷺ – قتل بموته من أرض الشام سنة ثمان من الهجرة – وكان الأمير على تلك الغزوة – راجع ترجمته فى الاستيعاب فى معرفة الأصحاب حـ ٢ ص ٥٤٥

(١٠) ابن أم مكتوم هو عمر بن قيس بن زائدة بن الأصم ، والأصم هو جندب بن هرم ، وأما أم مكتوم ، فاسمها عاتكه بنت عبد الله ابن عامر بن مخزوم ، قدم المدينة مهاجرًا مع مصعب بن عمير قبل هجرة الرسول – ﷺ ، قتل شهيدًا بالقادسية – رضى الله عنه – الاستيعاب فى معرفة الأصحاب حـ ٣ ص ١١٩٨

(١١) فى (خ) : سقط « والأنبياء عليهم الصلاة والسلام » .

عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، عن مَعْمَرُ ، عن الزُّهرِيِّ ، عن عُرْوَةَ ، عن عَائِشَةَ ، قالت : قال رسول الله ﷺ : خُلِقَتِ الملائكةُ من نُورٍ وَخُلقَ الجانُّ مِنْ مَارِجٍ من نَارٍ ، وَخُلِقَ آدَمُ ممَّا وصُفَ لَكم[١٢].

قال أبو محمد : واحتجت الطائفة الأولى بآيات من القرآن ، وأخبار وردت ، ونحن إن شاء الله عز وجل نذكرها ، ونبين غلطهم فيها ، بالبراهين الواضحة الضرورية ، وبالله تعالى التوفيق .

---

(١٢) الحديث رواه الإمام مسلم فى الزهد ٦٠ واحمد بن حنبل فى المسند حـ ٦ ص ١٥٣

الكلام فى آدم عليه السلام

قال أبو محمد : فمما احتجوا به قول الله عز وجل : « وَعَصى آدَمُ رَبَه فَغَوى[1]» .

وقوله تعالى : « وَلَا تَقْرَبَا هَذِه الْشَجَرة فتكونَا مِنَ الْظَالِمين[2]» . قالوا فقر بها آدم فكان من الظالمين[3].

وقد عصى وغوى .

وقال تعالى « فَتَابَ عَلَيْه »

والمتاب لا يكون إلا من ذنب .

وقال تعالى : « فأزلهما الشيطان[4]» . واستزلال[5] الشيطان معصية ، وذكروا قول الله تعالى : فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما[6].

هذا كل ما ذكروا فى آدم عليه السلام .

قال أبو محمد : وهذا كله بخلاف ما ظنوا .

أما قوله تعالى : « وعصى آدم ربه فغوى » . فقد علمنا أن كل خلاف لأمر آمر فصورته صورة المعصية ، فيسمى معصية لذلك وغواية ، إلا أنه منه ما يكون عن عمد ، وذكر ، فهذه

---

(١) سورة طه آية رقم ١٢١
(٢) سورة البقرة آية رقم ٣٥
(٣) هذه العبارة سقطت من (أ) .
(٤) سورة البقرة آية رقم ٣٥
(٥) ف (أ) : وازلال .
(٦) سورة الأعراف آية رقم ١٩٠

معصية على الحقيقة ، لأن فاعلها قاصد إلى المعصية ، وهو يدرى أنها معصية ، وهذا هو الذى نزهنا عنه الأنبياء عليهم السلام ، ومنه ما يكون عن قصد إلى خلاف ما أمر به وهو يتأول فى ذلك الخير ، ولا يدرى أن عاص بذلك بل يظن أنه مطيع لله تعالى أو أن ذلك مباح له لأنه يتأول أن الأمر الوارد عنه[٧] ليس على معنى الايجاب ولا على التحريم لكن إما على الندب إن كان بلفظ الأمر ، أو الكراهية إن كان بلفظ النهى ، وهذا شىء يقع فيه العلماء ، والفقهاء ، والأفاضل كثيرًا ، وهذا هو الذى قد[٨] يقع من الأنبياء عليهم السلام ويؤاخذون به إذا وقع منهم ، وعلى هذه السبيل أكل آدم من الشجرة ، ومعنى قوله تعالى : « فتكون من الظالمين[٩] » . أى ظالمين لأنفسكما ، والظلم فى اللغة : وضع الشىء فى غير موضعه فمن وضع الأمر ، أو النهى ، فى موضع الندب ، أو الكراهة ، فقد وضع الشىء فى غير موضعه ، وهذا الظلم من هذا النوع من الظلم الذى يقع بغير قصد ، وليس معصية ، لا الظلم الذى هو القصد إلى المعصية ، وهو يدرى أنها معصية ، وبرهان هذا ما قد نصه الله تعالى من أن آدم عليه السلام لم يأكل من الشجرة ، إلا بعد أن أقسم له إبليس أن نهى الله عز وجل لهما عن أكل الشجرة ليس على التحريم ، وأنهما لا يستحقان بذلك عقوبة أصلًا ، بل يستحقان بذلك الجزاء الحسن ، وفوز الأبد ، قال تعالى حاكيا عن إبليس أنه .

قال لهما : ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ، وقاسمهما إنى لكما لمن الناصحين ، فدلاهما بغرور[١٠] » .

وقال عز وجل : ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما[١١] » .

قال أبو محمد : فلما نسى آدم عليه السلام عهد الله إليه فى أن أبليس عدو له أحسن الظن بيمينه .

قال أبو محمد : ولا بسلامة ، ولا براءة من القصد إلى المعصية ولا أبعد من الجراءة على الذنوب أعظم من حال من ظن أن أحدًا لا يحلف حانثًا ، وهكذا فعل آدم عليه السلام فإنه إنما أكل من الشجرة التى نهاه الله عنها ناسيا ، بنص القرآن ، ومتأولا وقاصدًا إلى الخير ، لأنه قدر أنه يزداد حظوة عند الله تعالى فيكون ملكًا مقربًا ، أو خالدًا فيما هو فيه أبدًا ، فأداه ذلك إلى خلاف ما أمره الله عز وجل به ، وكان الواجب أن يحمل أمر ربه عز وجل على ظاهره لكن تأول

---

(٧) فى (أ) : عليه .
(٨) سقطت من (أ) (قد) .
(٩) سورة البقرة آية رقم ٣٥
(١٠) سورة الأعراف آية رقم ٢١
(١١) سورة طه آية رقم ١١٥

وأراد الخير فلم يصبه ، ولو فعل هذا عالم من علماء المسلمين لكان مأجورًا ، ولكن آدم عليه السلام لما فعله وأوخِذ به[١٢] باخراجه عن الجنة ، إلى نكر[١٣] الدنيا ، كان بذلك ظالما لنفسه

وقد سمى الله قاتل الخطأ قاتلًا ، كما سمى العامد ، والمخطىء لم يتعمد معصية ، وجعل فى الخطأ فى ذلك كفارة عتق رقبة ، أو صيام شهرين متتابعين ، لمن عجز عن الرقبة ، وهو لم يتعمد ذنبًا . وأما قوله عز وجل : لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما[١٤].

فهذا تكفير لآدم عليه السلام ومن نسب لآدم عليه السلام الشرك والكفر – كفرٌ مجردٌ بلا خلاف من أحد من الأمة ونحن ننكر على من كفرَّ المسلمين العصاة العشارين القتالين ، والشُرَط الفاسقين ، فكيف من كفرَّ الأنبياء عليهم السلام .. ؟ وهذا الذى نسبوه إلى آدم عليه السلام من أنه سمى إبنه عبد الحارث خرافة موضوعة ، مكذوبة ، من توليد من[١٥] لا دين له ، ولا حياء ، لم يصح سندها قط ، وإنما نزلت فى المشركين على ظاهرها ، وحتى لو صح أن الآية نزلت[١٦] فى آدم ، وهذا لا يصح أصلًا لما كانت فيه للمخالف حجة ، لأنه كان يكون الشرك أو الشركاء المذكورون فى الآية حينئذ على غير الشرك الذى هو الكفر ، لكن بمعنى أنهما جعلا مع توكلهما شركة من حفظه ومعناه كما قال يعقوب عليه السلام : « يَا بَنِى لَا تَدخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وادْخلُوا مِنْ أَبْوابٍ مُتَفَرِقة وَمَا أُغْنِى عَنْكُمْ مِنَ الله مِنْ شَىءٍ إِنِ الحُكْمُ إِلَّا لله عَلَيه تَوَكَّلْتُ وَعَليه فَلْيتوكِلِ المُتوكِلوُن وَلَما دَخلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِنَ الله مِنْ شَىْءٍ إِلَا حَاجَةً فى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضاهَا وَإنَّه لُذَوُ عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلِكنَّ أَكْثَر النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ[١٧]» .

فأخبرنا عز وجل أن يعقوب عليه السلام أمرهم أن يدخلوا من أبواب متفرقة أشفاقا عليهم إما من إصابة العين ، وإما من تعرض عدو مستريب بإجماعهم ، أو ببعض ما يخوفه عليهم ، وهو عليه السلام معترف أن فعله ذلك وأمره إياهم ، بما أمرهم به من ذلك لا يغنى عنهم من الله شيئا يريده عز وجل بهم ولكن لما كانت طبيعة البشر جارية فى يعقوب عليه السلام ، وفى سائر الأنبياء عليهم السلام ، كما قال تعالى حاكيا عن الرسل أنهم قالوا : « إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ[١٨]»

---

(١٢) فى (أ) : ووجد به .
(١٣) فى (أ) : إلى نكد : بالدال .
(١٤) سورة الأعراف آية رقم ٨٩ ، ٩٠
(١٥) فى (أ) : من تأليف .
(١٦) فى (أ) : أنها .
(١٧) سورة يوسف آية رقم ٦٧ ، ٦٨
(١٨) سورة إبراهيم آية رقم ١١

حملهم ذلك على بعض النظر المخفف لجارحه(١٩) النفس ، ونزاعها ، وتوقها إلى سلامة من تحب ، وإن كان ذلك لا يغنى شيئا كما كان عليه السلام يحب الفأل الحسن ، فكان يكون على هذا معنى الشرك والشركاء أن يكون عوذة ، أو تميمة ، أو نحو هذا فكيف ولم تنزل الآية قط إلا فى الكفار ، لا فى آدم عليه السلام .؟؟؟

(١٩) فى (أ) : لحاجة النفس .

الكلام فى نوح عليه السلام

قال أبو محمد : ذكروا قول الله عز وجل لنوح عليه السلام .. فلا تسألنى ما ليس لَكَ بِهِ عِلْمٌ إنى أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلين[1].

قال أبو محمد : وهذا لا حجة لهم فيه لأن نوحًا عليه السلام تأول وَعْدَ الله تعالى أن يخلصه وأهله فظن أن ابنه من أهله على ظاهر القرابة ، وهذا لو فعله أحد لكان مأجورًا ولم يسأل نوح عليه السلام تخليص من أيقن أنه ليس من أهله فتفرع على ذلك ، ونهى عن أن يكون من الجاهلين ، فتندم عليه السلام من ذلك ونزع ، وليس هاهنا عمد للمعصية ألبتة .

وبالله تعالى التوفيق .

---

(١) سورة هود آية ٤٦

الكلام فى إبراهيم عليه السلام

قال أبو محمد : ذكروا ما روى عن رسول الله ﷺ من أن إبراهيم عليه السلام كذب ثلاث كذبات ، وأنه قال إذ نظر فى النجوم « إنى سَقِيم[1] » .

وبقوله فى الكواكب والشمس والقمر « هَذَا رَبِى[2] » .

وبقوله فى سارة : « هذه أختى » .

وبقوله فى الأصنام إذ كسرها « بَلْ فَعَلَه كَبِيرُهُم هَذَا[3] » وبطلبه إذ طلب رؤية إحياء الموتى قال : أو لم تؤمن قال : بلى . ولكن ليطمئن قلبى[4] » .

قال أبو محمد : وهذا كله ليس على ما ظنوه بل هو حجة لنا والحمد لله رب العالمين .

أما الحديث : أنه عليه السلام كذب ثلاث كذبات ، فليس كل كذب يكون[5] معصية ، بل منه ما يكون طاعة لله عز وجل ، وفرضًا ، واجبًا يعصى من تركه ، صح أن رسول الله ﷺ قال : ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس فينمى خيرًا[6] » .

فقد أباح عليه السلام كذب الرجل لامرأته فيما يستجلب به مودتها ، وكذلك الكذب فى الحرب ، فقد أجمع أهل الإسلام على أن إنسانًا لو سمع مظلوما قد ظلمه سلطان وطلبه ليقتله بغير حق ويأخذ ماله غصبًا فاستتر عنده وسمعه يدعو على من ظلمه قاصدًا بذلك السلطان فسأل

---

(١) سورة الصفات آية رقم ٨٩

(٢) سورة الأنعام آية رقم ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨

(٣) سورة الأنبياء آية رقم ٦٣

(٤) سورة البقرة آية رقم ٢٦٠

(٥) سقط من (أ) كلمة : يكون .

(٦) الحديث رواه البخارى فى الصلح ٢ ومسلم فى البر ١٠١ ، واحمد بن حنبل حـ ٦ ص ٤٠٣ ، ٤٠٤ ولفظه عند مسلم : ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس ، ويقول خيرًا وينمى خيرًا .

السلطان ذلك السامع عما سمعه منه وعن موضعه فإنه إن كتم ما سمع وأنكر أن يكون سمعه ، أو أنه يعرف موضعه أو موضع ماله ، فإنه محسن مأجور مطيع لله عز وجل ، وأنه إن صدقه فأخبره بما سمعه منه وبموضعه وموضع ماله كان فاسقًا عاصيًا لله عز وجل ، فاعل كبيرة مذمومًا نمامًا .

وقد أبيح الكذب فى إظهار الكفر فى التقية ، وكل ما روى عن إبراهيم عليه السلام فى تلك الكذبات فهو داخل فى الصفة المحمودة ، لا فى الكذب الذى نهى عنه ، وأما قوله عن سارة هى أختى فصدق هى أخته من وجهين .

قال الله تعالى : « إنما المؤمنون اخوة[٧] » .

وقال عليه السلام : « لا يَخْطُبُ أَحَدُكُمْ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيه[٨] » .

والوجه الثانى : القرابة وأنها من قومه ومن مستجيبيه قال عز وجل « وإلى مدين أخاهم شعيبا[٩] » .

فمن عد هذا كذبًا مذموما من إبراهيم عليه السلام فليعده كذلك من[١٠] ربه عز وجل وهذا كفر مجرد فصح أنه عليه السلام صادق فى قوله فى سارة إنها أختى[١١]. وأما قوله « فنظر نظرة فى النجوم فقال إنى سقيم[١٢] » .

فليس هذا كذبا ولسنا ننكر أن تكون النجوم دلائل على الصحة والمرض وبعض ما يحدث فى العالم كدلالة البرق على تغول البحر ، وكدلالة الرعد على تولد الكمأة ، وكتولد المد والجزر على طلوع القمر وغروبه ، وانحداره[١٣] وارتفاعه ، وامتلائه ونقصه ، وإنما المنكر قول من قال : إن الكواكب هى الفاعلة المدبرة لذلك ، دون الله تعالى ، أو مشتركة معه ، فهذا كفر من قائله وأما قوله عليه السلام : « بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُم هَذَا[١٤] » .

فإنما هو تقريع لهم ، وتوبيخ ، كما قال تعالى : « ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الكَرِيمُ[١٥] » وهو فى

---

(٧) سورة الحجرات آية رقم ١٠

(٨) الحديث رواه البخارى فى النكاح ٤٥ ورواه مسلم فى البيوع ٨ والنكاح ٣٨ ، ٤٩ ، ٥٣ وأبو داود فى النكاح ١٧ ، والترمذى فى النكاح ٣٨ ، والنسائى فى البيوع ١٩

(٩) سورة الأعراف آية رقم ٨٥

(١٠) فى (أ) : كذبًا .

(١١) فى (أ) : أخته .

(١٢) سورة الصفات آية ٨٩

(١٣) فى (أ) : واعذاره وهو تحريف .

(١٤) سورة الأنبياء آية رقم ٦٣

(١٥) سورة الدخان آية ٤٩

الحقيقة مهان ذليل ، مهين معذب فى النار ، فكلا القولين توبيخ لمن قيلا له على ظنهم أن الأصنام تفعل الخير والشر ، وعلى ظن المعذب فى نفسه فى الدنيا أنه عزيز كريم .

ولم يقل إبراهيم عليه السلام هذا على أنه محقق لأن كبيرهم فعله ، إذ الكذب إنما هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه قصدًا إلى تحقيق ذلك . وأما قوله عليه السلام إذ رأى الكوكب والشمس والقمر : هذا ربى .

فقال قوم إن إبراهيم عليه السلام قال ذلك محققًا أول خروجه من الغار وهذا خرافة ، موضوعة ، مكذوبة ، ظاهرة الافتعال ، ومن المحال الممتنع أن يبلغ أحد حد التمييز والكلام بمثل هذا ، وهو لم ير قط شمسًا ولا قمرًا ولا كوكبًا ، وقد أكذب الله عز وجل هذا الظن الكاذب بقوله الصادق « وَلَقَدْ آتينا إبراهيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّابِه عَالمينَ[١٧] » .

فمحال أن يكون من أتاه الله رشده من قبل يدخل فى عقله أن الكوكب ربه ، أو أن الشمس ربه ، من أجل أنها أكبر قرصًا من القمر ، هذا ما لا يظنه إلا مخبول[١٨] العقل والصحيح من ذلك أنه عليه السلام إنما قال ذلك موبخًا لقومه كما قال لهم نحو ذلك فى الكبير من الأصنام ، ولا فرق لأنهم كانوا على دين الصابئين ، يعبدون الكواكب ، ويصورون الأصنام على صورها ، وأسمائها ، فى هياكلهم ، ويعدون لها الأعياد ، ويذبحون لها الذبائح ، ويقربون لها القرب ، والقرابين ، والدخن ، ويقولون : إنها تعقل وتدبر ، وتضر ، وتنفع ، ويقيمون لكل كوكب منها شريعة محدودة ، فوبخهم الخليل عليه السلام على ذلك ، وسخر منهم وجعل يريهم تعظيم الشمس لكبر جرمها ، كما قال تعالى : فاليوم الذين آمَنُوا مِنَ الكُفَّارَ يضْحَكُون[١٩] » فأرهم ضعف عقولهم فى تعظيمهم لهذه الأجرام المسخرة الجمادية وبين لهم أنهم مخطئون ، وأنها مدبرة تنتقل فى الأماكن ، ومعاذ الله أن يكون الخليل عليه السلام أشرك قط بربه ، أوشك فى أن الفلك بكل ما فيه مخلوق ، وبرهان قولنا هذا أن الله تعالى لم يعاتبه على شيء مما ذكر[٢٠]، ولا عنفه على ذلك ، بل صدقه تعالى بقوله : « وَتِلكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إبراهيَم عَلى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ[٢١] » .

فصح أن هذا بخلاف ما وقع لآدم وغيره بل وافق مراد الله عز وجل بما قال من ذلك وبما فعل .

---

(١٦) سقطت من (أ) كلمة : الكوكب .
(١٧) سورة الأنبياء آية رقم ٥١
(١٨) فى (أ) : مجنون .
(١٩) سورة المطففين آية رقم ٣٤
(٢٠) فى (أ) : مما ذكروا .
(٢١) سورة الأنعام آية رقم ٨٣

وأما قوله عليه السلام : « رب أرنى كَيْفَ تحيى الْموتَى ، قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلى وَلكِنْ ليطمئن قَلْبِى[٢٢] » .

فلن يقرره ربنا عز وجل وهو يشك فى إيمان إبراهيم عبده وخليله ورسوله عليه السلام تعالى الله عن ذلك .

ولكن تقريرًا للإيمان فى قلبه ، وإن لم ير كيفية إحياء الموتى ، فأخبر عليه السلام عن نفسه أنه مؤمن مصدق وإنما أراد أن يرى الكيفية فقط ويعتبر بذلك ، وما شك إبراهيم عليه السلام فى أن الله تعالى يحيى الموتى ، وإنما أراد أن يرى الهيئة ، كما أننا لا نشك فى صحة وجود الفيل ، والتمساح ، والكسوف ، وزيادة النهر ، والخليفة ، ثم يرغب من لم ير ذلك منا فى أن يرى كل ذلك ، ولا يشك فى أنه حق لكن ليرى العجب الذى يتمثله فى نفسه[٢٣] ولم تقع عليه حاسة بصره فقط ، وأما ما روى عن النبى ﷺ من قوله : « نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ[٢٤] » .

فمن ظن أن النبى ﷺ شك قط فى قدرة ربه عز وجل على إحياء الموتى فقد كفر ، وهذا الحديث حجة لنا ، ونفى[٢٥] للشك عن إبراهيم – أى لو كان هذا[٢٦] الكلام من إبراهيم عليه السلام شكًا لكان من لم يشاهد من القدرة ما شاهد إبراهيم عليه السلام أحق بالشك ، فإذا كان من لم يشاهد من القدرة ما شاهد إبراهيم غير شاك ، فإبراهيم عليه السلام أبعد من الشك .

قال أبو محمد : ومن نسب هاهنا إلى الخليل عليه السلام الشك فقد نسب إليه الكفر ، ومن كفَّر نبيا فقد كفر ، وأيضا فإن كان ذلك شكًا من إبراهيم عليه السلام وكنا نحن أحق بالشك منه فنحن إذًا شكاك جاحدون كفار ، وهذا كلام نعلم والحمد لله بطلانه من أنفسنا ، بل نحن ولله الحمد مؤمنون مصدقون بالله تعالى ، وقدرته على كل شيء ، يسأل عنه السائل ، وذكروا قول إبراهيم عليه السلام لأبيه ، واستغفاره له وهذا لا حجة لهم فيه لأنه لم يكن نهى عن ذلك ..

قال تعالى « فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه[٢٧] » . فأثنى الله تعالى عليه بذلك ، فصح أن استغفار إبراهيم لأبيه إنما كان مدة حياته راجيًا إيمانه فلما مات كافرًا تبرأ منه ولم يستغفر له بعدها .

تم الكلام فى إبراهيم عليه السلام .

---

(٢٢) سورة البقرة آية رقم ٢٦٠
(٢٣) سقطت من (أ) فى نفسه .
(٢٤) الحديث رواه البخارى فى الأنبياء ١١ وتفسير سورة ٢ ، ورواه مسلم فى الإيمان ٣٣٨ والفضائل ١٥٢ ورواه ابن ماجه فى الفتن ٢٣ وأحمد بن حنبل حـ ٣ ص ٢٤٦ ولفظه عند ابن ماجه « نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال : رب أرنى كيف تحيى الموت ... الخ » .
(٢٥) فى (أ) : على نفى الشك .
(٢٦) فى (أ) : سقطت كلمة : هذا .
(٢٧) سورة التوبة آية رقم ١١٤

الكلام فى لوط عليه السلام

قال أبو محمد : وذكروا[1] قول الله تعالى فى لوط عليه السلام أنه قال : « لو أن لى بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد[2]» فقال رسول الله ﷺ : « وَيَرْحَمُ اللهُ لُوطًا لَقَدْ كَانَ يَأْوِى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ[3]» .

فظنوا أن هذا القول منه عليه السلام انكار على لوط عليه السلام وذكروا قول لوط[4] أيضا ... هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ[5]»

قال أبو محمد : وهذا لا حجة لهم فيه ، أما قوله عليه السلام لو أن لى بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد » .

فليس مخالفا لقول رسول الله ﷺ « يَرْحَمُ اللهُ لَوُطًا لَقَدْ كَانَ يَأْوِى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ » .

بل كلا القولين منهما عليهما السلام حق متفق عليه لأن لوطا عليه السلام إنما أراد منعة عاجلة يمنع بها قومه مما هم عليه من الفواحش من قرابة ، أو[6] عشيرة ، أو أتباع مؤمنين .

وما جهل قط لوط عليه السلام أنه يأوى من ربه تعالى إلى أمنع قوة ، وأشد ركن ،

---

(١) فى (خ) : بدون الواو .

(٢) سورة هود آية رقم ٨٠

(٣) الحديث رواه البخارى فى الأنبياء ١١ وتفسير سورة ٢ ، ورواه مسلم فى الإيمان ٣٣٨ ، ولفظه عند ابن ماجه : ويرحم الله لوطًا لقد كان يأوى إلى ركن شديد .

(٤) سقط من (أ) وذكروا قول لوط أيضا .

(٥) سورة هود آية ٧٨

(٦) فى (خ) : وعشيرة .

فلا جناح على لوط عليه السلام فى طلب قوة من الناس فقد قال تعالى : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض[٧] » فهذا هو[٨] الذى طلب لوط عليه السلام .

وقد طلب رسول الله ﷺ من الأنصار والمهاجرين منعة حتى يبلغ كلام ربه تعالى ، فكيف ينكر على لوط أمرًا هو فعله عليه السلام ؟ تالله ما أنكر ذلك رسول الله ﷺ .

وإنما أخبر عليه السلام : أن لوطا كان يأوى إلى ركن شديد ، يعنى من نصر الله له بالملائكة ، ولم يكن لوط عليه السلام علم بذلك .

ومن ظن[٩] أن لوطا عليه السلام اعتقد أنه ليس له من الله ركن شديد فقد كفر ؛ إذ نسب إلى نبى من الأنبياء هذا الكفر ، وهذا أيضا ظن سخيف ، إذ من الممتنع أن يظن برب أراه المعجزات وهو دائبا يدعو إليه هذا الظن .

وأما قوله عليه السلام : « هؤلاء بناتى هن » .

فإنما أراد التزويج ، والوطء ، فى المكان المباح ، فصح ما قلنا إذ من المحال أن يدعوهم إلى منكر ، وهو ينهاهم عن المنكر . انقضى الكلام فى لوط عليه السلام .

---

(٧) سورة البقرة آية رقم ٢٥١
(٨) سقط من (أ) كلمة : هو .
(٩) فى (أ) : اعتقد .
(١٠) فى (أ) : كان يعتقد .

الكلام فى إخوة يوسف عليه السلام

قال أبو محمد : واحتجوا بفعل إخوة يوسف وبيعهم أخاهم ، وكذبهم لأبيهم ، وهذا لا حجة لهم فيه ، لأن أخوة يوسف عليه السلام لم يكونوا أنبياء ، ولا جاء قط فى أنهم أنبياء نص ، لا من قرآن ، ولا من سنة صحيحة ، ولا من إجماع ولا من قول أحد من الصحابة ، رضى الله عنهم .

.وأما يوسف عليه السلام فرسول الله بنص القرآن . قال عز وجل : « وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فى شَكٍ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ .

إلى قوله .. مِنْ بَعْدِه رَسُولًا[1].

وأما إخوته فأفعالهم تشهد أنهم لم يكونوا متورعين عن العظائم ، فكيف أن يكونوا أنبياء ؟ ولكن الرسولين أباهم ، وأخاهم ، قد استغفرا لهم وأسقطا التثريب عنهم ، وبرهان ما ذكرنا من كذب من يزعم أنهم كانوا أنبياء ، قول الله تعالى حاكيا عن الرسول أخيهم عليه السلام أنه قال لهم .. « أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا[2]» .

ولا يجوز ألبتة أن يقوله لنبى من الأنبياء ، نعم . ولا لقوم صالحين ، إذ توقير الأنبياء فرض على جميع الناس ، ولأن الصالحين ليسوا شرًا مكانا ، وقد عق ابن نوح أباه بأكثر مما عق به أخوة يوسف أباهم ، إلا أن إخوة يوسف لم يكفروا ، ولا يحل لمسلم أن يدخل فى الأنبياء من لم يأت نص ، ولا إجماع ، أو نقل كافة بصحة نبوته ، ولا فرق بين التصديق بنبوة من ليس نبيا ، وبين التكذيب بنبوة من صحت نبوته منهم . فإن ذكروا فى ذلك ما روى عن بعض الصحابة رضى الله

---

(١) سورة غافر آية رقم ٣٤

(٢) سورة يوسف آية رقم ٧٧

عنهم وهو زيد ابن ارقم[٣] إنما مات إبراهيم بن رسول الله ﷺ لأنه لا نبى بعد رسول الله محمد[٤] ﷺ ، وأولاد الأنبياء أنبياء ، فهذه غفلة شديدة ، وزلة عالم من وجوه .

أولها : أنه دعوى لا دليل على صحتها ، وثانيها : أنه لو كان ما ذكر لأمكن أن ينبأ إبراهيم فى المهد ، كما نبىء عيسى عليه السلام ، وكما أوتى يحيى الحكم صبيا ، فعلى هذا القول لعل إبراهيم كان نبيا وقد عاش عامين غير شهرين وحاشا لله من هذا .

وثالثها : أن ولد نوح عليه السلام كان كافرًا بنص القرآن . عمل عملا غير صالح فلو كان أولاد الأنبياء أنبياء لكان هذا الكافر المسخوط عليه[٥] نبيا – وحاشا لله من هذا .

ورابعها : أنه[٦] لو كان ذلك[٧] لوجب ولابد أن يكون اليهود كلهم أنبياء إلى اليوم بل جميع أهل الأرض أنبياء لأن الكل من ولد آدم ، وآدم نبى فإذا وجب أن يكون أولاد آدم[٨] لصلبه أنبياء لأن أباهم نبى فأولاد أولاده أنبياء أيضا ، لأن آباهم أنبياء ، وهم أولاد أنبياء ، وهكذا أبدًا حتى يبلغ الأمر إلينا .

وفى هذا من الكفر لمن قامت عليه الحجة وثبت عليه ما لا خفاء به ، وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : ولعل من جهل مرتين يقول عنا هذا ينكر نبوة أخوة يوسف ، ويثبت نبوة بنى المجوس ، ونبوة أم موسى ، وأم عيسى وأم إسحق ، عليهم السلام ، فنحن نقول : وبالله تعالى التوفيق وبه نعتصم – لسنا نقر بنبوة من لم يخبر الله عز وجل بنبوته ، ولم ينص رسول الله ﷺ على نبوته ، ولا نقلت الكواف عن أمثالها نقلا متصلا منه إلينا معجزات النبوة عنه ممن كان قبل مبعث النبى ﷺ ، بل ندفع نبوة من قام البرهان على بطلان نبوته ، لأن تصديق نبوة من هذه صفته افتراء على الله تعالى ، لا يقدم عليه مسلم ، ولا ندفع نبوة من جاء القرآن بأن الله تعالى نبأه .

فأما أم موسى ، وأم عيسى ، وأم إسحق ، فالقرآن قد جاء بمخاطبة الملائكة لبعضهن بالوحى ، وإلى بعض منهن عن الله عز وجل بالإنباء ، بما يكون قبل أن يكون ، وهذه النبوة نفسها التى لا نبوة غيرها فصحت نبوتهن بنص القرآن .

وأما بنى المجوس فقد صح أنهم أهل كتاب بأخذ رسول الله ﷺ الجزية منهم ، ولم يبح الله

---

(٣) هو زيد بن أرقم بن زيد بن قيس بن ثعلبه الأنصارى ، غزا مع رسول الله – ﷺ – سبع عشرة غزوة ، وشهد صفين مع على ، ومات بالكوفة له فى كتب الحديث ٧٠ حديثا تهذيب التهذيب حـ ٣ ص ٣٩٤

(٤) فى (أ) : رسول الله .

(٥) سقطت من (خ) عليه .

(٦) سقطت من (أ) أنه .

(٧) فى (أ) : هذا .

(٨) ما بين القوسين سقط من (أ) .

تعالى له أخذ الجزية الا من أهل الكتاب فقط . فمن نسب إلى محمد ﷺ أنه أخذ الجزية من غير أهل الكتاب فقد نسب إليه أنه خالف ربه تعالى ، وأقدم على عظيمة تقشعر منها جلود المؤمنين فإذ نحن على يقين من أنهم أهل كتاب ، فلا سبيل ألبتة إلى نزول كتاب من عند الله تعالى على غير نبى مرسل بتبليغ ذلك الكتاب ، فقد صح بالبرهان الضرورى أنهم قد كان لهم نبى مرسل يقينا بلا شك . ومع هذا فقد نقلت عنه كواف عظيمة معجزات الأنبياء عليهم السلام وكل ما نقلته كافة على شرط عدم التواطىء ، فواجب قبوله . ولا فرق بين ما نقلته كافة كافرة أو مؤمنة[٩]، أو كواف المسلمين فيما شاهدته حواسهم ، ومن قال لا أصدق إلا ما نقلته كواف المسملين فإنا نسأله بأى شىء صح عنده موت ملوك الروم ولم يحضرهم مسلم أصلا ، وإنما نقلته إلينا يهود عن نصارى ؟ ومثل هذا كثير . فإن كذّب هذا غالط نفسه ، وعقله ، وكابر حسه ، وأيضا فإن المسلمين إنما علمنا أنهم محقون لتحقيق نقل الكافة لصحة ما[١٠] بأيديهم فبنقل الكافة علمنا هدى المسلمين ، ولا نعلم بالإسلام صحة نقل الكافة بل هو معلوم بالبينة وضرورة العقل ، وقد أخبر تعالى أن للأولين زبرًا وقال تعالى : ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك[١١].

وفى هذا كفاية وبالله تعالى التوفيق .

---

(٩) فى (أ) : كواف الكافرين أو كواف المسلمين .
(١٠) سقط من (خ) لصيحة ما .
(١١) سورة النساء آية رقم ١٦٤ .

الكلام فى يوسف عليه السلام

وذكروا أيضا أخذ يوسف عليه السلام أخاه وايحاشه أباه عليه السلام منه[1] وأنه أقام مدة يقدر فيها على أن يعرِّف أباه خبره ، وهو يعلم ما يقاسى به من الوجد عليه ، فلم يفعل وليس بينه وبينه إلا عشر ليال ، وبادخاله صواع الملك فى وعاء أخيه ، ولم يعلم بذلك سائر إخوته ، ثم أمر من هتف « أيتها العير إنكم لسارقون[2]» .

وهم لم يسرقوا شيئًا .

وبقول الله تعالى : « وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بَها لَوْلَا أَنْ رآى بُرهْاَن رَبه[3]» وبخدمته لفرعون ، وبقوله للذى كان معه فى السجن : « اذكرنى عند ربك[4]».

قال أبو محمد : وكل هذا لا حجة لهم فى شيء منه ونحن نبين ذلك بحول الله تعالى وقوته فنقول وبالله تعالى نتأيد .

أما أخذه أخاه وايحاشه أباه منه فلا شك فى أن ذلك ليرفق بأخيه ، وليعود اخوته إليه ، ولعلهم لو مضوا بأخيه لم يعودوا إليه ، وهم فى مملكة أخرى ، وحيث لا طاعة ليوسف عليه السلام ، ولا لملك مصر هنالك ، وليكون ذلك سببا لاجتماعه وجمع شمل جميعهم ، ولا سبيل إلى أن يظن برسول الله ﷺ الذى أوتى العلم ، والمعرفة بالتأويل ، إلا أحسن الوجوه وليس مع من خالفنا نص بخلاف ما ذكرنا ، ولا يحل أن يظن بمسلم فاضل عقوق أبيه ، فكيف برسول الله ﷺ ؟؟؟ وأما ظنهم أنه أقام مدة يقدر فيها على تعريف أبيه خبره ، ولم يفعل ، فهذا جهل شديد

---

(١) سقطت من (أ) منه .
(٢) سورة يوسف آية رقم ٧٠
(٣) سورة يوسف آية رقم ٢٤
(٤) سورة يوسف آية رقم ٤٢

ممن ظن هذا لأن يعقوب فى أرض كنعان[٥] من عمل فلسطين فى قوم رحالين خصاصين فى لسان آخر وطاعة أمرىء ودين آخر ، وأمة أخرى كالذى بيننا اليوم وبين من يصافينا من بلاد النصارى كغالث وغيرها أو كصحراء البربر فلم يكن عند يوسف عليه السلام علم بعد فراقه أباه بما فعل ، ولا حى هو أو ميت ، أكثر من وعد الله تعالى بأن ينبئهم بفعلهم به ، ولا وجد أحدًا يثق به فيرسل إليه للاختلاف الذى ذكرنا ، وإنما يستسهل هذا اليوم من يرى أرض الشام ، ومصر لأمير واحد ، وملة واحدة ، ولسان واحدا ، وأمة واحدة ، والطريق سابل ، والتجار ذاهبون وراجعون . والرفاق سائرة ومقبلة ، والبُرد[٦] ناهضة وراجعة ، فظن كل بيضاء شحمة[٧] ولم يكن الأمر حينئذ كذلك ولكن كما قدمنا .

ودليل ذلك أنه حين أمكنه لم يؤخره ، واستجلب أباه وأهله أجمعين عند ضرورة الناس إليه ، وانقيادهم له للجوع الذى كان عم الأرض ، وامتيارهم من عنده فانتظر وعد ربه تعالى الذى وعده حين ألقوه فى الجب فأتوه صاغرين راغبين[٨] كما وعده تعالى فى رؤياه قبل أن يأتوه ، ورب رئيس جليل شاهدناه من أبناء البشاكين[٩] والافرنج لو قدر على أن يستجلب أبويه لكان أشد الناس بدارًا إلى ذلك ولكن الأمر تعذر عليهم تعذرًا أخرجه عن الامكان إلى الامتناع فهذا كان أمر يوسف عليه السلام .

وأما قول يوسف لاخوته : « إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ[١٠] » وهم لم يسرقوا الصواع ، بل هو الذى كان قد أدخله فى وعاء أخيه دونهم ، فقد صدق عليه السلام لأنهم سرقوه من أبيه ، وباعوه ولم يقل عليه السلام إنكم سرقتم الصواع ، وإنما قال « نفقد صواع الملك » وهو فى ذلك صادق لأنه كان غير واجد له فكان فاقدًا له بلا شك .

وأما خدمته عليه السلام لفروعن فإنما خدمة تقية ، وفى حق لاستنقاذ الله تعالى أهل الأرض[١١] بحسن تدبيره ، ولعل الملك أو بعض خواصه قد آمن به إلا أن خدمته له على كل حال حسنه وفعل خير ، وتوصل إلى الاجتماع بأبيه وإلى العدل ، وإلى حياة النفوس ، إذ لم يقدر على المغالبة ولا أمكنه غير ذلك ، ولا مرية فى أن ذلك كان مباحًا فى شريعة يوسف عليه السلام

(٥) قال ابن الكلبى : ولد لنوح سام وحام ويافث وشالوم وهو كنعان وهو الذى غرق ودال ولا عقب له ثم قال : الشام منازل الكنعانيين وكان بين موضع يعقوب بن كنعان ويوسف بمصر مائة فرسخ وكان مقام يعقوب بأرض نابلس وبه الجب الذى ألقى فيه يوسف . راجع معجم البلدان حـ ٤ ص ٤٨٤

(٦) البرد : جمع بريد القافلة .

(٧) فى المثل العربى : « ما كل بيضاء شحمة ، ولا كل حمراء تمرة » .

(٨) فى (أ) : ضارعين .

(٩) فى (أ) : البشاكس .

(١٠) سورة يوسف آية رقم ٧٠

(١١) سقطت من (أ) كلمة : أهل الأرض .

بخلاف شريعتنا ، قال الله تعالى : « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا[١٢]» وأما سجود أبويه فلم يكن ذلك محظورًا فى شريعتهما ، بل كان فعلًا حسنا ، وتحقيق رؤياه الصادق من الله تعالى ولعل ذلك السجود كان تحية كسجود الملائكة لآدم عليه الصلاة والسلام . إلا أن الذى لا شك فيه أنه لم يكن سجود عباده ولا تذلل وإنما كان سجود كرامة فقط بلا شك .

وأما قوله عليه السلام للذى كان معه فى السجن « اذكرنى عند ربك[١٣]» فما علمنا الرغبة فى الانطلاق من السجن محظورة على أحد ، وليس فى قوله ذلك دليل على أنه أغفل الدعاء إلى الله عز وجل لكنه رغب هذا الذى كان معه فى السجن ، فى فعل الخير وحضه عليه وهذا فرض من وجهين : أحدهما : وجوب السعى فى كف الظلم عنه ، والثانى : دعاؤه إلى الخير والحسنات .

وأما قوله تعالى : « فأنساه الشيطان ذكر ربه[١٤]» . فالضمير الذى فى أنساه وهو (الهاء) راجع إلى الفتى الذى كان معه فى السجن ، أى أن الشيطان أنساه أن يذكر ربه أمر يوسف عليه السلام .

ويحتمل أيضا أن يكون أنساه الشيطان ذكر الله تعالى ولو ذكر الله عز وجل لذكر حاجة يوسف عليه السلام .

وبرهان ذلك قول الله عز وجل : « وادكر بعد أمة[١٥]» فصح يقينا أن المذكر[١٦] بعد أمة هو الذى أنساه الشيطان ذكر ربه حتى تذكر ، وحتى لو صح أن الضمير من أنساه راجع إلى يوسف عليه السلام لما كان فى ذلك نقص ، ولا ذنب ، إذ ما كان بالنسيان فلا يبعد عن الأنبياء وأما قوله « همّت به وهمّ بها لولا أن رأى برهان ربه[١٧]» فليس كما ظن من لم ينعم النظر حتى قال من المتأخرين من قال إنه قعد منها مقعد الرجل من المرأة ، ومعاذ الله من هذا أن يظن برجل من صالحى المسلمين أو مستوريهم ، فكيف برسول الله ﷺ .. ؟؟؟

فإن قيل : إن هذا قد روى عن ابن عباس رضى الله عنه من طريق جيدة الإسناد ، قلنا : نعم . ولا حجة فى قول أحد إلا فيما صح عن رسول الله ﷺ فقط ، والوهم فى تلك الرواية إنما هى بلا شك عمن دون ابن عباس ، أو لعل ابن عباس لم يقطع بذلك إذ إنما أخذه عمن

---

(١٢) سورة المائدة آية رقم ٤٨
(١٣) سورة يوسف آية رقم ٤٢
(١٤) سورة يوسف آية رقم ٤٢
(١٥) سورة يوسف آية رقم ٤٥
(١٦) فى (أ) : المذكور وهو تحريف .
(١٧) سورة يوسف آية رقم ٢٤

لا يدرى من هو ..؟ ولا شك فى أنه شيء سمعه فذكره لأنه رضى الله عنه لم يحضر ذلك ولا ذكره عن رسول الله ﷺ ومحال أن يقطع ابن عباس بما لا علم له به ، لكن معنى الآية لا يعدو أحد وجهين : إما أنه هم بالايقاع بها وضربها ، كما قال تعالى : « وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه[١٨] » .

وكما يقول القائل : لقد همت بك .

لكنه عليه السلام امتنع من ذلك ببرهان أراه الله إياه استغنى به عن ضربها ، وعلم أن الفرار أجدى عليه ، وأظهر لبراءته ، على ما ظهر بعد ذلك من حكم الشاهد بأمر قدّ القميص . والوجه الثانى : أن الكلام تم عند قوله .. ولقد همت به ثم ابتدأ تعالى خبرا آخر فقال : وهمّ بها لولا أن رأى برهان ربه أى أنه كان يهم بها لولا أن رأى برهان ربه[١٩] وهذا هو ظاهر الآية بلا تكلف تأويل .

وبهذا نقول – حدثنا أحمد بن محمد بن عبد الله الطلمنكى[٢٠]، حدثنا ابن عون الله ، أنبئنا إبراهيم بن أحمد بن فراس ، حدثنا أحمد بن محمد بن سالم النيسابورى ، أنا اسحق بن راهويه ، أنا المومل بن اسماعيل الحميرى ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت البنانى ، عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية : « ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ[٢١] » قال رسول الله ﷺ : « لما قالها يوسف عليه السلام قال له جبريل : يا يوسف اذكر همك ، فقال يوسف : وما أبرىء نفسى إن النفس لأمارة بالسوء[٢٢] » .

فليس فى هذا الحديث على معنى من المعانى تحقيق الهم بالفاحشة ، ولكنه فيه أنه همّ بأمر ما ، وهذا حق كما قلنا فسقط هذا الاعتراض ، وصح الوجه الأول ، والثانى معا ، إلا أن الهم بالفاحشة باطل مقطوع على كل حال ، وصح أن ذلك الهم هو[٢٣] ضرب سيدته ، وهى خيانة لسيده إذ هم بضرب امرأته .

وبرهان ربه هاهنا هو النبوة ، فلولا النبوة[٢٤] وعصمة الله عز وجل إياه ، ولولا البرهان ، لكان يهم بالفاحشة ، وهذا لا شك فيه ، ولعل من ينسب هذا إلى النبى المقدس يوسف ينزه

---

(١٨) سورة غافر آية رقم ٥
(١٩) ما بين القوسين سقط من (أ) .
(٢٠) راجع ترجمته ص ٢١٥ من هذا الجزء .
(٢١) سورة يوسف آية رقم ٥٢
(٢٢) سورة يوسف آية رقم ٥٣
(٢٣) سقط من (أ) كلمة : هو .
(٢٤) سقط من (أ) فلولا النبوة .

نفسه الرذلة عن مثل ذلك المقام[٢٥] فيهلك ، وقد خشى النبى ﷺ الهلاك على من ظن به ذلك الظن ، إذ قال للأنصاريين حين لقيهما هَذِه صَفِيَّةُ[٢٦]» .

قال أبو محمد : ومن الباطل الممتنع أن يظن ظان أن يوسف عليه السلام همّ بالزنا ، وهو يسمع قول الله تعالى « كذلك لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُوءَ والْفَحْشَاء[٢٧]» .

فنسأل من خالفنا عن الهم بالزنا بسوء هو أم غير سوء ..؟ فلابد من[٢٨] أنه سوء ، ولو قال إنه ليس بسوء لعاند الإجماع فإذا هو سوء ، وقد صرف عنه السوء فقد صرف عنه الهمّ بيقين ، وأيضا فإنها قالت : « ما جزاء من أراد باهلك سوءًا[٢٩]» وأنكر هو ذلك فشهد الصادق المصدق » .

إن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين » فصح أنها كذبت وإذ كذبت[٣٠] بنص القرآن فما أراد بها قط سوءًا فما هم بالزنا قط ، ولو أراد بها الزنا لكانت من الصادقين ، وهذا بين جدا .

وكذلك قوله تعالى عنه أنه قال : « وإلا تصرف عنى كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين[٣١]» فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن[٣٢]» فصح عنه أنه قط لم يصب إليها » .

وبالله تعالى التوفيق .

تم الكلام فى يوسف عليه السلام .

(٢٥) فى (أ) : هذا .

(٢٦) الحديث رواه البخارى فى الاعتكاف ٨ ورواه مسلم فى السلام ٣٥ ورواه الدارمى فى الصوم ٥٥ ورواه أبو داود فى الاعتكاف باب المعتكف يدخل البيت لحاجته رقم ٢٤٧٠ ولفظه عند أبى داود : عن صفية قالت : كان رسول الله – ﷺ معتكفًا فأتيته أزوره ليلًا فحدثته ثم قمت فانقلبت فقام معى ليقلبنى ، وكان مسكنها فى دار أسامة بن زيد فمر رجلان من الأنصار فلما رأيا النبى – ﷺ أسرعا فقال النبى – ﷺ على رِسْلِكُما ، إنها صفيه بنت حى » قالا : سبحان الله يا رسول الله قال : إن الشيطان يجرى من الإنسان مجرى الدم فخشيت أن يقذف فى قلوبكما شيئًا أو قال : شرًا » .

(٢٧) سورة يوسف آية رقم ٢٤

(٢٨) سقط من (أ) كلمة : من .

(٢٩) سورة يوسف آية رقم ٢٥

(٣٠) سقط من (أ) وإذ كذبت .

(٣١) سورة يوسف آية رقم ٣٣

(٣٢) سورة يوسف آية رقم ٣٤

الكلام فى موسى عليه السلام وأمـه

قال أبو محمد : ذكروا قول الله تعالى :« وأصبح فؤاد أم موسى فارغا إن كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها[١]» فمعناه فارغا من الهم بموسى جملة ، لأن الله عز وجل قد وعدها برده إليها ، إذ قال لها تعالى : « إنّا رادّوه إليك وجاعلوه من المرسلين[٢]» .

فمن الباطل المحض أن يكون الله تعالى ضمن لها رده إليها ثم يصبح قلبها مشغولا بالهم بأمره .

هذا ما لا يظن بذى عقل أصلًا ، وإنما معنى قوله تعالى إن كادت لتبدى به ، أى سرورًا بما أتاه الله عز وجل من الفضل وقولها لأخته « قصيه » إنما هو لترى أخته كيفية قدرة الله تعالى فى تخليصه من يدى فرعون عدوه .. بعد وقوعه فيهما وليتم بها ما وعدها الله تعالى من رده إليها فبعثت أخته لترده بالوحى .

وذكروا قول الله تعالى عن موسى عليه السلام : « وأخذ برأس أخيه يجره إليه[٣]» « قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى[٤]» .

قالوا وهذه معصية أن يأخذ بلحية أخيه وشعره ، وهو نبى مثله ، وأسن منه ولا ذنب له .

قال أبو محمد : وهذا ليس كما ظنوا وهو خارج على وجهين .

أحدهما : أنه أخذ برأس أخيه ليقبل بوجهه عليه ويسمع عتابه له إذ تأخر عن اتباعه إذ رآهم ضلوا ، ولم يأخذ بشعر أخيه قط إذ ليس ذلك فى الآية أصلًا ، ومن زاد ذلك فيها فقد

---

(١) سورة القصص رقم ١٠
(٢) سورة القصص آية رقم ٧
(٣) سورة الأعراف آية رقم ١٥٠ وقد جاءت هذه الآية محرفة فى الأصل حيث ذكر (فأخذ) .
(٤) سورة طه آية رقم ٩٤ وقد ذكر فى الأصل هذه الآية على أنها تتمه للأولى وهو خطأ .

كذب على الله تعالى ، لكن هارون عليه السلام خشى بادرة من موسى عليه السلام ، وسطوة ، أوراه[٥] قد اشتد غضبه فأراد توقيفه بهذا الكلام عما تخوفه منه .

وليس فى هذه الآية ما يوجب غير ما قلناه ، ولا أنه مد يده إلى أخيه أصلًا ، وبالله تعالى التوفيق .

والثانى : أن[٦] هارون عليه السلام قد يكون استحق فى نظر موسى عليه السلام النكير لتأخره[٧] عن لحاقه ، إذ رآهم ضلوا فأخذه[٨] برأسه منكرًا عليه ، ولو كان هذا لكان إنما فعله موسى عليه السلام غضبا لربه عز وجل ، وقاصدا بذلك رضاء الله تعالى ، ولسنا نبعد ذلك من الأنبياء عليهم السلام . وإنما نبعد القصد إلى المعصية ، وهم يعلمون أنها معصية ، وهذا هو معنى ما ذكره الله تعالى عن إبراهيم خليله ﷺ إذ قال « والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين[٩] » وقول الله تعالى لمحمد ﷺ : « ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر[١٠] » . إنما الخطيئة المذكورة والذنوب المغفورة ما وقع بنسيان أو بقصد إلى الله تعالى إرادة الخير فلم يوافق رضى الله عز وجل بذلك فقط وذكروا قول موسى عليه السلام للخضر عليه السلام « أقتلت نفسا زكية بغير نفس[١١] » .

فأنكر موسى عليه السلام الشىء وهو لا يعلمه ، وقد كان أخذ عليه العهد أن لا يسأله عن شىء حتى يحدث له منه ذكرا فهذا أيضا لا حجة لهم فيه ، لأن ذلك كان على سبيل النسيان وقد بين موسى عليه السلام ذلك بقوله : « لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسرا[١٢] » فرغب إليه ألا[١٣] يؤاخذه بنسيانه ، ومؤاخذة الخضر له بالنسيان دليل على صحة ما قلنا من أنهم عليهم السلام مؤاخذون بالنسيان وبما قصدوا به الله عز وجل فلم يصادفوا بذلك مراد الله عز وجل وتكلم موسى عليه السلام على ظاهر الأمر ، وقدر أن الغلام زكى إذ لم يعلم له ذنبًا ، وكان عند الخضر العلم الجلى بكفر ذلك الغلام واستحقاقه القتل ، فقصد موسى عليه السلام بكلامه فى ذلك وجه الله تعالى والرحمة ، وإنكار ما لم يعلم وجهه .

---

(٥) فى (أ) : إذ .
(٦) فى (أ) : بزيادة يكون .
(٧) فى (أ) : لتأخيره .
(٨) فى (أ) : فأخذ .
(٩) سورة الشعراء آية رقم ٨٢
(١٠) سورة الفتح آية رقم ٢
(١١) سورة الكهف آية رقم ٧٤
(١٢) سورة الكهف آية رقم ٧٣
(١٣) فى (أ) : أنه لا يؤاخذه .

وذكروا قول موسى عليه السلام « فعلتها إذًا وأنا من الضالين[١٤]» فقول صحيح وهو حاله قبل النبوة ، فإنه كان ضالًا عما اهتدى له بعد النبوة ، ضلال الغيب عن العلم ، كما تقول : أضللت بعيرى لاضلال القصد إلى الإثم .

وهكذا قول الله تعالى لنبيه ﷺ : « ووجدك ضالًا فهدى[١٥]» .

أى ضالا عن المعرفة – وبالله تعالى التوفيق .

وذكروا قول الله عز وجل عن بنى إسرائيل : « فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم[١٦]» .

قالوا : وموسى قد سأل ربه مثل ذلك فقال : « رب أرنى أنظر إليك . قال لن ترانى[١٧]» .

قالوا : فقد سأل موسى عليه السلام أمرًا عوقب سائلوه قبله .

قال أبو محمد : وهذا لا حجة لهم فيه . لأنه خارج على وجهين :

أحدهما أن موسى عليه السلام سأل ذلك قبل سؤال بنى إسرائيل رؤية الله تعالى ، وقبل أن يعلم أنّ سؤال ذلك لا يجوز فهذا لا مكروه فيه ، لأنه سأل فضيلة عظيمة أراد بها علو المنزلة عند ربه تعالى .

والثانى : أن بنى إسرائيل سألوا ذلك متعنتين وشكاكًا فى الله عز وجل ، وموسى سأل ذلك على الوجه الحسن ، الذى ذكرنا آنفًا .

---

(١٤) سورة الشعراء آية رقم ٢٠
(١٥) سورة الضحى آية رقم ٧
(١٦) سورة النساء آية رقم ١٥٣
(١٧) سورة الأعراف آية رقم ١٤٣

الكلام فى[1] يونس عليه السلام

قال أبو محمد : وذكروا أمر يونس عليه السلام وقول الله تعالى عنه .. وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين[2]» .

وقوله تعالى : « فلولا أنه كان من المسبحين للبث فى بطنه إلى يوم يبعثون[3]» .

وقوله لنبيه عليه السلام : « فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم[4]» .

وقوله تعالى : « فالتقمه الحوت وهو مليم[5]» .

قالوا ولا ذنب أعظم من المغاضبة لله عز وجل وَمَنْ أكبر[6] ذنبًا ممن ظن أن الله لا يقدر عليه ..؟

وقد أخبر الله تعالى أنه استحق الذم لولا أن تداركه نعمة الله عز وجل ، وأنه استحق الملامة وأنه أقر على نفسه أنه كان من الظالمين ، ونهى الله تعالى نبيه أن يكون مثله .

قال أبو محمد : وهذا كله لا حجة لهم فيه بل هو حجة لنا على صحة قولنا والحمد لله رب العالمين .

أما إخبار الله تعالى أن يونس ذهب مغاضبًا فلم يغضب ربه قط ، ولا قال الله تعالى أنه

---

(١) ف (أ) : على يونس .
(٢) سورة الأنبياء آية رقم ٨٧
(٣) سورة الصافات آية رقم ١٤٣ ، ١٤٤
(٤) سورة القلم آية رقم ٤٨ ، ٤٩
(٥) سورة الصفات آية رقم ١٤٢
(٦) ف (خ) : وَمنْ ذنب من ظن .

غاضب ربه فمن زاد هذه الزيادة كان قائلًا على الله الكذب وزائدًا فى القرآن ما ليس فيه ، هذا لا يحل ولا يجوز أن يظن بمن له أدنى مسكة من عقل أنه يغاضب ربه تعالى فكيف أن يفعل ذلك نبى من الأنبياء ؟ فعلمنا يقينًا أنه إنما غاضب قومه ولم يوافق ذلك مراد الله عز وجل فعوقب بذلك ، وإن كان يونس عليه السلام لم يقصد بذلك إلا رضاء الله عز وجل .

وأما قوله تعالى : « فظن أن لن نقدر عليه(٧) » .

فليس على ما ظنوه من الظن السخيف ، الذى لا يجوز أن يظن بضعيفة من النساء ، أو بضعيف من الرجال ، إلا أن يكون قد بلغ الغاية من الجهل ، فكيف بنبى مفضل على الناس فى العلم ..؟ ومن المحال المتيقن أن يكون نبى يظن أن الله تعالى الذى أرسله بدينه ، لا يقدر عليه ، وهو يرى أن آدميًا مثله يقدر عليه ، ولا شك فى أن من نسب هذا إلى النبى(٨) الفاضل(٩) – ﷺ – فإنه يشتد غضبه لو نسب ذلك إليه ، أو إلى ابنه ، فكيف إلى يونس عليه السلام الذى يقول فيه رسول الله ﷺ : « لا تُفَضِلُونِى عَلَى يُونِسْ بْن مَتَى(١٠) » ؟؟؟

فقد بطل ظنهم بلا شك وصح أن معنى قوله : « فظن أن لن نقدر عليه » .

أى ألا(١١) نضيق عليه ، كما قال تعالى : « وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه(١٢) » .

أى ضيق عليه ، فظن يونس عليه السلام أن الله تعالى لا يضيق عليه فى مغاضبته لقومه إذ ظن أنه محسن فى فعله ذلك ، وأما نهى الله عز وجل لمحمد(١٣) ﷺ عن أن يكنّ كصاحب الحوت . فنعم نهاه الله عز وجل عن مغاضبته قومه ، وأمره بالصبر على أذاهم ، وبالمطاولة(١٤) لهم .

وأما قول الله تعالى إنه استحق الذم ، والملامة ، وأنه(١٥) لولا النعمة التى تداركه بها للبث معاقبًا فى بطن الحوت .

---

(٧) سورة الأنبياء آية رقم ٨٧
(٨) فى (أ) : للنبى .
(٩) سقطت من (أ) كلمة : الفاضل .
(١٠) الحديث رواه البخارى ٣٢٥/٦ فى الأنبياء باب وإن يونس لمن المرسلين ومسلم رقم ٢٣٧٦ فى الفضائل باب فى ذكر يونس عليه السلام ، وأبو داود رقم ٤٦٧٠ فى السنة باب فى التخيير بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ولفظه : كان رسول الله يقول : ما ينبغى لنبى أن يقول أنا خير من يونس بن متى .
(١١) فى (أ) : أى لن .
(١٢) سورة الفجر آية رقم ١٦
(١٣) فى (خ) : لنبيه .
(١٤) فى (أ) : وبالمقاومة لهم – وهذا تحريف .
(١٥) سقطت من (أ) وأنه .

فهذا نفس ما قلناه من أن الأنبياء عليهم السلام يؤاخذون فى الدنيا على ما فعلوه ، مما يظنونه خيرًا وقربة إلى الله عز وجل ، إذا لم يوافق مراد ربهم ، وعلى هذا الوجه أقر على نفسه بأنه كان من الظالمين ، والظلم : وضع الشيء فى غير موضعه . فلما وضع النبى ﷺ المغاضبة فى غير موضعها ، اعترف فى ذلك بالظلم ، لا على أنه قصده وهو يدرى أنه ظلم .

انقضى الكلام فى يونس عليه السلام وبالله تعالى التوفيق .



الكلام فى داود عليه السلام

وذكروا أيضًا قول الله تعالى حاكيًا عن داود عليه السلام « هل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان .... إلى قوله فغفرنا له ذلك[١]» .

قال أبو محمد : وهذا قول صادق صحيح لا يدل على شيء مما قاله المستهزئون ، الكاذبون ، المتعلقون بخرافات ولَّدها اليهود ، وإنما كان ذلك الخصم قومًا من بنى آدم ولا شك ، مختصمين فى نعاج من الغنم على الحقيقة بينهم ، بغى أحدهما على الآخر[٢] بنص الآية .

ومن قال إنهم كانوا ملائكة معرضين بأمر النساء فقد كذب على الله عز وجل ، وقوله ما لم يقل ، وزاد فى القرآن ما ليس فيه ، وكذب الله عز وجل ، وأقر على نفسه الخبيثة أنه كذب الملائكة ، لأن الله تعالى يقول : « هل أتاك نبأ الخصم » .

فقال هو : لم يكونوا قط خصمًا[٣] [وهذا تكذيب مجرد لله تعالى ، وهذا كفر محصن وأقر على نفسه أنهم كانوا ملائكة وأنهم قالوا : خصمان فقال هو لم يكونوا قط خصمين] ولا بغى بعضهم على بعض ، ولا كان قط لأحدهما تسع وتسعون نعجة ، ولا كان للآخر نعجة واحدة ، ولا قال له أكفلينها ، فاعجبوا لم يقحم فيه أهل الباطل أنفسهم ؟ ونعوذ بالله من الخذلان .

ثم كل ذلك بلا دليل ، بل الدعوى المجردة ، وتالله أن كل امرىء منا ليصون نفسه ، وجاره المستور عن أن يتعشق امرأة جاره ، ثم يعرض زوجها للقتل عمدا ليتزوجها ، وعن أن يترك صلاته لطائر يراه ، هذه أفعال السفهاء ، المهتوكين[٤]، الفساق ، المتمردين ، لا فعل أهل البر ، والتقوى ،

---

(١) سورة ص من آية ٢١ - ٢٥

(٢) سقطت من (أ) كلمة : الآخر .

(٣) ما بين القوسين سقط من (أ) .

(٤) فى (أ) : المنهوكين وهو خطأ لأن الفعل : (هتك) واسم المفعول منه (مهتوك) .

فكيف برسول الله داود ﷺ ..؟؟ الذى أوحى إليه كتابه ، وأجرى على لسانه كلامه ، لقد نزهه الله عز وجل عن أن يمر مثل هذا الفحش بباله ، فكيف أن يستضيف إلى أفعاله ؟ وأما استغفاره عليه السلام وخروره ساجدًا ومغفرة الله تعالى له ، فالأنبياء عليهم السلام أولى الناس بهذه الأفعال الكريمة ، والاستغفار : فعل خير لا ينكر من ملك ولا من نبى ولا من مذنب ، ولا من غير مذنب ، فالنبى يستغفر الله لمذنبى أهل الأرض والملائكة كما قال الله تعالى « ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما ، فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك ، وقهم عذاب الجحيم(٥) » .

وأما قوله تعالى عن داود عليه السلام « وظن داود أنما فتناه(٦) » .

وقوله تعالى : « فغفرنا له ذلك(٧) » .

فقد ظن(٨) داود عليه السلام أن يكون ما آتاه الله عز وجل من سعة الملك العظيم فتنة .

فقد كان رسول الله ﷺ يدعو فى أن يثبت الله قلبه على دينه .

فاستغفر الله تعالى من هذا الظن ، فغفر الله له هذا الظن ، إذ لم يكن ما آتاه الله تعالى من ذلك فتنة .

---

(٥) سورة غافر آية رقم ٧
(٦) سورة ص آية رقم ٢٤
(٧) سورة ص آية رقم ٢٥
(٨) فى (أ) : يظن .

الكلام فى سليمان عليه السلام

وذكروا قول الله عز وجل عن سليمان عليه السلام « ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب[١]» .

قال أبو محمد : « ولا حجة لهم فى هذا إذ معنى قوله تعالى : « فتنا سليمان » .

أى[٢] أتيناه من الملك ما اختبرنا به طاعته كما قال تعالى مصدقا لموسى عليه السلام « إن هى إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء[٣]» .

فصح[٤] أن من الفتنة ما هدى[٥] الله تعالى بها من يشاء وقال تعالى آلم . أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناوهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين[٦]» .

فهذه الفتنة هى الاختبار ، حتى يظهر المهتدى من الضال ، فهذه فتنة الله تعالى لسليمان إنما هى إختباره حتى ظهر فضله فقط ، وما عدا هذا فخرافات ولدها زنادقة اليهود ، وأشباههم .

وأما الجسد الملقى على كرسيه ، فقد أصاب الله تعالى به ما أراد ، نؤمن بهذا كما هو ، ونقول صدق الله عز وجل كل من عند الله ربنا[٧]، ولو جاء نص صحيح فى القرآن وعن رسول الله ﷺ بتفسير هذا الجسد ما هو لقلنا به ، فإذا لم يأت بتفسيره ما هو نص ، ولا خبر صحيح ، فلا يحل لأحد القول بالظن الذى هو أكذب الحديث . فى ذلك ، فيكون كاذبًا على الله عز وجل إلا أننا لا نشك ألبتة فى بطلان قول من قال إنه كان جنيًا تصور بصورته ، بل نقطع على أنه

---

(١) سورة ص آية رقم ٣٤
(٢) سقطت من (أ) كلمة : أى .
(٣) سورة الأعراف آية رقم ١٥٥
(٤) سقط من (أ) فصح .
(٥) فى (أ) : من يهدى الله من يشاء .
(٦) سورة العنكبوت آية رقم ١ ، ٢ ، ٣
(٧) سقط من (خ) كلمة « الله » .

كذب ، والله تعالى لا يهتك ستر رسوله ﷺ هذا الهتك ، وكذلك نبعد قول من قال إنه كان ولدًا له أرسله إلى السحاب لتربيه ، فسليمان عليه السلام كان أعلم من أن يربى ابنه لغير ما طبع الله عز وجل بنية البشر عليه من اللبن ، والطعام ، وهذه كلها خرافات موضوعة مكذوبة لم يصح إسنادها قط . وذكروا أيضا قول الله عز وجل عن سليمان عليه السلام « إنى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب . ردوها علىّ فطفق مسحا بالسوق والأعناق[٨] » . وتأولوا ذلك على ما قد نزه الله عنه من له أدنى مسكة من عقل من أهل زماننا وغيره ، فكيف بنبى معصوم مفضل من[٩] أنه قتل الخيل إذ اشتغل بها عن الصلاة .

قال أبو محمد : وهذه خرافة موضوعة مكذوبة سخيفة باردة قد جمعت أفانين من النوك[١٠] والظاهر أنها من اختراع زنديق بلا شك ، لأن فيها معاقبة خيل لا ذنب لها والتمثيل بها ، واتلاف مال منتفع به بلا معنى ، ونسبة تضييع الصلاة إلى نبى مرسل ثم يعاقب الخيل على ذنبه لا على ذنبها ، وهذا أمر لا يستجيزه صبى ابن سبع سنين فكيف نبى مرسل ..؟؟؟

ومعنى هذه الآية ظاهر بين ، وهو أنه عليه السلام أخبر أنه أحب حب الخير من أجل ذكر ربه حتى توارت الشمس بالحجاب ، أو حتى توارت تلك الصافنات الجياد بحجابها ثم أمر بردها فطفق مسحًا بسوقها ، وأعناقها بيده ، برًا بها واكرامًا لها ، هذا هو ظاهر الآية الذى لا يحتمل غيره ، وليس فيها إشارة أصلًا إلى ما ولدوه[١١] من قتل الخيل ، وتعطيل الصلاة ، وكل هذا قد قاله ثقات المسلمين فكيف ولا حجة فى قول أحد دون رسول الله ﷺ ؟ وذكروا أيضا الحديث الثابت من قول رسول الله ﷺ أن سليمان عليه السلام قال : « لَأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى كَذَا وَكَذَا امْرَأَةً كُلُّ امرأة منهن تَلِدُ فَارِسًا يُقَاتِلُ فى سَبِيلِ الله وَلَمْ يَقُل إنْ شَاءَ الله[١٢] » .

قال أبو محمد : وهذا لا حجة لهم فيه ، لأن من قصد تكثير المؤمنين المجاهدين فى سبيل الله عز وجل فقد أحسن ، ولا يجوز أن يظن به أنه يجهل أن ذلك لا يكون إلا أن يشاء الله عز وجل ، وقد جاء فى نص الحديث المذكور أنه إنما ترك إن شاء الله نسيانًا فأوخذ بالنسيان فى ذلك ، وقد قصد الخير وهذا نص قولنا ، والحمد لله رب العالمين .

تم الكلام فى سليمان عليه الصلاة والسلام .

---

(٨) سورة ص آية رقم ٢٢ ، ٢٣

(٩) فى (أ) : فى .

(١٠) فى (أ) : من القول .

(١١) فى (أ) : إلى ما ذكروه .

(١٢) الحديث رواه البخارى فى الأيمان ٣ والكفارات ٩ ، ورواه مسلم فى أيمان ٢٥ ، ٢٣ والنسائى فى أيمان ٤٠ ، ٤٣ ، و ٤٥ والترمذى فى النذور ٧ ولفظه عند مسلم عن النبى – ﷺ قال : قال سليمان بن داود نبى الله لأطوفن الليلة على سبعين امرأة كلهن تأتى بغلام يقاتل فى سبيل الله ، فقال له صاحبه أو الملك قل : إن شاء الله فلم يقل : ونسى فلم تأت واحدة من نسائه إلا واحدة جاءت بشق غلام فقال رسول الله – ﷺ ولو قال : إن شاء الله لم يحنث وكان دَرَكًا له فى حاجته .

« فصــل »

وذكروا قول الله تعالى : « واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين[1]» .

قال أبو محمد : وهذا لا حجة لهم فيه لأنه ليس فى نص الآية ولا عن رسول الله ﷺ أن هذا المذكور كان نبيًا ، وقد يكون إنباء الله تعالى لهذا المذكور آياته أنه أرسل إليه رسولًا بآياته كما فعل بفرعون وغيره فانسلخ منها بالتكذيب ، فكان من الغاوين وإذا صح أن نبيًا لا يعصى الله عز وجل تعمدًا فمن المحال أن يعاقبه الله تعالى على ما لا يفعل ، ولا عقوبة أعظم من الحط عن النبوة ، ولا يجوز أن يعاقب بذلك نبى ألبتة ، لأنه لا يكون منه ما يستحق به هذا العقاب .

وبالله تعالى التوفيق ، فصح يقينًا أن هذا المنسلخ لم يكن قط نبيًا .

وذكروا قول رسول الله ﷺ أن ما من أحد إلا من ألمَّ بذنب أو كاد إلا يحيى بن زكريا – أو كلاماً هذا معناه[2].

قال أبو محمد : وهذا صحيح وليس خلافًا لقولنا إذ قد بينا أن الأنبياء عليهم السلام يقع منهم النسيان ، وقصد الشىء يظنونه قربة إلى الله تعالى فأخبر عليه السلام أنه لم ينج من هذا أحد إلا يحيى بن زكريا عليها السلام ، فيقوم من هذا أن يحيى لم ينسى شيئًا واجبًا عليه قط .

ولا فعل إلا ما وافق فيه مراد ربه عز وجل .

---

(١) سورة الأعرف آية رقم ١٧٥

(٢) الحديث ذكر فى مسند أبى يَعْلَى الموصلى بسند عن ابن عباس أن رسول الله – ﷺ قال : ما أحد من ولد آدم إلَّا قد أخطأ أوهم بخطيئه ليس يحيى بن زكريا .

فى سنده على بن زيد بن جدعان وهو ضعيف ، ويوسف بن مهران وهو مختلف فيه .

الكلام فى محمَّدٌ
صلى الله عليه وسلم

قال أبو محمد : وذكروا قول الله تعالى « لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم[1] » .

وقوله تعالى : « عبس وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى ، أما من استغنى فأنت له تصدى وما عليك ألا يزكى ، وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى[2] » .

وبالحديث الكاذب الذى لم يصح قط فى قراءته عليه السلام فى « والنجم إذا هوى[3] » .

وذكروا تلك الزيادة المفتراه التى تشبه من وضعها من قولهم : وإنها لهى الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى وذكروا قول الله تعالى : « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته[4] » .

وبقوله تعالى : « ولا تقولن لشيء إنى فاعل ذلك غدًا إلا أن يشاء الله[5] » .

وأن الوحى امتسك عنه عليه السلام لتركه الاستثناء إذ سأله اليهود عن الروح . وعن ذى القرنين ، وأصحاب الكهف ، وبقوله تعالى : « وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه[6] » .

---

(١) سورة الأنفال آية رقم ٦٨
(٢) سورة عبس آيات ١ إلى ١٠
(٣) سورة النجم آية رقم ١
(٤) سورة الحج آية رقم ٥٢ وقد جاءت هذه الآية محرفة فى (أ) : حيث ذكرها : « وما أرسلنا قبلك » بحذف كلمة « من » .
(٥) سورة الكهف آية رقم ٢٣ ، ٢٤
(٦) سورة الأحزاب آية رقم ٣٧

وبما روى من قوله عليه السلام . « لقدْ عُرِضَ عَلَىّ عذابُكمْ أدْنَى مِن هذه الشجرة[٧]» إذ قبل الفداء وترك قتل[٨] الأسرى ببدر وبما روى من قوله عليه السلام : « لو نزل عذاب ما نجى منه إلا عمر[٩]» .

لأن عمر أشار بقتلهم .

وذكروا أنه عليه السلام مال إلى رأى أبى بكر فى الفداء والاستبقاء[١٠] وبقوله تعالى : « ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر[١١]» .

قالوا : فإن لم يكن[١٢] له ذنب فماذا غفر له ؟ وبأى شىء امتن الله عليه فى ذلك ..؟

وبقوله ﷺ : « وَلَوْ دُعِيتُ إلى مَا دُعِى إليه يُوسُف لَأَجَبْتُ[١٣]» .

فإنما هذا إذ دعى إلى الخروج من السجن فلم يجب إلى الخروج حتى قال للرسول .. ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن إن ربى بكيدهن عليم .

فأمسك عن الخروج من السجن وقد دعى إلى الخروج عنه حتى اعترف النسوة بذنبهن وبراءته وتيقن بذلك من كان شك فيه فأخبر محمد ﷺ أنه لو دعى إلى الخروج من السجن لأجاب ، وهذا التفسير منصوص فى الحديث نفسه ، كما ذكرنا من كلامه عليه السلام .

« وَلَوْ لَبِثْتُ فِى السِّجْنِ مَا لبث يُوسُف عَلَيْهِ الْسَلَامْ ثُمَّ دُعِيتُ لأَجَبْتُ الدَّاعِى[١٤]» .

أو كلاما هذا معناه .

وأما قول الله عز وجل : « ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر[١٥]» .

فقد بينا أن ذنوب الأنبياء عليهم السلام ليست إلا ما وقع بنسيان ، أو بقصد ، إلى ما يظنونه خيرًا مما لا يوافقون مراد الله تعالى منهم ، فهذان الوجهان هما اللذان غفر الله عز وجل له .

---

(٧) الحديث رواه مسلم فى باب الجهاد والمذكور هنا جزء من هذا الحديث : ولفظه : لقد عرض على عذابهم أدنى من هذه الشجرة : شجرة قريبة من نبى الله – ﷺ .

(٨) فى (خ) : هذا وهو تحريف .

(٩) فى (خ) : والاستفتاء .

(١٠) سورة الفتح آية رقم ٢

(١١) فى (خ) : سقطت كلمة (لم) .

(١٢) الحديث رواه البخارى فى الأنبياء من ١١ ، ١٩ وتفسير سورة ١٢ ورواه مسلم فى الإيمان ٢٣٨ ، والترمذى تفسير سورة ١٢ ولفظه عند مسلم : ولو لبثت فى السجن طول لَبْثِ يوسف لأجبت الداعى .

(١٣) سبق تخريج هذا الحديث .

(١٤) سورة الفتح آية رقم ٢

(١٥) سورة الأنفال آية رقم ٦٨

وأما قوله تعالى : « لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم[١٦] » .

فإنما الخطاب فى ذلك للمسلمين ، لا لرسول الله ﷺ وإنما كان ذلك إذ تنازعوا فى غنائم بدر فكانوا هم المذنبين المنشقين عليه[١٧].

يبين ذلك قوله تعالى : « يسألونك عن الأنفال ، قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم[١٨] » .

وقوله تعالى فى هذه السورة نفسها النازلة فى هذا المعنى « يجادلونك فى الحق بعدما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون[١٩] » .

وقوله تعالى قبل ذكره الوعيد بالعذاب الذى احتج به من خالفنا « تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة[٢٠] » .

فهذا نص القرآن . وقد رد الله عز وجل الأمر فى الأنفال المأخوذة يومئذ إلى رسول الله ﷺ .

وأما الخبر المذكور الذى فيه لقد عرض على عذابكم أدنى من هذه الشجرة ، ولو نزل عذاب ما نجا منه إلا عمر .

فهذا خبر لا يصح لأن المنفرد بروايته عكرمة بن عمار اليمامى[٢١] وهو ممن قد صح عليه وضع الحديث أو سوء الحفظ أو الخطأ الذى لا يجوز معهما الرواية عنه ، ثم لو صح لكان القول فيه كما قلنا من أنه قصد الخير بذلك .

وأما قوله « عبسى وتولى ... » الآيات فإنه كان عليه السلام قد جلس إليه عظيم من عظماء قريش ورجا إسلامه ، وعلم عليه السلام أنه لو أسلم لأسلم باسلامه ناس كثير ، ولظهر الدين ، وعلم أن هذا الأعمى الذى يسأله عن أشياء من أمور الدين لا يفوته وهو حاضر معه فاشتغل عنه عليه السلام بما خاف فوته من عظيم الخير عما لا يخاف فوته وهذا غاية النظر للدين ، والاجتهاد فى نصرة القرآن فى ظاهر الأمر ، ونهاية التقرب إلى الله الذى لو فعله اليوم منا فاعل لأجر فعاتبه الله عز وجل على ذلك إذ كان الأولى عند الله تعالى أن يقبل على ذلك[٢٢] الأعمى الفاضل ، البر

---

(١٦) سورة الأنفال آية رقم ٦٨
(١٧) فى (أ) : المتشتتين عليه وهو تحريف .
(١٨) سورة الأنفال آية رقم ١
(١٩) سورة الأنفال آية رقم ٦
(٢٠) سورة الأنفال آية رقم ٦٧
(٢١) لم نعثر له على ترجمة .
(٢٢) فى (خ) : سقطت كلمة (ذلك) .

التقى ، وهذا هو(٢٣) نفس ما قلناه ، وكما سهى عليه السلام من اثنتين ومن ثلاث ، وقام من اثنتين ، ولا سبيل إلى أن يفعل من ذلك شيئًا بعمد أصلًا(٢٤)، نعم ولا يفعل ذلك بعمد إنسان منا فيه خير .

وأما الحديث الذى فيه : « وإنهن الغرانيق العلى وإن شفاعتها لترتجى » فكذب بحت موضوع لأنه لم يصح قط من طريق النقل ، فلا معنى للاشتغال به ، إذ وضع الكذب لا يعجز عنه أحد .

وأما قوله تعالى : « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان(٢٥)» الآية .

فلا حجة لهم فيها لأن الأمانى الواقعة فى النفس لا معنى لها ، وقد تمنى النبى ﷺ إسلام عمه أبى طالب ، ولم يرد الله عز وجل أن يسلم وتمنى غلبة العدو يوم أحد ولم يرد الله عز وجل(٢٦) كون ذلك ، فهذه هى(٢٧) الأمانى التى ذكرها الله عز وجل لا ، سواها وحاشا لله من(٢٨) أن يتمنى نبى معصية الله تعالى(٢٩) وهذا الذى قلنا هو ظاهر الآية دون تزيد ولا تكلف(٣٠) ولا يحل خلاف الظاهر ، إلا بظاهر آخر ، وبالله تعالى التوفيق .

وأما قوله تعالى : « ولا تقولن لشىء إنى فاعل ذلك غدًا إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت(٣١)» .

فقد كفى الله عز وجل الكلام فى ذلك ببيانه فى آخر الآية أن ذلك كان نسيانا فعوقب عليه السلام فى ذلك .

وأما قوله تعالى : « وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه(٣٢)» .

فقد أنفنا(٣٣) أن ذلك لم يكن معصية أصلًا ولا خلاف فيما أمره الله تعالى به إنما كان إرادة

---

(٢٣) سقطت من (أ) كلمة (هو) .

(٢٤) من ذلك أن رسول الله – ﷺ انصرف من اثنتين فقال له ذو اليدين أقصرت الصلاة أو نسيت يا رسول الله ..؟ فقال رسول الله أصدق ذو اليدين ؟ فقال الناس نعم . فصلى رسول الله اثنتين أخريين ثم سلم ، ثم كبر ثم سجد مثل سجوده أو أطول ... الخ .

(٢٥) سورة الحج آية رقم ٥٢

(٢٦) ما بين القوسين سقط من (أ) .

(٢٧) سقط من (أ) كلمة : هى .

(٢٨) سقط من (أ) كلمة : من .

(٢٩) فى (أ) : وبالله تعالى التوفيق ونقص : الله تعالى .

(٣٠) فى (أ) : دون مزيد تكلف .

(٣١) سورة الكهف آية رقم ٢٣ ، ٢٤

(٣٢) سورة الأحزاب آية رقم ٣٧

(٣٣) فى (خ) : فقد اتفقنا .

زواج مباح له فعله ، ومباح له تركه ، ومباح له طيه ، ومباح له إظهاره ، وإنما خشى النبى ﷺ الناس فى ذلك ، خوف أن يقولوا قولًا ويظنوا ظنًا ، فيهلكوا كما قال عليه السلام للأنصاريين « إنها صفية[٣٤]» فاستعظما ذلك فأخبرهما النبى ﷺ أنه إنما خشى أن يلقى الشيطان فى قلوبهما شيئًا وهذا الذى خشيه عليه السلام على الناس من هلاك أديانهم لظن يظنونه به عليه السلام هو الذى يحققه هؤلاء المخذولون المخالفون لنا فى هذا الباب من نسبتهم إلى النبى ﷺ تعمد المعاصى ، فهلكت أديانهم ، وضلوا ، ونعوذ بالله من الخذلان . وكان مراد الله عز وجل أن يبدى ما فى نفسه لما كان سلف فى علمه من السعادة لأمنا زينب[٣٥] رضى الله عنها .

قال أبو محمد : فإن قال قائل : إنكم تحتجون كثيرًا بقول الله عز وجل « وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى[٣٦]» .

وبقوله .. فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجًا مما قضيت ويسلموا تسليمًا[٣٧]» .

وبقوله تعالى : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرًا[٣٨] وبقوله عليه السلام « إنى لأتقاكم لله وأعلمكم بما آتى وآذر[٣٩]» وتقولون من أجل هذه النصوص أن كل قول قاله عليه السلام فبوحى من الله قاله ، وكل عمل عمله فبإذن من الله تعالى ورضى منه عمله ، فأخبرونا عن سلامه ﷺ من ركعتين[٤٠]، ومن ثلاث ، وقيامه من اثنتين ، وصلاته الظهر خمسًا[٤١]، وإخباره بأنه يحكم بالحق فى الظاهر ، لمن لا يحل له أخذه ممن يعلم أنه فى باطن الأمر بخلاف ما حكم له به من ذلك[٤٢].؟ أبوحى من الله تعالى وبرضاء فعلى كل ذلك ؟ أم كيف تقولون ؟ وهل يلزم المحكوم عليه والمحكوم له الرضا بحكمه ذلك وهما يعلمان أن الأمر

---

(٣٤) راجع هذا الحديث فى ص ٣٤

(٣٥) سبق الترجمة لها ص ٦

(٣٦) سورة النجم آية رقم ٣ ، ٤

(٣٧) سورة النساء آية رقم ٦٥

(٣٨) سورة الأحزاب آية رقم ٢١

(٣٩) الحديث رواه البخارى فى الإيمان ١٣ والنكاح ١ ومسلم فى الصيام ٧٤ ، والحج ١٤١ وصاحب الموطأ فى الصيام ١٣ واحمد بن حنبل حـ ٣ ص ١٧ ولفظه عند مسلم : عن عمر بن أبى سلمة أنه سأل رسول الله – ﷺ : أيقبل الصائم فقال رسول الله : سل هذه (لأم سلمة) فأخبرته أن رسول الله يضيع ذلك فقال يا رسول الله قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر (فقال له رسول الله : أما والله إنى لأتقاكم لله وأخشاكم له) .

(٤٠) فى الحديث الذى رواه البخارى : صلى نبا النبى – ﷺ الظهر أو العصر ركعتين فسلم فقال له ذو اليدين الصلاة يا رسول الله أنقصت فقال النبى لأصحابه أحق ما يقول : قالوا : نعم فصلى ركعتين أخريين ثم سجد سجدتين .

(٤١) فى الحديث الذى رواه مسلم : صلى بنا رسول الله – ﷺ خمسًا فقلنا : يا رسول الله أزيد فى الصلاة ..؟ قال : وما ذاك ..؟ قالوا صليت خمسًا فقال : إنما أنا بشر مثلكم أذكر كما تذكرون وأنسى كما تنسون ثم سجد سجدتى السهو .

(٤٢) كما فى الحديث الذى رواه مسلم : قال رسول الله – ﷺ إنكم تختصمون إلىَّ ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فاقضى له على نحو مما أسمع منه ، فمن قطعت له من حق أخيه شيئًا فلا يأخذه فإنما أقطع له به قطعة من النار وفى لفظ : إنما أنا بشر » .

بخلاف ذلك ، إم لا ..؟

قال أبو محمد : فجوابنا وبالله تعالى التوفيق أن كل ما ذكر هاهنا فبوحى من الله تعالى فعله .

وكل من قدر ولم يشك فى أنه أتم صلاته فالله تعالى أمره بأن يسلم ، فإذا علم بعد ذلك أنه يسهى فقد لزمته الإتمام وسجود السهو . برهان ذلك أنه لو تمادى ولم يسلم قاصدًا إلى الزيادة فى صلاته على تقديره أنه[٤٣] قد أتمها لبطلت صلاته كلها بلا شك باطنًا وظاهرًا ، ولاستحق اسم الفسق ، والمعصية ، وكذلك من قدر أنه لم يصل إلا ركعة واحدة أو أنه لم يتم صلاته ، فالله تعالى أمره[٤٤] بالزيادة فى صلاته يقينًا حتى لا يشك فى الإتمام وبأن يقوم إلى ثانية عنده ، فمتى علم بأن الأمر كان بخلاف ذلك فصلاته تامة ولزمته حينئذ شريعة سجود السهو . وبرهان ذلك أنه لو قعد من واحدة عنده متعمدًا مستهزئًا ، أو سلم من ثلاث عنده متعمدًا لبطلت صلاته جملة ولاستحق اسم الفسق والمعصية ، لأنه فعل خلاف ما أمره الله تعالى به .

وكذلك أمره الله ، وأمرنا ، بالحكم بالبينة العدلة عندنا وباليمين من المنكر وبإقرار المقر ، وإن كانت البينة عامدة لكذب فى غير علمنا وكانت اليمين والإقرار كاذبين فى الباطن ، وافترض الله علينا بذلك سفك الدماء التى لو علمنا الباطن لحرمت علينا ، وهكذا فى الفروج والأموال .

برهان ذلك : أن حاكمًا لو شهدت بينة عدلة عنده فلم يقض بها وقضى باليمين على المنكر الذى لا بينة عليه فحلف ثم قضى عليه لكان القاضى فاسقًا بلا خلاف عاصيًا لله عز وجل لخلافه ما أمره الله سبحانه وتعالى به ، وإن وافق حقًا لم يكن علم به وفرض على المحكوم عليه والمحكوم له أن يرضيا بالحكم بالبينة واليمين ، وأن يصيرا فى أنفسهما إلى حقيقة علمهما فى أخذ الحق وإعطائه – وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : وذكروا قول الله تعالى : « حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا[٤٥] » بتخفيف الذال وليس هذا على ما ظنه الجهال وإنما معناه أن الرسل عليهم السلام ظنوا بمن وعدهم النصر من قومهم أنهم كذبوهم فيما وعدوهم من نصرهم ، ومن المحال البين أن يدخل فى عقل من له أدنى رمق أن الله تعالى يكذب فكيف بصفوة الله تعالى من خلقه وأتمهم علما وأعرفهم بالله عز وجل ؟ ومن نسب هذا إلى نبى فقد نسب إليه الكفر ، ومن أجاز على[٤٦] نبى الكفر فهو الكافر المرتد بلا شك .

(٤٣) ما بين القوسين سقط من (أ) .
(٤٤) فى (أ) : فإن الله .
(٤٥) سورة يوسف آية رقم ١١٠
(٤٦) فى (أ) : إلى .

والذى قلنا هو ظاهر الآية ، وليس فيها أنهم ظنوا[٤٧] أن الله تعالى كذبهم حاشا لله من هذا .

وذكروا أيضًا قول الله تعالى : « فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك[٤٨] » .

قال أبو محمد : إنما عهدنا هذا الاعتراض من الكفار[٤٩] من أهل الكتاب وغيرهم ، وأما من يدعى أنه مسلم فلا ، ولا يمكن ألبتة أن يكون مسلم يظن أن رسول الله ﷺ كان شاكًا فى صحة الوحى إليه .

ولنا فى هذه الآية رسالة مشهورة وجملة حل هذا الشك أنَّ : (إنْ) فى هذه الآية المذكورة بمعنى (ما) التى للجحد بمعنى « وما كنت فى شك مما أنزلنا إليك ثم أمره أن يسأل أهل الكتاب تقريرًا لهم على أنهم يعلمون أنه نبى مرسل مذكور عندهم فى التوراة ، والإنجيل ، وبالله التوفيق .

قال أبو محمد : هذا كل ما موهوا به قد تقصيناه ، وبيناه وأرينا أنه موافق لقولنا ولا يشهد شىء منه لقول مخالفنا ، وبالله التوفيق . ونحن الآن نأخذ بحول الله وبقوته فى الإتيان بالبراهين الضرورية الواضحة على صحة قولنا وبطلان قول مخالفنا .

قال الله تعالى : « وما كان لنبى أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة[٥٠] » . وقال تعالى : « وما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادًا لى من دون الله[٥١] » .

فوجدنا الله تعالى وهو أصدق القائلين قد نفى عن الأنبياء عليهم السلام الغلول والكفر والتجبر ، ولا خلاف بين أحد من الأمة فى أن حكم الغلول كحكم سائر الذنوب ، وقد صح الإجماع بذلك ، وأن من جوز على الأنبياء عليهم السلام شيئًا من تعمد الذنوب جوز عليهم الغلول ، ومن نفى الغلول نفى عنهم سائر الذنوب ، وقد صح نفى الغلول عنهم بكلام الله تعالى فوجب انتفاء تعمد الذنوب عنهم بصحة الإجماع على أنها سواء والغلول . وقال عز وجل : « أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون[٥٢] » .

(٤٧) سقط من (أ) : أنهم ظنوا .
(٤٨) سورة يونس آية رقم ٩٤
(٤٩) سقط من (أ) من الكفار .
(٥٠) سورة آل عمران آية رقم ١٦١
(٥١) سورة آل عمران آية رقم ٧٩
(٥٢) سورة الجاثية آية رقم ٢١

قال أبو محمد : فلا يخلو مخالفنا الذى يجيز أن يكون الأنبياء عليهم السلام قد اجترحوا السيئات من أحد وجهين لا ثالث لهما .

إما أن يقول : إن فى سائر الناس من لم يعصى قط(٥٣) ولا اجترح سيئة . قيل له : فمن هؤلاء الذين نفى الله عز وجل عنهم أن يكون الذين اجترحوا السيئات مثلهم ؟ إذ كانوا غير موجودين فى العالم ، فلابد من أن يجعل كلام الله عز وجل هذا فارغًا لا معنى له ، وهذا كذب من قائله ، أو يقول هم الملائكة فإن قال ذلك رد قوله هذا قول الله تعالى فى الآية نفسها « سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون » .

ولا نص ولا إجماع على أن الملائكة تموت ولو جاء بذلك نص لقلنا به ، بل البرهان موجب أن لا يموتوا لأن الجنة دار لا موت فيها ، والملائكة سكان الجنات(٥٤) فيها خلقوا وفيها يخلدون أبدًا ، وكذلك الحور العين وأيضًا فإن الموت إنما هو فراق النفس للجسد المركب ، وقد نص رسول الله ﷺ على أن الملائكة خلقوا من نور(٥٥) فليس فيها شيء يفارق شيئًا فيسمى موتًا ، فإن اعترض معترض بقوله : « كل نفس ذائقة الموت(٥٦) » لزمه أن حمل هذه الآية على عمومها أن الحور العين يمتن فيجعل الجنة دار موت ، وقد أبعد الله تعالى ذلك قال(٥٧) الله تعالى : « وإن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون(٥٨) » .

فعلمنا بهذا النص أن قوله تعالى : « كل نفس ذائقة الموت » إنما عنى به من كان فى غير الجنة من الجن والإنس وسائر الحيوان المركب الذى يفارق روحه جسده . وبالله تعالى التوفيق .

ويرد أيضا قوله إن قال بهذا قول رسول الله ﷺ : « ما من أحد إلا وقد ألمّ أو كاد الا يحيى بن زكريا(٥٩) » أو يقول إن فى الناس من لم يجترح سيئة قط وإن من اجترح السيئات لا يساويهم كما قال عز وجل ، فإن قال ذلك فإن الأنبياء عليهم السلام عنده يجترحون السيئات ، وفى سائر الناس من لا يجترحها فوجب أن يكون فى الناس من هو أفضل من الأنبياء عليهم السلام

(٥٣) سقط من (أ) قط .
(٥٤) فى (أ) : الجنان .
(٥٥) لفظ الحديث : خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم » راجع تخريج هذا الحديث فى ص ٧
(٥٦) سورة آل عمران آية رقم ١٨٥
(٥٧) فى (أ) : (عنه) .
(٥٨) سورة العنكبوت آية رقم ٦٤
(٥٩) سبق تخريج هذا الحديث ص ٤٣

وهذا كفر مجرد(٦٠) وما قدرنا أن أحدًا ممن ينتمى إلى الإسلام(٦١) ولا إلى أهل الكتاب ينطق(٦٢) لسانه بهذا حتى رأينا للمعروف بابن الباقلانى(٦٣) فيما ذكر عنه صاحبه أبو جعفر السمنانى(٦٤) قاضى الموصل أنه قد يكون فى الناس بعد النبى ﷺ من هو أفضل من النبى ﷺ من حين يبعث إلى حين يموت ، فاستعظمنا ذلك ، وهذا شرك مجرد ، وقدح فى النبوة لا خفاء به ، وقد كنا نسمع عن قوم من الصوفية أنهم يقولون : إن الولى أفضل من النبى ، وكنا لا نحقق هذا على أحد يدين بدين الإسلام إلى أن وجدنا هذا الكلام كما أوردنا(٦٥) فنعوذ بالله من الارتداد بعد الإيمان(٦٦).

قال أبو محمد : ولو أن هذا الضال المضل يدرى ما معنى لفظة أفضل ، ويدرى فضيلة النبوة ، لما انطلق لسانه بهذا الكفر وهذا تكذيب للنبى ﷺ إذ يقول : « إنى لأتقاكم لله وإنى لست كهيئتكم وإنى لست مثلكم(٦٧) » .

فإذًا قد صح بالنص أن فى الناس من لم يجترح سيئة ، وأن من اجترح السيئات لا يساويهم عند الله عز وجل ، فالأنبياء عليهم السلام أحق بهذه الدرجة وبكل فضيلة بلا خلاف من أحد من أهل الإسلام .

يقول الله عز وجل : « الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس(٦٨) » فأخبر تعالى أن الرسل صفوته من خلقه .

وقد اعترض علينا بعض المخالفين بأن قال فما تقول فيمن بلغ فآمن ، وذكر الله مرات ومات إثر ذلك ، أو فى كافر أسلم وقاتل مجاهدا فقتل ..؟ فجوابنا وبالله تعالى التوفيق .

أن نقول : أما من كان كافرا ثم أسلم فقد اجترح من السيئات بكفره ما هو أعظم من السموات والأرض ، وإن كان قد غفر له بإيمانه ، ولكن قد حصل بلا شك من جملة من قد اجترح السيئات ، وأما من بلغ فآمن ، وذكر الله تعالى ثم مات ، فقد كان هذا ممكنا فى طبيعة

---

(٦٠) سقط من (أ) كلمة : مجرد .
(٦١) فى (أ) : بزيادة (أهل) .
(٦٢) فى (أ) : ينطلق .
(٦٣) سبق الترجمة له فى ص ٥
(٦٤) سبق الترجمة له فى ص ٥
(٦٥) فى (أ) : أردنا وهو تحريف .
(٦٦) سقط من (أ) كلمة : بعد الإيمان .
(٦٧) الحديث رواه البخارى فى الإيمان ١٣ ، والنكاح ١ والاعتصام ٢٧ ورواه مسلم فى الصيام ٧٤ ، والحج ١٤١ ورواه صاحب الموطأ فى الصيام ١٣ واحمد بن حنبل فى المسند حـ ٣ ص ٢١٧ وحـ ٥ ص ٤٣٤ .
(٦٨) سورة الحج آية رقم ٧٥

العالم وفي بنيته لولا قول الله عز وجل : « أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون(٦٩) » .

فإن الله تعالى قطع قطعا لا يرده إلا كافر بأنه لا يجعل من اجترح السيئات كمن لم يجترحها ونحن نوقن أن الصحابة رضى الله عنهم وهم أفضل الناس بعد الأنبياء عليهم السلام ، ليس منهم أحد إلا وقد اجترح سيئة فكان يلزم على هذا أن يكون من أسلم إثر بلوغه ومات أفضل من الصحابة رضى الله عنهم وهذا خلاف قول النبى ﷺ .

أنه لو كان لأحدنا مثل أحد ذهبا فأنفقه لم يبلغ مد أحدهم ولا نصيفه(٧٠) » .

فإذ هذا كما قلنا فقول الله عز وجل وقول رسوله ﷺ أحق بالتصديق لاسيما مع قوله عليه السلام « ما من أحد إلا ألمّ بذنب أو كاد إلا يحيى بن زكريا » فنحن نقطع قطعا بما ذكرنا أنه لا سبيل إلى أن يبلغ أحد حد التكليف إلا ولا بد له من أن يجترح سيئات الله أعلم بها وبالله التوفيق .

قال أبو محمد : ومن البرهان على أنه لا يمكن(٧١) ألبتة أن يعصى نبى بعمد قول رسول الله ﷺ « ما كان لنبى أن تكون له خائنة الأعين(٧٢) لما قال له الأنصارى هلا أو مأت إلىّ فى قصة عبد الله بن سعد بن أبى سرح(٧٣) » فنفى عليه السلام عن جميع الأنبياء عليهم السلام أن تكون لهم خائنة الأعين ، وهو أخف ما يكون من الذنوب ، ومن خلاف الباطن للظاهر فدخل فى هذا جميع المعاصى صغيرها وكبيرها سرها وجهرها .

قال أبو محمد : وأيضا فإننا مندوبون إلى الاقتداء بالأنبياء عليهم السلام وإلى الاتساء(٧٤) بهم فى أفعالهم كلها قال الله تعالى : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر(٧٥) » .

---

(٦٩) سورة الجاثية رقم ٢١

(٧٠) الحديث رواه البخارى فى فضائل أصحاب النبى – ﷺ ٥ ورواه مسلم فى فضائل الصحابة ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ورواه أبو داود فى السنة ١٠ والترمذى فى المناقب ٥٨ ، وابن ماجه فى المقدمة ١١ واحمد بن حنبل حـ ٣ ص ١١ ، ٥٤ .

(٧١) فى (أ) : أنه لم يكن .

(٧٢) الحديث رواه أبو داود رقم ٢٦٨٣ فى الجهاد باب قتل الأسير ولا يعرض عليه الإسلام والنسائى ١٠٥/٧ ، ١٠٦ فى تحريم الدم ، باب الحكم فى المرتد ولفظه عند أبى داود : ألا أومأت إلينا بعينك ..؟ قال : إنه لا ينبغى لنبى أن تكون له خائنة الأعين .

(٧٣) هو : عبد الله بن سعد بن أبى السرح بن الحارث – أسلم قبل الفتح وهاجر وكان يكتب الوحى لرسول الله – ﷺ ثم ارتد مشركًا وصار إلى قريش بمكة . فلما كان يوم الفتح أمر رسول الله – ﷺ بقتله ففر إلى عثمان بن عفان وكان أخاه من الرضاعة فغيبه عثمان حتى أتى به رسول الله بعدما اطمأن أهل مكة فاستأمنه له ، ولاه عثمان مصر سنة ٢٥ هـ وفتح على يديه أفريقية سنة ٢٧ هـ توفى بافريقيا سنة ٣٦ هـ رحمه الله (الاستيعاب حـ ٣ ص ٩١٩ ، ٩٢٠) .

(٧٤) الاتساء : التأسى والاقتداء .

(٧٥) سورة الأحزاب آية رقم ٢١

وقال تعالى : « أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده[٧٦]» .

فصح يقينا أنه لو جاز أن يقع من أحد من الأنبياء عليهم السلام ذنب بعمد صغير أو كبير ، لكان الله عز وجل قد حضنا على المعاصى وندبنا إلى الذنوب ، وهذا كفر مجرد ممن أجازه وقد صح يقينا أن جميع أفعال الأنبياء التى يقصدونها خير وحق .

قال أبو محمد : وأيضا فقد صح عن النبى ﷺ عظيم[٧٧] انكاره على ذى الخويصرة[٧٨] لعنه الله ولعن أمثاله ، إذ قال الكافر اعدل يا محمد ، إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله .

فقال له رسول الله ﷺ : ويحك من يعدل إذا أنا لم أعدل أيأمننى الله ولاتأمنونى[٧٩]» ..؟

وقوله عليه السلام لأم سلمة أم المؤمنين إذ سألته عن الذى قبل امرأته فى رمضان ألا أخبرتها أنى فعلت ذلك[٨٠]» ..؟ وغضب عليه السلام إذ قال له : لست مثلنا قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر .

فأنكر عليه السلام إذ جعل له ذنبا بعمد وإن صغر .

وقال له عليه السلام : إنى والله لأعلمكم بالله وأتقاكم لله[٨١] أو كلاما هذا معناه . فإن قال قائل فهلا نفيتم عنهم عليهم السلام السهو بدليل الندب إلى الايتساء بهم عليهم السلام قلنا : وبالله تعالى التوفيق .

انكار ما ثبت كإجازه ما لم يثبت ، سواء سواء[٨٢] ولا فرق ، والسهو منهم قد ثبت بيقين وأيضًا فإن ندب الله تعالى لنا إلى الايتساء بهم عليهم السلام لا يمنع من وقوع السهو منهم ، لأن الايتساء بالسهو يمكن إلا بسهو منا ، ومن المحال أن ننب إلى السهو أو نكلف السهو ، لأننا لو قصدنا إليه لم يكن حينئذ سهوًا ، ولا يجوز أيضا أن ننهى عن السهو لأن الانتهاء عن السهو ليس فى بنيتنا ، ولا فى وسعنا وقد قال تعالى : « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها[٨٣]» .

---

(٧٦) سورة الأنعام آية رقم ٩٠

(٧٧) سقط من (أ) كلمة « عظيم » .

(٧٨) ترجم له فى ص

(٧٩) الحديث رواه البخارى فى الخمس ١٩ ورواه مسلم فى الزكاة ١٤٠ ولفظة عند مسلم : فمن يعدل إن لم يعدل الله ورسوله ، ثم قال يرحم الله موسى قد أوذى باكثر من هذا فصبر ٧٠

(٨٠) الحديث رواه مسلم رقم ١١٠٨ باب أن القبلة فى الصوم ليست محرمة ورواه صاحب الموطأ ٢٩١/١ و ٢٩٢ باب ما جاء فى الرخصة فى القبلة للصائم ولفظة فى الموطأ : أن رجلًا قبل امرأته وهو صائم فى رمضان فوجد من ذلك وجدًا شديدًا فأرسل امرأته فسألت أم سلمة فأخبرتها أن رسول الله يفعله ، فأخبرت زوجها فزاده ذلك شرًا وقال : لسنا مثل رسول الله - ﷺ - إن الله يحل لرسوله ما شاء ... الخ .

(٨١) سبق تخريج هذا الحديث ص ٤٩

(٨٢) سقط من (أ) كلمة : سواء .

(٨٣) سورة البقرة آية رقم ٢٨٦ .

ونقول أيضا إننا مأمورون إذا سهونا أن نفعل كما فعل رسول الله ﷺ إذ سها .

وأيضا فإن الله تعالى لا يقر الأنبياء عليهم السلام على السهو بل ينبههم فى الوقت ، ولو لم يفعل ذلك تعالى لكان لم يبين لنا مراده منا فى الدين . وهذا تكذيب لله عز وجل إذ يقول تعالى « تبيانا لكل شيء[٨٤] » .

وإذ يقول : « اليوم أكملت لكم دينكم[٨٥] » .

وقوله تعالى : « وقد فصل لكم ما حرم عليكم[٨٦] » .

قال أبو محمد : فسقط قول من نسب إلى الأنبياء عليهم السلام شيئا من الذنوب بالعمد ، صغيرها وكبيرها ، إذا لم يبق لهم شبهه يموهون بها أصلًا ، وإذ قد قامت البراهين على بطلانها ولحقوا بذى الخويصرة .

قال أبو محمد : ولو جاز من الأنبياء عليهم السلام شيء من المعاصى فقد ندبنا إلى الايتساء بهم ، وبأفعالهم ، لكنا قد أبيحت لنا المعاصى وكنا لا ندرى لعل جميع ديننا ضلال وكفر ، ولعل كل ما عمله عليه السلام معاص ، ولقد قلت يومًا لبعضهم ممن كان يجيز عليهم الصغائر بالعمد : أليس من الصغائر تقبيل المرأة الأجنبية وقرصها[٨٧]؟ فقال : نعم . فقلت له : تجوز أنه يظن بالنبى ﷺ أن يقبل امرأة غيره متعمدا ؟ فقال : معاذ الله من هذا ورجع إلى الحق من حينه – والحمد لله رب العالمين .

قال أبو محمد : قال الله تعالى : « إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما[٨٨] » .

قال أبو محمد : ومن الباطل المحال أن تتم[٨٩] نعمة الله على عبد ويعصى الله بما كبر أو ما صغر ، إذ لو كان ذلك لما كانت نعمة الله تعالى عليه تامة ، بل ناقصة إذ خذله فيما عصى فيه .

وقال تعالى : « إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعذروه وتوقروه[٩٠] » .

---

(٨٤) سورة النحل آية رقم ٨٩
(٨٥) سورة المائدة آية رقم ٣
(٨٦) سورة الأنعام آية رقم ١١٩
(٨٧) فى (خ) : وتعرضها .
(٨٨) سورة الفتح آية رقم ١ ، ٢
(٨٩) فى (أ) : أن يتم الله نعمته .
(٩٠) سورة الفتح آية رقم ٨ ، ٩

وقال الله تعالى : « قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون – لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم[٩١]» .

قال أبو محمد : وما أقر[٩٢] برسول الله ﷺ ولقد بلغ الغاية القصوى فى الاستهزاء برسل الله ﷺ من جوز أن يكونوا سراقا أو زناة ، ولاطة ، وبغائين ، ووالله ما نعلم كفرا أعظم من هذا ولا استهزاء بالله تعالى وبرسله وبالدين أعظم من كفر أهل هذه المقالة .

وليت شعرى ما الذى أمنهم من كذبهم فى التبليغ لأنا[٩٣] لا ندرى لعلهم بلغوا إلينا الكذب عن الله تعالى .

قال أبو محمد : فنقول لهم : ولعل أفعاله التى نأتسى بها تبديل للدين ومعاصى لله عز وجل ولا فرق .

قال أبو محمد : وما نعلم أهل قرية أشد سعيًا فى إقساد الإسلام وكيده من الرافضة[٩٤] وأهل هذه المقالة ، فإن كلتا الطائفتين الملعونتين أجازتا تبديل الدين وتحريفه ، وصرحت هذه الفئة مع ما أطلقت على الأنبياء من المعاصى بأن الله تعالى إنما تعبدنا فى دينه بغالب ظنوننا ، وأنه لا حكم لله إلا ما غلب عليه ظن المرء منا ، وإن كان مختلفا متناقضا ، وما نمترى فى أنهم ساعون فى إفساد أغمار[٩٥] المسلمين المحسنين بهم الظن – ونعوذ بالله من الضلال .

قال أبو محمد : فإن قال قائل إنكم تقولون إن الأنبياء عليهم السلام مؤاخذون بما أتوا على سبيل السهو ، والقصد ، إلى الخير ، إذا لم يوافق مراد الله عز وجل[٩٦] فيها وأوخذ رسول الله ﷺ بسهوه فى الصلاة ؟ قلنا له وبالله تعالى التوفيق قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

وهذه فضيلة مما فضل به على جميع النبيين عليهم السلام ، وهكذا نص عليه السلام فى حديثه الشفاعة يوم القيامة ومصير الناس من نبى إلى نبى ، فكل ذكر خطيئة أو سكت ،

---

(٩١) سورة التوبة آية رقم ٦٦

(٩٢) هذه الجملة معطوفة على ما قاله أبو محمد سابقًا .

(٩٣) فى (خ) : (لكنا) .

(٩٤) الرافضة : الذين كانوا أتباع زيد بن على بن أبى طالب ثم تركوه ، لأنهم طلبوا إليه أن يتبرأ من الشيخين فقال : لقد كانا وزيرى جدى فلا أتبرأ منهما فرفضوه ، وتفرقوا عنه . وقد يطلق بعض الناس اسم الرفض على كل من يتولى أهل البيت ، وعلى هذا جاء قول القائل :

إن كان رفضًا حب آل محمد
فليشهد الثقلان أنى رافضى

الفرق بين الفرق ص ٢١ الهامش .

(٩٥) الغُمْر : بسكون الميم وضمها : أى من لم يجرب الأمور وبابه : ظَرُف .

(٩٦) فى (أ) : مراد الله تعالى .

فلما ذكروا النبى ﷺ قال قائلهم : عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر(٩٧) فبطل أن يؤاخذ بما غفره الله ، وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : فإن قال قائل : أيجوز أن يكون نبى من الأنبياء عليهم السلام يأتى معصية قبل أن يتنبأ ؟ [فجوابنا وبالله تعالى التوفيق أن كل نبى فإنه قبل أن ينبأ](٩٨) لا يخلو من أحد وجهين لا ثالث لهما : إما أن يكون متعبدًا بشريعة نبى أتى قبله كما كان عيسى عليه السلام وأنبياء بنى إسرائيل الذين كانوا متعبدين بشريعة موسى عليه الصلاة والسلام(٩٩). وإما أن يكون قد نشأ فى قوم قد درست شريعتهم ، ودثرت ونسيت كما فى بعث محمد ﷺ فى قوم(١٠٠) قد نسوا شريعة إسماعيل ، وإبراهيم ، عليهما السلام .

قال تعالى : « ووجدك ضالا فهدى(١٠١) » .

وقال تعالى : « لتنذر قوما ماأنذر آباؤهم(١٠٢) » فإن كان النبى متعبدًا بشريعة ما ، فقد أبطلنا آنفا أن يكون نبى يعصى ربه أصلًا .

وإن كان نشأ فى قوم دثرت شريعتهم فهو غير متعبد ، ولا مأمور بما لم يأته أمر الله تعالى به بعد فليس عاصيًا لله تعالى فى شىء يفعله ، أو يتركه ، إلا أننا ندرى أن الله عز وجل قد طهر أنبياءه وصانهم من كل ما يعابون به ، لأن العيب أذى ، وقد حرم الله عز وجل أن يؤذى رسوله .

قال تعالى : « إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعدلهم عذابا مهينًا(١٠٣) » .

قال أبو محمد : فبيقين ندرى أن الله تعالى صان أنبياءه عن أن يكونوا البغية أو من ولادة(١٠٤) بغى ، أو من بغايا ، بل بعثهم الله تعالى فى حسب قومهم ، فإذ لا شك فى هذا فبيقين ندرى أن الله تعالى عصمهم قبل النبوة من كل ما يؤذون به بعد النبوة ، فدخل فى ذلك السرقة ، والعدوان ، والقسوة ، والزنا ، واللياطة ، والبغى ، وأذى الناس فى حريمهم وأموالهم وأنفسهم ، وكل ما يعاب به المرء ويتشكى منه ويؤذى بذكره .

---

(٩٧) لقوله تعالى : ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر .
(٩٨) سقط ما بين القوسين من (أ) .
(٩٩) ما بين القوسين سقط من (أ) .
(١٠٠) سقط من (أ) كلمة : فى قوم .
(١٠١) سورة الضحى آية رقم ٧
(١٠٢) سورة يس آية رقم ٦
(١٠٣) سورة الأحزاب آية رقم ٥٧
(١٠٤) فى (أ) : أولاد .

وقد صح عن النبى ﷺ فى هذا ما حدثناه أحمد بن محمد الطلمنكى ، أنا ابن فرج ، أنا إبراهيم بن محمد فراس ، أنبأنا احمد بن محمد بن سالم النيسابورى ، أنا إسحاق بن راهويه ، أنا وهب بن جرير بن حازم أنا أبى أنبأنا محمد بن إسحاق ، حدثنى محمد بن عبد الله بن قيس ابن مخرمة عن الحسن بن محمد بن على بن أبى طالب ، « عن أبيه هو ابن الحنفية عن أبيه هو على ابن أبى طالب ، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول(١٠٥):

ما هممت بقبيح مما كان أهل الجاهلية يهمون به الا مرتين من الدهر كلتاهما يعصمنى الله منهما . قلت ليلة(١٠٦) لفتى كان معى من قريش بأعلى مكة فى أغنام لأهلها(١٠٧) ترعى أبصر لى غنمى حتى أسمر هذه الليلة بمكة كما يسمر الفتيان ، قال : نعم ، فلما خرجت فجئت أدنى دار من دور مكة ، سمعت غناء وصوت دفوف وزمير ، فقلت ما هذا ؟ قالوا : فلان تزوج فلانة لرجل من قريش فلهوت بذلك الغناء وبذلك الصوت حتى غلبتنى عينى فما أيقظنى إلا مس الشمس فرجعت إلى صاحبى فقال لى ما فعلت ، فأخبرته .

ثم قلت له ليلة أخرى مثل ذلك ففعل فخرجت فسمعت مثل ذلك فقيل لى مثل ما قيل لى فلهوت بما سمعت حتى غلبتنى عينى فما أيقظنى إلا مس الشمس فرجعت إلى صاحبى فقال لى ما فعلت قلت ما فعلت شيئا فوالله ما هممت بعدها بسوء مما يعمل أهل الجاهلية حتى أكرمنى الله بنبوته(١٠٨)» .

قال أبو محمد : فصح أنه عليه السلام لم يعص قط بكبيرة ولا بصغيرة قبل(١٠٩) النبوة ، ولا بعدها ، ولا هم قط بمعصية صغرت أو كبرت لا قبل النبوة ، ولا بعدها ، إلا مرتين بالسمر .

حيث ربما كان بعض ما لم يكن نهى عنه بعد ، والهم حينئذ بالسمر ليس هما بزنا ، ولكنه بما يحذوا إليه طبع البشرية(١١٠) من استحسان منظر حسن فقط ، وبالله تعالى التوفيق . تم الكلام فى الأنبياء عليهم السلام .

---

(١٠٥) سقط من (أ) ما بين القوسين ، وراجع ترجمة محمد بن الحنفية ص ٢٨٠ من هذا الجزء .
(١٠٦) سقط من (أ) ليلة .
(١٠٧) فى (أ) : لها .
(١٠٨) الحديث رواه البيهقى بسنده عن على بن أبى طالب ، وذكره ابن كثير فى التاريخ حـ ٢ ص ٢٨٧ وقال : وهذا حديث غريب جدًا وقد يكون عن على نفسه .
(١٠٩) سقط من (خ) كلمة : لا .
(١١٠) فى (أ) : البرية .

الكلام فى الملائكة عليهم السلام

قال أبو محمد : قد ذكرنا قبل أمر هارون وماروت ونزيدها هنا بيانا فى ذلك ، وبالله تعالى التوفيق .

إن قوما نسبوا إلى الله تعالى ما لم يأت به قط أثر يجب أن يشتغل به ، وإنما هو كذب مفترى من أنه تعالى أنزل إلى الأرض ملكين وهما هاروت وماروت ، وأنهما عصيا الله تعالى وشربا الخمر ، وحكما بالزور وقتلا النفس المحرمة[1]، وزنيا وعلما زانية اسم الله الأعظم فطارت به إلى السماء فمسخت كوكبا وهى الزهرة ، وأنهما عذبا فى غار ببابل[2]، وأنهما يعلمان الناس السحر .. وحجتهم على ما فى هذا الباب خبر رويناه من طريق عمير بن سعيد وهو مجهول مرة يقال له النخعى ، ومرة يقال له الحنفى ، ما نعلم له رواية إلا هذه الكذبة ، وليست أيضا عن رسول الله ﷺ ولكنه أوقفها على على بن أبى طالب رضى الله عنه .

وكذبة أخرى فى أن حد الخمر لم[3] يسنه رسول الله ﷺ وإنما هو شىء فعلوه ، وحاشا لهم رضى الله عنهم من هذا .

قال أبو محمد : ومن البرهان على بطلان هذا كله قول الله تعالى الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد « ما ننزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذًا منظرين[4]» فقطع الله عز وجل أن الملائكة لا تنزل إلا بالحق ، وليس شرب الخمر ولا الزنا ولا قتل النفس المحرمة ، ولا تعليم العواهر أسماءه عز وجل ، التى يرتفع بها إلى السماء ، ولا السحر من الحق ، بل

---

(١) فى (أ) : سقطت كلمة المحرمة .

(٢) بابل : بكسر الباء ، اسم ناحية منها الكوفة وقيل : بابل العراق والكلدائيون هم الذين كانوا ينزلون بابل فى الزمن الأول ويقال : إن أول من سكنها نوح عليه السلام ، وهو أول من عمرها وقد روى أن عمر سأل دهقان الفلوجة عن عجائب بلادهم فقال : كانت بابل سبع مدن فى كل مدينة أعجوبة ليست فى الأخرى ... راجع معجم البلدان حـ ١ ص ٣٠٩ ، ٣١٠ .

(٣) فى (أ) : ليس .

(٤) سورة الحجر آية رقم ٨

كل ذلك من الباطل ، ونحن نشهد أن الملائكة ما نزلت قط بشيء من هذه الفواحش والباطل . وإذا لم تنزل به فقد بطل أن تفعله ، لأنها لو فعلته فى الأرض لنزلت به ، وهذا باطل وشهد عز وجل أنه لو أنزل علينا الملائكة لما أنظرنا(٥)، فصح أنه لم ينزل قط ملك ظاهر إلا لنبى بالوحى فقط ، وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : وكذلك قوله تعالى : « ولو جعلناه ملكًا لجعلناه رجلا(٦) » .

فأبطل عز وجل أنه يمكن ظهور ملك إلى الناس وقال تعالى : « ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون(٧) » .

فكذب الله عز وجل كل من قال : إن ملكا نزل قط من السماء ظاهرا إلا إلى الأنبياء بالحق ، من عند الله عز وجل فقط وقال عز وجل : وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا فى أنفسهم وعتوا عتوًا كبيرا ، يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين(٨)... الآية

فرفع الله تعالى الإشكال بهذا النص فى هذه المسألة ، وقرن عز وجل نزول الملائكة فى الدنيا برؤيته عز وجل فيهما ، فصح ضرورة أن نزولهم فى الدنيا إلى غير الأنبياء ممتنع ألبتة لا يجوز .

وإن من قال ذلك فقد قال حجرا محجورا ، أى ممتنعا وظهر بها كذب من ادعى أن ملكين نزلا إلى الناس فعلماهما السحر ، وقد استعظم الله عز وجل ذلك من رغبة من رغب نزول الملائكة إلى الناس ، وسمى هذا الفعل استكبارا وعتوا ، وأخبر عز وجل أننا لا نرى الملائكة أبدًا إلى يوم القيامة فقط ، وأنه لا بشرى يومئذ للمجرمين .

فإذ لا شك فى هذا كله فقد علمنا ضرورة أنه لا يخلو من أحد وجهين لا ثالث لهما كما قدمنا قبل . إما أن هارون وماروت لم يكونا ملكين وأن « ما » فى قوله : وما أنزل على الملكين نفى لأن ينزل عليهما(٩) ويكون هاروت وماروت حينئذ بدلًا من الشياطين كأنه قال ولكن الشياطين هاروت وماروت كفروا ، ويكون هاروت وماروت قبيلتان من قبائل الجن كانتا تعلمان الناس السحر .

---

(٥) فى (أ) : ملائكة لما نظرنا .
(٦) سورة الأنعام آية رقم ٩
(٧) سورة الأنعام آية رقم ٨
(٨) سورة الفرقان آية رقم ٢١ ، ٢٢
(٩) فى (أ) : على الملكين .

وقد روينا هذا القول عن خالد بن أبى عمران وغيره ، وروى عن الحسن البصرى(١٠) أنه كان يقرأ على الملكين بكسر اللام .

وكان يقول : إن هاروت وماروت علجان من أهل بابل . إلا أن الذى لا شك فيه على هذا القول أنهما لم يكونا ملكين . وقد اعترض هاهنا(١١) بعض الجهال فقال لى : أبلغ من رفق الشياطين(١٢) أن يقولوا للذى يتعلم السحر لا تكفر فقلت له : هذا الاعتراض يبطل من ثلاث جهات أحدها : أن نقول لك وما المانع من أن يقول الشياطين ذلك ، إما سخريًا وإما لما شاء الله تعالى فلا سبيل لك إلى دليل مانع من هذا .

والثانى : أنه قد نص الله عز وجل على أن الشيطان قال : إنى أخاف الله » .

فقال تعالى : « وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإنى جار لكم .. إلى قوله تعالى : « إنى أخاف الله والله شديد العقاب(١٣) » .

وقال تعالى : « كمثل الشيطان إذ قال للإنسان أكفر فلما كفر قال إنى برىء منك إنى أخاف الله رب العالمين(١٤) » . فقد أمر الشيطان الإنسان بالكفر ثم تبرأ منه وأخبره أنه يخاف الله وغر الكفار ثم تبرأ منهم وقال : إنى أخاف الله .

فأى فرق بين أن يقول الشيطان للإنسان اكفر ويغرّه ثم يتبرأ منه ، ويقول إنى أخاف الله ، وبين أن يعلمه السحر ويقول له لا تكفر .

والثالث : أن معلم السحر بنص الآية قد قال للذى يتعلم منه لا تكفر فسواء كان ملكًا أو شيطانًا قد علمه على قولك ما لا يحل وقال له : لا تكفر ، فلم تنكر هذا من الشيطان ؟ ولا تنكره بزعمك من الملك ؟ وأنت تنسب إليه أنه يعلم السحر الذى هو(١٥) عندك ضلال وكفر . وأما أن يكون هاروت وماروت ملكين نزلا بشريعة حق وبعلم ما ، على أنبياء ، فعلماهم الدين ، وقالا لهم لا تكفروا نهيًا عن الكفر بحق وأخبراهم أنهم فتنة يضل الله تعالى بهما وبما أتيا به من كفر

---

(١٠) الحسن البصرى : هو الحسن بن يسار البصرى ، أبو سعيد تابعى ، كان إمام أهل البصرة ، وحبر الأمة ، ولد بالمدينة عام ٢١ هـ وشب فى كنف على بن أبى طالب – رضى الله عنه ، واستكتبه الربيع بن زياد والى خراسان فى عهد معاوية وسكن البصرة وتوفى بها عام ١١٠ هـ تهذيب التهذيب .

(١١) سقط من (أ) كلمة : هاهنا .

(١٢) فى (أ) : الشياطين .

(١٣) سورة الأنفال آية رقم ٤٨

(١٤) سورة الحشر آية رقم ١٦

(١٥) فى (أ) : سقط كلمة : هو .

به ، ويهدى بهما من آمن بما أتيا به[١٦] قال تعالى عن موسى أنه قال له : « إن هى إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء[١٧]» .

وكما قال تعالى : « الٓمٓ . أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون[١٨]» .

ثم نسخ ذلك الذى أنزل على الملكين فصار كفرًا بعد أن كان إيمانًا ، كما نسخ تعالى شرائع التوراة والإنجيل فتمادت الجن على تعليم ذلك المنسوخ ، وبالجملة فما فى الآية نص ولا دليل على أن الملكين علما السحر ، وإنما هو إقحام أقحم فى الآية بالكذب والإفك ، بل فيها بيان أنه لم يكن سحرًا بقوله تعالى : « ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل[١٩]» [فصح أن السحر شىء غير الذى أنزل على الملكين][٢٠].

ولا يجوز أن يجعل المعطوف والمعطوف عليه شيئا واحدًا إلا ببرهان من نص أو إجماع أو ضرورة ، إلا فلا أصلًا .

وأيضًا فإن بابل هى الكوفة وهى بلد معروف بقربها ، محدودة معلومة ليس فيها غار فيه ملك فصح أنه خرافة موضوعة إذ لو كان ذلك لما خفى مكانهما على أهل الكوفة ، فبطل التعلق بهاروت وماروت ، والحمد لله رب العالمين .

قال أبو محمد : وقد ادعى قوم أن إبليس كان ملكًا فعصى وحاشا لله من هذا ، لأن الله تعالى قد أكذب هذا القول بقوله تعالى : « إلا ابليس كان من الجن[٢١]» .

وبقوله : « أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى[٢٢] ولا ذرية للملائكة ، وبقوله تعالى : « إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم[٢٣]» .

وبإخباره أنه خلق إبليس من نار السموم ، وصح عن النبى ﷺ أنه قال : « خلقت الملائكة من نور » . والنور غير النار بلا شك ، فصح أن الجن غير الملائكة ، والملائكة كلهم خيار مكرمون بنص القرآن ، والجن كالإنس فيهما مذموم ومحمود .. فإن قال قائل إن الله عز وجل ذكر أنهم قالوا « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك[٢٤]» .

---

(١٦) فى (أ) : سقط : بما أتيا به .
(١٧) سورة الأعراف آية رقم ١٥٥
(١٨) سورة العنكبوت آية رقم ١
(١٩) سورة البقرة آية رقم ١٠٢
(٢٠) ما بين القوسين سقط من (أ) .
(٢١) سورة الكهف آية رقم ٥٠
(٢٢) سورة الكهف آية رقم ٥٠
(٢٣) سورة الأعراف آية رقم ٢٧
(٢٤) سورة البقرة آية رقم ٣٠

هذه تزكية لأنفسهم ، وقد قال تعالى .. فلا تزكوا أنفسكم[٢٥]» .

قلنا : وبالله تعالى التوفيق .

مدح المرء لنفسه[٢٦] ينقسم قسمين أحدهما . ما قصد به المرء الإفتخار[٢٧] بغيًا وانتقاصًا لغيره فهذه هى التزكية ، وهو مذموم جدًا والآخر : ما خرج مخرج الإخبار بالحق كقول رسول الله ﷺ « أنا سيد ولد آدم ولا فخر ، وفضلت على الأنبياء بست[٢٨]» وكقول يوسف عليه السلام « اجعلنى على خزائن الأرض إنى حفيظ عليم[٢٩]» .

ولا يسمى هذا تزكية .

ومن هذا الباب قول الملائكة هاهنا ، برهان هذا أنه لو كان قولهم مذمومًا لأنكره الله عز وجل عليهم ، فإذ لم ينكره الله تعالى فهو صدق .

ومن هذا الباب قولنا : نحن المسلمون ونحن خير أمة أخرجت للناس وكقول الحواريين : نحن أنصار الله .

فكل هذا إذا قصد به الحض على الخير لا الفخر ، فهو خير .

فإن قال قائل : إن الله تعالى قال لهم : « إنى أعلم ما لا تعلمون[٣٠]» .

قلنا : نعم وما شك الملائكة قط أن الله تعالى يعلم ما لا يعلمون ، وليس هذا إنكارًا .

وأما الجن فقد قلنا : إنهم متعبدون بملة الإسلام .

وقد صح عن النبى ﷺ أن الروث والعظام طعام إخواننا من الجن[٣١].

وهذا بخلاف حكمنا ، فقد يخصهم الله عز وجل بأوامر خلاف أوامرنا ؛ كما للنساء شرائع ليست للرجال من الحيض وقطع الصلاة وغير ذلك ، وكما لقريش الإمامة ، وليست لغيرهم وكل ذلك دين الإسلام – وبالله تعالى التوفيق وحسبنا الله ونعم الوكيل .

---

(٢٥) سورة النجم اية رقم ٣٢ وقد جاءت هذه الآية محرفة حيث ذكرت « ولا » بالواو بدلًا من (الفاء) .

(٢٦) فى (أ) : نفسه .

(٢٧) فى (أ) : افتخار .

(٢٨) الحديث أخرجه الترمذى رقم ٣٦١٨ فى المناقب ، ورواه مسلم فى ٢٢٧٨ فى الفضائل باب تفضيل نبينا – ﷺ – على جميع الخلائق . والحديث الثانى فضلت على الأنبياء بست رواه مسلم رقم ٥٢٣ فى المساجد فى فاتحته والترمذى رقم ١٥٥٣ فى السير باب ما جاء فى الغنيمة .

(٢٩) سورة يوسف آية رقم ٥٥

(٣٠) سورة البقرة آية رقم ٣٠

(٣١) الحديث رواه النسائى فى الطهارة ٣٤ ، ٣٥ ، والبخارى فى الوضوء ٢١ ورواه مسلم فى الطهارة ٥٨ ، وأبو داود فى الطهارة ٤ والترمذى فى الطهارة ١٤ ، وابن ماجه فى الطهارة ١٦ واحمد بن حنبل حـ ٢ ص ٢٤٧ ولفظه عند مسلم عن عبد الرحمن بن يزيد عن سلمان ... إنه نهانا أن يستنجى أحدنا بيمينه ، أو يستقبل القبلة ونهى عن الروث والعظام .

هل يكون مؤمنًا من اعتقد الإسلام دون استدلال أم لا يكون مؤمنًا مسلمًا إلّا من استدل ..؟

قال أبو محمد : ذهب محمد بن جرير الطبرى[1] والأشعرية كلها حاشا السمنانى إلى أنه لا يكون مسلمًا إلا من استدل ، وإلا فليس مسلمًا .

وقال الطبرى : من بلغ الاحتلام أو الإشعار من الرجال والنساء ، أو بلغ المحيض من النساء ، ولم يعرف الله عز وجل بجميع أسمائه وصفاته من طريق الاستدلال فهو كافر ، حلال الدم ، والمال ، وقال : إنه إذا بلغ الغلام أو الجارية سبع سنين وجب تعليمهما وتدريبهما على الاستدلال على كل[2] ذلك ، وقالت الأشعرية : لا يلزمهما الاستدلال على ذلك إلا بعد البلوغ .

قال أبو محمد : وقال سائر أهل الإسلام كل من اعتقد بقلبه اعتقادًا لا يشك فيه ، وقال بلسانه لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله وأن كل ما جاء به حق ، وبرىء من كل دين سوى دين محمد ﷺ فانه مسلم مؤمن ليس عليه غير ذلك .

قال أبو محمد : فاحتجت الطائفة الأولى بأن قالت : قد إتفق الجميع على أن التقليد مذموم وما لم يكن يعرف باستدلال فانما هو تقليد لا واسطة بينهما ، وذكروا قول الله عز وجل « إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتذون[3]» .

وقال تعالى « قال أولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه اباءكم[4]» .

وقال تعالى « أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون[5]» .

---

(١) هو : محمد بن جرير بن يزيد الطبرى أبو جعفر : المؤرخ المفسر ، ولد فى آمل طبرستان ، واستوطن بغداد وتوفى بها ، وعرض عليه القضاء فامتنع ، والمظالم فأبى له ، كتب : أخبار الرسل والملوك ، وجامع البيان فى تفسير القرآن ، واختلاف الفقهاء وغير ذلك كثيرا . توفى سنة ٣١٠ هـ . وفيات الأعيان حـ ١ ص ٤٥٦

(٢) سقط من (أ) : كل .

(٣) سورة الزخرف آية رقم ٢٣

(٤) سورة الزخرف آية رقم ٢٤ وقد جاءت الآية محرفة فى الأصل والمطبوعة لتبديله قال : بقل .

(٥) سورة البقرة آية رقم ١٧٠

وقال تعالى « وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا[٦] » .

وقالوا فذم الله تعالى إتباع الآباء والرؤساء قالوا : وبيقين ندرى أنه لا يعلم أحد أى الأمرين أهدى ولا هل يعلم الآباء شيئا أو لا يعلمون إلا بالدليل ، وقالوا : كل ما لم يكن يصح بدليل فهو دعوى ولا فرق بين الصادق والكاذب بنفس قولهما ، لكن بالدليل قال الله عز وجل « قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين[٧] » .

قالوا فمن لا برهان له فليس صادقا فى قوله ، وقالوا : ما لم يكن علمًا فهو شك وظن .

قالوا : والعلم : هو اعتقاد الشيء على ما هو به عن ضرورة واستدلال

قالوا : والديانات لا يعرف صحة الصحيح منها من بطلان الباطل منها بالحواس أصلا ، فصح أنه لا يعلم ذلك إلا من طريق الاستدلال ، فإذا لم يكن الاستدلال فليس المرء عالما بما لم يستدل عليه ، وإذا لم يكن عالما فهو شاك ظان[٨] وذكروا قول رسول الله ﷺ فى مسآئلة الملك فى القبر (ما تَقُولُ فِي هذا الرَّجُلِ ..؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ أو الموقِن فُإنه يَقُولُ هُوَ مُحمَّد رَسُول الله قال : وَأَمَّا المُنَافِقُ أَوْ المُرْتَابُ فإنه يَقُولُ : لا أَدْرى سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُه[٩]) قالوا : وقد ذكر الله عز وجل الاستدلال على الربوبيه والنبوة فى غير موضع من كتابه وأمر به ، وأوجب العلم به ، والعلم لا يكون إلا عن دليل كما قلنا .

وقال أبو محمد : « هذا كل ما موهوا به قد تقصيناه لهم غاية التقصى ، وكل هذا لا حجة لهم فى شيء منه على ما نبين بحول الله وقوته إن شاء الله تعالى لا إله إلا هو ، بعد أن نقول قولا تصححه المشاهدة ، أن جمهور هذه الفرقة أبعد من كل من ينتمى إلى البحث والاستدلال عن المعرفة بصحة الدلائل ، فاعجبوا لهذا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين[١٠] » .

قال أبو محمد : أما قولهم قد أجمع الجميع على أن التقليد مذموم وان ما لا يعرف باستدلال فإنما هو أخذ تقليدًا ، إذ لا وساطة بينهما فانهم شغبوا فى هذا المكان[١١] وثبوا فتركوا التقسيم الصحيح ، ونعم : إن التقليد لا يحل ألبتة وإنما التقليد أخذ المرء قولَ من دون رسول الله ﷺ ممن لم يأمرنا الله عز وجل باتباعه قط ، ولا بأخذ قوله ، بل حرم علينا ذلك ونهانا عنه .

---

(٦) سورة الأحزاب آية رقم ٦٧
(٧) سورة البقرة آية رقم ١١١
(٨) فى (أ) : ضال وهو تحريف .
(٩) الحديث رواه البخارى ١٨٨/٣ فى الجنائز باب ما جاء فى عذاب القبر ، ومسلم فى ٢٨٧٠ فى الجنة باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه ، وأبو داود رقم ٣٢٣١ فى الجنائز باب المشى فى النعل بين القبور ، والنسائى ٩٨/٩٧/٤ فى الجنائز باب مسألة الكافر .
(١٠) سقط من (ج) أنهم كانوا كافرين .
(١١) فى (أ) : (الامكان) .

وأما أخذ المرء قول رسول الله ﷺ الذى افترض علينا طاعته وألزمنا إتباعه وتصديقه وحذرنا عن مخالفة أمره وتوعدنا على ذلك أشد الوعيد ، فليس تقليدًا [وما سماه أحد قط من أهل الحق تقليدًا](١٢) بل هو إيمان وتصديق واتباع للحق وطاعة لله عز وجل ، وأداء للمفترض ، فموه هؤلاء القوم بأن اطلقوا على الحق الذى هو اتباع الحق اسم التقليد الذى هو باطل ، وبرهان ما ذكرنا أن أمرأ لو اتبع أحدًا دون رسول الله ﷺ فى قول قاله لأن فلانا قاله فقط ، واعتقد أنه لو لم يقل ذلك الفلان ذلك القول لم يقل به هو أيضًا ، فإن فاعل هذا القول مقلد مخطىء عاص لله تعالى ولرسوله ، ظالم آثم . سواء كان قد(١٣) وافق قوله ذلك الحق الذى قاله الله ورسوله أو خالفه ، وإنما فسق لأنه اتبع من لم يؤمر باتباعه ، وفعل غير ما أمره الله عز وجل أن يفعله ، ولو أن أمرًأ اتبع قول الله عز وجل وقول رسول الله ﷺ لكان مطيعا محسنا مأجورًا غير مقلد ، وسواء وافق الحق أو وهم فأخطأ ، وإنما ذكرنا هذا لنبين أن الذى أمرنا به ، وافترض علينا هو اتباع ما جاء به رسول الله ﷺ فقط ، وأن الذى حرم علينا هو اتباع من دونه أو اختراع قول لم يأذن به الله تعالى فقط ، وقد صح أن التقليد باطل لا يحل ، فمن الباطل الممتنع أن يكون الحق باطلًا معا ، والمحسن مسيئًا من وجه واحد معا ، فإذ ذلك كذلك فممتنع من أمر الله تعالى باتباعه ليس مقلدًا ولا فعله تقليدًا ، وإنما المقلد من اتبع من لم يأمره الله تعالى باتباعه ، فسقط تمويههم بذم التقليد ، وصح أنهم وضعوه فى غير موضعه، وأوقعوا اسم التقليد على ما ليس تقليدًا ، وبالله تعالى التوفيق .

وأما احتجاجهم بذم الله تعالى اتباع الآباء والكبراء ، فهو مما قلنا آنفا سواء بسواء ، لأن اتباع الآباء والكبراء وكل من دون رسول الله ﷺ فهو من التقليد المحرم ، المذموم فاعله ، فقط قال الله عز وجل : « اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء(١٤) » فهذا نص ما قلنا ولله الحمد .

قال أبو محمد : وأما احتجاجهم أنه لا يعرف أى الأمرين أهدى ولا هل يعلم الآباء شيئا أم لا إلا(١٥) بالدليل ، وإن كل ما لم يصح بدليل(١٦) فهو دعوى ، ولا فرق بين الصادق والكاذب بنفس قولهما ، وذكرهم قول الله تعالى : « قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين(١٧) » فإن هذا ينقسم قسمين .

---

(١٢) ما بين القوسين سقط من (أ) .
(١٣) فى (أ) : بزيادة : كان قد .
(١٤) سورة الأعراف آية رقم ٣
(١٥) سقط من (أ) كلمة : إلا .
(١٦) فى (أ) : به دليل .
(١٧) سورة البقرة آية رقم ١١١

فمن كان من الناس تنازعه نفسه إلى البرهان ولا تستقر نفسه إلى تصديق ما جاء به رسول الله ﷺ حتى يسمع الدلائل فهذا فرض عليه طلب الدلائل[١٨]، إلا أنه إن مات شاكًا أو جاحدًا قبل أن يسمع من البرهان ما يثلج صدره[١٩] فقد مات كافرًا ، وهو مخلد فى النار بمنزلة من لم يؤمن ممن شاهد رسول الله ﷺ حتى رأى المعجزات ، فهذا أيضا لو مات [قبل أن يرى المعجزة][٢٠] لمات كافرا بلا خلاف من أحد من أهل الإسلام ، وإنما أوجبنا على من هذه صفته طلب البرهان لأن فرضًا عليه طلب ما فيه نجاته من الكفر .

قال الله عز وجل « قوا أنفسكم وأهيلكم نارًا وقودها الناس والحجارة[٢١]» . فقد افترض الله عز وجل على كل أحد أن يقى نفسه النار .

فهؤلاء قسم وهم الأقل من الناس ، والقسم الثانى من استقرت نفسه إلى تصديق ما جاء به رسول الله ﷺ وسكن قلبه إلى الإيمان ، ولم تنازعه نفسه إلى طلب دليل توفيقا من الله عز وجل له وتيسيرًا لما خلق له من الخير والحسنى ، فهؤلاء لا يحتاجون إلى برهان ولا إلى تكيف استدلال ، وهؤلاء هم جمهور الناس من العامة ، والنساء ، والتجار ، والصناع ، والأكرة والعباد ، وأصحاب الأئمة الذين يذمون الكلام والجدل ، والمراء فى الدين .

قال أبو محمد : هم[٢٢] الذين قال الله فيهم : « ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه فى قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان ، أولئك هم الراشدون ، فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم[٢٣]» .

وقال تعالى : « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء[٢٤]» .

قال أبو محمد : وقد سمى الله عز وجل راشدين ، القومَ الذين زين الإيمان فى قلوبهم وحببه إليهم ، وكره إليهم الكفر والمعاصى فضلا منه ونعمة ، وهذا هو خلق الله تعالى للإيمان فى قلوبهم ابتداء ، وعلى ألسنتهم ؛ ولم يذكر الله تعالى فى ذلك استدلالًا أصلا ، وبالله تعالى التوفيق .

وليس هؤلاء مقلدين لآبائهم ولا لكبرائهم ، لأن هؤلاء مقرون بألسنتهم محققون فى قلوبهم أن

(١٨) فى (خ) : (الدليل) .
(١٩) فى (خ) : (نفسه) .
(٢٠) ما بين القوسين سقط من (أ) .
(٢١) سورة التحريم آية رقم ٦
(٢٢) سقط من (أ) هم .
(٢٣) سورة الحجرات آية رقم ٧ ، ٨
(٢٤) سورة الأنعام آية رقم ١٢٥

آباءهم ورؤساءهم لو كفروا هم بل كانوا يستحلون قتل آبائهم ، ورؤسائهم ، والبراءة منهم ويحسون من أنفسهم النفار العظيم عن كل من سمعوا منه ما يخالف الشريعة ، ويرون أن حرقهم بالنار أخف عليهم من مخالفة الإسلام .

وهذا أمر قد عرفناه من أنفسنا حسًا وشاهدناه فى ذواتنا يقينًا ، فلقد بقينا سنين كثيرة ولا نعرف الاستدلال ، ولا وجوهه ونحن ولله الحمد فى غاية اليقين بدين الإسلام ، وكل ما جاء به محمد ﷺ نجد أنفسنا فى غاية السكون إليه ، وفى غاية النفار عن كل ما يتعرض فيه بشك ، ولقد كانت تخطر فى قلوبنا خطرات سوء فى خلال ذلك ينبذها الشيطان ، فنكاد لشدة نفارنا عنها أن نسمع خفقان قلوبنا استبشاعًا لهما ، كما خبر رسول الله ﷺ إذ سئل عن ذلك فقالوا له : « إنَّ أَحَدُنا لَيحدثُ نَفْسَه بالشَيء ما أنه يقدم فَتُضْرَبَ عُنُقُه أَحَبُّ إليه مِنْ أَنْ يَتَكَلَمَ به[٢٥]» فأخبر رسول الله ﷺ بأن ذلك مَحْضُ الإِيمَانِ وأخبر أنه من وسوسة الشيطان ، وأمر ﷺ فى ذلك بما أمر به من التعوذ ، والقراءة ، والتفل عن اليسار ، ثم تعلمنا طرق الاستدلال وأحكمناها ، ولله تعالى الحمد فما زادنا يقينا على ما كنا بل عرفنا أننا كنا ميسرين للحق ، وصرنا كمن عرف وقد أيقن بكون الفيل موجودًا سماعًا ولم يره ثم رآه ، فلم يزدد يقينًا بصحة أنيته أصلًا ، لكن أرانا صحيح الاستدلال رفض بعض الآراء الفاسدة ، التى نشأنا عليها فقط كالقول فى الدين بالقياس ، وعلمنا أنا كنا مقتدين بالخطأ فى ذلك ولله تعالى الحمد ،

وأن المخالفين لنا ليعرفون من أنفسهم ما ذكرنا إلا أنهم يلزمهم أن يشهدوا على أنفسهم بالكفر قبل استدلالهم ولابد ، فصح بما قلنا أن كل من أمحض اعتقاد الحق بقلبه وقاله بلسانه فهم مؤمنون محققون ، وليسوا مقلدين أصلًا ، وإنما كانوا يكونون[٢٦] مقلدين لو أنهم قالوا واعتقدوا أننا إنما نتبع فى الدين آباءنا وكبراءنا فقط ، ولو أن آباءنا وكبراءنا تركوا دين محمد ﷺ لتركناه ، فلو قالوا : هذا واعتقدوه لكانوا مقلدين كفارًا غير مؤمنين ، لأنهم إنما اتبعوا آباءهم وكبراءهم ، الذين نهوا عن اتباعهم ، ولم يتبعوا النبى ﷺ الذى أمروا باتباعه – وبالله تعالى التوفيق .

وإنما كلف الله تعالى الإتيان بالبرهان إن كانوا صادقين – يعنى الكفار – المخالفين لما جاء به محمد ﷺ هذا نص الآية ولم يكلف قط المسلمين الإتيان بالبراهين ، وإلا سقط اتباعهم حتى يأتوا بالبرهان .

---

(٢٥) الحديث رواه الإمام مسلم فى الإيمان ٢٠٩ وأبو داود فى الأدب ١٠٩ وأحمد بن حنبل فى المسند حـ ٢ ص ٣٩٦ ولفظه عند مسلم : جاء ناس من أصحاب النبى – ﷺ فسألوه : إنا نجد فى أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به قال : وقد وجدتموه قالوا : نعم قال : ذاك صريح الإيمان .

(٢٦) فى (أ) : سقطت كلمة : يكونون .

والفرق بين الأمرين واضح ، وهو أن كل من خالف النبى ﷺ فلا برهان له أصلًا ، فكلف المجىء بالبرهان تبكيتًا وتعجيزًا إن كانوا صادقين – وليسوا صادقين فلا برهان لهم ، وأما من اتبع ما جاء به رسول الله ﷺ فقد اتبع الحق الذى قامت البراهين بصحته هنا[٢٧] ودان بالصدق الذى قامت الحجة البالغة بوجوبه ، فسواء علم هو بذلك البرهان أو لم يعلم حسبه أنه على الحق الذى صح بالبرهان ، ولا برهان على ما سواه فهو محق مصيب[٢٨] والحمد لله رب العالمين .

وأما قولهم : ما لم يكن علمًا فهو شك ، وظن . والعلم هو اعتقاد الشىء على ما هو به عن ضرورة أو استدلال .

قالوا : والديانات لا تعرف صحتها بالحواس ولا بضرورة العقل ، فصح أنه لا تعرف صحتها إلا بالاستدلال[٢٩] فإن لم يستدل المرء فليس عالمًا ، وإذا لم يكن عالمًا فهو جاهل شاك ، أو ظان ، وإذا كان لا يعلم الدين فهو كافر .

قال أبو محمد : فهذا ليس كما قالوا لأنهم قضوا قضية باطلة فاسدة ، بنوا عليها هذا الاستدلال ، وهو اقحامهم فى حد العلم .

قولهم : عن ضرورة واستدلال ، فهذه زيادة فاسدة لا نوافقهم عليها ، ولا جاء بصحتها قرآن ، ولا سنة ، ولا إجماع ، ولا لغة ، ولا طبيعة ، ولا قول صاحب .

وحد العلم على الحقيقة : أنه اعتقاد الشىء على ما هو به فقط ، فكل من اعتقد شيئا ما على ما هو به ولم يخالجه شك فيه فهو عالم به ، وسواء كان عن ضرورة حس ، أو عن بديهة عقل ، أو عن برهان استدلال ، أو عن تيسير الله عز وجل له ، وخلقه لذلك المعتقد فى قلبه ولا مزيد .

ولا يجوز ألبتة أن يكون محقق فى اعتقاد شىء كما هو ذلك الشىء وهو غير عالم به ، وهذا تناقض وفساد وتعارض – وبالله تعالى التوفيق .

وأما قولهم فى حديث رسول الله ﷺ فى مساءلة الملك فلا حجة لهم فيه ، بل هو حجة عليهم كما هو .

لأن رسول الله ﷺ إنما قال فيه : فأما المؤمن أو الموقن فيقول هو رسول الله » .

---

(٢٧) فى (خ) : بزيادة « هنا » .
(٢٨) فى (خ) : بزيادة مصيب .
(٢٩) ما بين القوسين سقط من (أ) .

ولم يقل عليه الصلاة والسلام فأما المستدل ، فحسبنا فوز المؤمن الموقن كيف كان إيمانه ويقينه .

وقال عليه الصلاة والسلام : « أما المنافق أو المرتاب » ولم يقل غير المستدل فيقول : سمعت الناس يقولون شيئا فقلته[٣٠]» فنعم هذا قولنا لأن المنافق والمرتاب ليسا موقنين ، ولا مؤمنين ، وهذه صفة مقلد للناس لا محقق ، فظهر أن هذا الخبر حجة عليهم كافية – وبالله تعالى التوفيق .

وأما قولهم : إن الله عز وجل قد ذكر الاستدلال فى غير موضع من كتابه وأمر به ، وأوجب العلم به ، والعلم لا يكون الا عن استدلال ، فهذه أيضا زيادة أقحموها وهى قولهم : « وأمر به » فهذا لا يجدونه أبدًا ، ولكن الله تعالى ذكر الاستدلال وحض عليه ، ونحن لا ننكر الاستدلال بل هو فعل حسن مندوب إليه ، محضوض[٣١] عليه . كل من أطاقه ، لأنه تزود من الخير وهو فرض على كل من لم تسكن نفسه إلى التصديق – نعوذ بالله عز وجل من البلاء وانما ننكر كونه فرضًا على كل أحد لا يصح إسلام أحد دونه هذا هو الباطل المحض .

وأما قولهم : إن الله تعالى أوجب العلم به فنعم .

وأما قولهم : والعلم لا يكون إلا عن استدلال فهذه هى الدعوة الكاذبة التى أبطلناها آنفًا وأول بطلانها أنها دعوى بلا برهان – وبالله تعالى العزيز الحكيم نتأيد .

قال أبو محمد : هذا كل ما شغبوا[٣٢] به قد نقضناه ، والحمد لله رب العالمين . فسقط قولهم إذ تعرى من البرهان ، وكان دعوى منهم مفتراه لم يأت بها نص قط ، ولا إجماع ، وبالله التوفيق .

قال أبو محمد : ونحن الآن ذاكرون بعون الله وتوفيقه وتأييده البراهين على بطلان قولهم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

قال أبو محمد : يقال لمن قال لا يكون مسلما إلا من استدل أخبرنا متى يجب عليه فرض الاستدلال أقبل البلوغ أم بعده ؟. ولابد من أحد الأمرين ، فأما الطبرى فإنه أجاب بأن ذلك واجب قبل البلوغ .

قال أبو محمد : وهذا خطأ لأن من لم يبلغ ليس مكلفًا ولا مخاطبًا ، وقد قال رسول الله ﷺ : « رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ فذكر الصغير حَتَّى يَحْتَلِمُ[٣٣]» فبطل جواب الطبرى رحمه الله .

---

(٣٠) هذا جزء من حديث طويل رواه ابن ماجه فى الزهد ٣٢ والترمذى فى الجنائز ٧٠ ورواه صاحب الموطأ فى الكسوف ٤ .
(٣١) فى (أ) : ممدود وهو تحريف .
(٣٢) فى (أ) : شنعوا .
(٣٣) الحديث رواه البخارى فى الطلاق ١١ والحدود ٢٢ ، وأبو داود ١٧ والترمذى فى الحدود ١ ، والنسائى فى الطلاق ٢١ ، وابن ماجه فى الطلاق ١٥ والدارمى فى الحدود ١ ورواه أحمد بن حنبل حـ ١ ص ١١٦ ، ١١٨

وأما الأشعرية : فإنهم أتوا بما يملأ الفم ، وتقشعر منها جلود أهل الإسلام ، وتصطك[٣٤] منها المسامع ، ويقطع ما بين قائلها وما بين الله عز وجل ، وهى أنهم قالوا : لا يلزم طلب الأدلة إلا بعد البلوغ ، ولم يقنعوا بهذه الجملة حتى كفونا المؤنة ، وصرحوا بما كنا نريد أن نلزمهم فقالوا غير مساترين : لا يصح إسلام أحد حتى[٣٥] يكون بعد بلوغه شاكا غير مصدق .

قال أبو محمد : ما سمعنا قط فى الكفر والانسلاخ من الإسلام بأشنع من قول هؤلاء القوم ، أنه لا يكون أحد مسلمًا حتى يشك فى الله عز وجل ، وفى صحة النبوة ، وفى هل رسول الله ﷺ صادق أم كاذب ؟ ولا سمع قط سامع فى الهوس[٣٦]، والمناقضة ، والاستخفاف بالحقائق ، بأقبح من قول هؤلاء أنه لا يصح الإيمان الا بالكفر ، ولا يصح التصديق إلا بالجحد ، ولا يوصل إلى رضاء الله عز وجل إلا بالشك فيه ، وأن من اعتقد مؤقنًا بقلبه وبلسانه أن الله تعالى ربه لا إله إلا هو وأن محمدًا رسول الله وأن دين الإسلام دين الله ، الذى لا دين غيره فإنه كافر مشرك – اللهم إنا نعوذ بك من الخذلان . فوالله لولا خذلان الله تعالى الذى هو غالب على أمره ما انطق[٣٧] لسان ذى مسكة بهذه العظيمة ، وهذا يكفى من تكلف النقض[٣٨] لهذه المقالة الملعونة ، ومن بلغ هذا المبلغ حسن السكوت عنه – ونعوذ بالله من الضلال .

ثم نقول لهم : أخبرونا عن هذا الذى أوجبتم عليه الشك فى الله فرضا[٣٩] والشك فى صحة النبوة والرسالة ، كم تكون هذه المدة التى أوجبتم عليه فى البقاء شاكا مستدلا طالبا للدلائل ؟ وكيف ان لم يجد فى قريته أو مدينته ولا فى إقليمه محسنا للدلائل ، فرحل طالبا للدلائل فاعترضته أهوال ومخاوف ، وتعذر[٤٠] بحر أو برد أو مرض ، فاتصل له ذلك ساعات و أياما وجمعًا وشهورا وسنين . ما قولكم فى ذلك ؟

فإن حدوا فى المدة يومًا أو يومين ، أو ثلاثة ، أو أكثر من ذلك ، كانوا متحكمين بلا دليل ، وقائلين بلا هدى من الله تعالى .

---

(٣٤) فى (أ) : تصدأ .
(٣٥) فى (خ) : (إلا بأن يكون) .
(٣٦) فى (أ) : فى الهوى وهو تحريف والعجيب أن الكثير من مبادىء الفلسفة الحديثة فى الغرب خصوصًا ما يتصل منها بالجانب العقدى أو الاشراق منقول برمته من علماء المسلمين فمثلًا منهج الشك عند ديكارت هو بعينه الطريق إلى الشك الذى وضعه الغزالى ، والملاحظة والتجربة عند فرنسيس بيكون تكان تكون قريبة مما قاله جابر بن حيان والحسن بن الهيثم . والكثير من علمائهم لا ينكرون هذه الحقيقة .
(٣٧) فى (أ) : ما انطلق .
(٣٨) فى (خ) : « النقص » بالصاد .
(٣٩) سقط من (أ) لفظ « الله » .
(٤٠) فى (أ) : من بحر وهو تحريف .

ولم يعجز أحد عن أن يقول فى تحديد تلك المدة بزيادة ، أو نقصان ، ومن بلغ هاهنا فقد ظهر فساد قوله .

وإن قالوا : لا نجد فى ذلك حدًا قلنا لهم : فإن امتد كذلك حتى يموت(٤١)، أو مات فى مدة استدلاله التى حددتم له ، وهو شاك فى الله تعالى ، وفى النبوة ، أيموت مؤمنًا وتجب له الجنة أم يموت كافرًا وتجب له النار ..؟

فإن قالوا : بل(٤٢) يموت مؤمنًا تجب له الجنة ، أتوا بأعظم الطوام ، وجعلوا الشكاك فى الله الذين هم عندهم شكاك مؤمنين من أهل الجنة ، وهذا كفر محض ، وتناقض لا خفاء به ، وكانوا مع ذلك قد سمحوا فى أن يبقى المرء دهره كله شاكا فى الله عز وجل ، وفى النبوة والرسالة .

فإن قالوا : بل يموت كافرًا تجب له النار .

قلنا لهم : لقد أمرتموه بما فيه هلاكه ، وأوجبتم عليه ما فيه دماره ، وما يفعل الشيطان إلا هذا فى أمره بما يؤدى إلى الخلود فى النار .

وإن قالوا : بل هو فى حكم أهل الفترة .

قلنا لهم : هذا باطل .

لأن أهل الفترة لم تأتيهم النذارة ولا بلغ إليهم خبر النبوة ، والنص إنما جاء فى أهل الفترة ، ومن زاد فى الخبر ما ليس فيه فقد كذب على الله عز وجل ، ثم نقول لهم وبالله تعالى التوفيق .

ما حد الاستدلال الموجب لاسم الإيمان عندكم ؟ وقد يسمع دليلا عليه اعتراض أيجزيه(٤٣) ذلك الدليل أم لا ؟

فإن قالوا يجزيه . قلنا لهم : ومن أين وجب أن يجزيه وهو دليل معترض فيه ، وليس هذه الصفة من الدلائل مخرجه عن الجهل إلى العلم بل هى مؤديه(٤٤) إلى الشك الذى كان عليه قبل الاستدلال .

فإن قالوا : بل لا يجزيه الا حتى يوقن أنه قد وقع على دليل لا يمكن الاعتراض فيه ، كلفوا الناس(٤٥) ما ليس فى وسع أكثرهم ، وما لا يبلغه الا قليل من الناس ، فى طويل من الدهر وكثير من البحث .

---

(٤١) فى (أ) : حتى فنى عمره .
(٤٢) فى (أ) : سقط كلمة (بل) .
(٤٣) فى (أ) : الجزية وهو تحريف ظاهر .
(٤٤) فى (أ) : بل هى مردودة فى الشك .
(٤٥) سقط من (أ) كلمة : الناس .

ولقد درى الله تعالى أنهم أصغار من العلم بذلك ، يعنى أهل هذه المقالة الملعونة الخبيثة .

قال أبو محمد : ومن البرهان الموضح لبطلان هذه المقالة الخبيثة أنه لا يشك أحد ممن يدرى شيئا من السير من المسلمين واليهود ، والنصارى والمجوس ، والمنانية والدهرية ، فى أن رسول الله ﷺ مذ بعث لم يزل يدعو الناس الجماء الغفير إلى الإيمان بالله تعالى ، وبما أتى به ويقاتل من أهل الأرض من قاتله ممن عنده ويستحل سفك دمائهم ، وسبى نسائهم وأولادهم ، وأخذ أموالهم ، متقربًا إلى الله تعالى بذلك وأخذ الجزية وإصغاره[٤٦] ويقبل ممن آمن به ويحرم ماله ودمه وأهله ، وولده ، ويحكم له بحكم الإسلام ، وفيهم المرأة البدوية ، والراعى ، والراعية ، والغلام الصحراوى الوحشى ، والزنجى المسبى ، والزنجية المجلوبة ، والرومى ، والرومية ، والأغبر[٤٧] الجاهل ، والضعيف فى فهمه ، فما منهم أحد ، ولا من غيرهم .

قال له عليه السلام : إنى لا أقبل إسلامك ولا يصح لك دين إلا حتى تستدل على صحة ما أدعوك إليه .

قال أبو محمد : لسنا نقول : إنه لم يبلغنا أنه عليه السلام قال ذلك لأحد بل نقطع نحن وجميع أهل الأرض ، قطعا كقطعنا على ما شاهدناه أنه عليه السلام لم يقل قط هذا لأحد ، ولا رد إسلام أحد حتى يستدل ، ثم جرى على هذه الطريقة جميع الصحابة رضى الله عنهم ، أولهم عن آخرهم ، ولا يختلف أحد فى هذا الأمر .

ثم جميع أهل الأرض إلى يومنا هذا ومن المحال الممتنع عند أهل الإسلام أن يكون عليه السلام يغفل أن يبين للناس ما لا يصح لأحد الإسلام الا به ، ثم تتفق على اغفال ذلك أو تعمد عدم[٤٨] ذكره جميع أهل الإسلام وتنبه له هؤلاء الأشقياء .

ومن ظن أنه وقع من الدين على ما لم يقع عليه رسول الله ﷺ فهو كافر بلا خلاف .

فصح أن هذه المقالة خرق[٤٩] للإجماع ، وخلاف لله تعالى ولرسوله ﷺ .

وجميع أهل الإسلام قاطبة .

فإن قالوا : فما كانت حاجة الناس إلى الآيات المعجزات ، وإلى احتجاج الله عز وجل عليهم بالقرآن ، واعجازه به ، وبدعاء اليهود إلى تمنى الموت ، ودعاء النصارى إلى المباهلة ، وشق القمر ؟

---

(٤٦) فى (أ) : وأصفاره بالفاء وهو تحريف ظاهر .
(٤٧) فى (أ) : الأغتر : وهو تحريف .
(٤٨) سقط من (خ) كلمة : عدم .
(٤٩) فى (أ) : خلاف .

قلنا وبالله تعالى التوفيق : قد قلنا(٥٠): إن الناس قسمان : قسم لم تسكن نفوسهم(٥١) إلى الإسلام ، ولا دخلها التصديق ، فطلبوا منه عليه السلام البراهين فأراهم المعجزات فانقسموا قسمين طائفة آمنت ، وطائفة عندت وجاهرت فكفرت ، وأهل هذه الصفة اليوم هم الذين يلزمهم طلب الأدلة(٥٢) فرضًا ولابد كما قدمنا(٥٣).

وقسم آخر : وفقهم الله تعالى لتصديقه عليه السلام وخلق عز وجل فى نفوسهم الإيمان كما قال تعالى – بل الله يمنّ عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين(٥٤)» فهؤلاء آمنوا له عليه السلام بلا تكليف [آية ، وأهل هذه الصفة هم اليوم المعتقدون للإسلام حقًا بلا معرفة باستدلال](٥٥).

قال أبو محمد : ويلزم أهل هذه المقالة أن جميع أهل الأرض كفار إلا الأقل ، وقد قال بعضهم إنهم مستدلون .

قال أبو محمد : وهذه مجاهرة هو يدرى أنه فيها كاذب ، وكل من سمعه يدرى أنه فيها كاذب لأن أكثر العامة من حاضرة وبادية لا يدرى معنى الاستدلال فكيف أن يستعمله ...؟

قال أبو محمد : ويلزم من قال بهذه المقالة أن لا يأكل من اللحم إلا ما ذبحه هو أو من يدرى أنه مستدل ، وأن لا يطأ إلا زوجة يدرى أنها مستدلة . ويلزمه أن يشهد على نفسه بالكفر ضرورة قبل استدلاله ومدة استدلاله ، وأن يفاق امرأته التى تزوج فى تلك المدة ، وأن لا يرث أخاه ولا أباه ولا أمه ، إلا أن يكونوا مستدلين ، وأن يعمل عمل الخوارج الذين يقتلون غيله ، وعمل المغيرية والمنصورية فى خنق(٥٦) كل من أمكنهم وقتله ، وأن يستحلوا أموال أهل الأرض ، بل لا يحل لهم الكف عن شيء من هذا كله لأن جهاد الكفار فرض وهذا كله إن التزموه طردوا أصولهم ، وكفونا(٥٧) أنفسهم ، وإن لم يقولوا بذلك تناقضوا .

فصح أن كل من اعتقد الإسلام بقلبه ، ونطق به بلسانه ، فهو مؤمن عند الله عز وجل ، ومن أهل الجنة ، سواء كان ذلك عن قبول ، أو نشأة ، أو عن استدلال ، وبالله تعالى التوفيق .

---

(٥٠) فى (أ) : سقط كلمة : قد قلنا .
(٥١) فى (أ) : قلوبهم .
(٥٢) فى (أ) : الاستدلال .
(٥٣) فى (أ) : كما قدمنا .
(٥٤) سورة الحجرات آية رقم ١٧
(٥٥) ما بين القوسين سقط من (أ) .
(٥٦) فى (أ) : فى ذبح .
(٥٧) فى (أ) : وكفروا أنفسهم .

وأيضا فنقول لهم : هل استدل من مخالفيكم فى أقوالكم التى تدينون بها أحد أم لم يستدل قط أحد غيركم ؟ فلابد من اقرارهم بأن مخالفيهم أيضا قد استدلوا وهم عندكم مخطئون كمن لم يستدل ولا فرق(٥٨) وأنتم عندهم أيضا مخطئون .

فإن قالوا : إن الادلة أمنتنا من أن نكون مخطئين .

قلنا لهم : وهذا نفسه هو قول خصومكم فإنهم يدعون أن أدلتهم دلتهم(٥٩) على صواب قولهم ، وخطأ قولكم ، ولا فرق . مازالوا على هذه الدعوى مذ كانوا إلى يومنا هذا ، فما نراكم حصلتم من استدلالكم إلا على ما حصل عليه من لم يستدل سواء بسواء ولا فرق .

فإن قالوا لنا : فعلى قولكم هذا يبطل الاستدلال جملة وتبطل الدلائل(٦٠) كافة :

قلنا : معاذ الله من هذا .

لكن أريناك أنه قد يستدل من يخطىء ، وقد يستدل من يصيب ، بتوفيق الله تعالى فقط .

وقد لا يستدل من يخطىء ، وقد لا يستدل من يصيب ، بتوفيق الله تعالى ، وكل ميسر لما خلق له .

والبرهان والدلائل الصحاح غير المموهة ، فمن وفق للحق(٦١) الذى قامت عند غيره البراهين الصحاح بصحته فهو مصيب ، محق ، مؤمن ، استدل أو لم يستدل .

ومن يسر للباطل ، الذى قام البرهان عند غيره ببطلانه ، فهو مبطل مخطىء ، أو كافر ، سواء استدل أو لم يستدل ، وهذا هو الذى قامت(٦٢) البراهين بصحته .

والحمد لله رب العالمين . وبالله تعالى التوفيق .

---

(٥٨) سقط من (أ) ولا فرق .
(٥٩) سقط من (أ) كلمة : دلتهم .
(٦٠) فى (أ) : الدليل .
(٦١) فى (أ) : فمن وافق الحق .
(٦٢) فى (أ) : قام البرهان .

الكلام فى الوعد والوعيد

قال أبو محمد : اختلف الناس فى الوعد والوعيد فذهبت كل طائفة لقول . منهم من قال : إن صاحب الكبيرة ليس مؤمنًا ولكنه كافر أو فاسق أو كافر نعمة أى[1] أن كل من مات مصرًّا على كبيرة من الكبائر فلم يمت مسلمًا ، وإذا لم يمت مسلمًا فهو مخلد فى النار أبدًا .

وأن من مات ولا كبيرة له ، أو تاب عن كبائره قبل موته فإنه[2] مؤمن من أهل الجنة لا يدخل النار أصلا .

ومنهم من قال بأن كل ذنب صغير أو كبير فهو مخرج عن الإيمان والإسلام فإن مات عليه فهو غير مسلم . وغير المسلم فهو[3] مخلد فى النار وهذه مقالات الخوارج والمعتزلة .

إلا أن بكر بن أخت[4] عبد الواحد بن زيد قال فى طلحة[5]، والزبير[6] رضى الله عنهما ، أنهما كافران من أهل الجنة لأنهما من أهل بدر ، وقد قال رسول الله ﷺ إن الله تعالى قال لأهل بدر « اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم[7]» .

قال : فأهل بدر إن كفروا فمغفور لهم ، لأنهم بخلاف غيرهم وقال بعض المرجئة :

---

(١) سقط من (أ) أو كافر نعمة أى .
(٢) فى (خ) : فهو .
(٣) سقط من (أ) فهو .
(٤) راجع ترجمته فى الجزء الثالث ص ٢٦١
(٥) هو : طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو ، ويكنى أبا محمد أسلم مبكرًا وقتل فى معركة الجمل راجع ترجمة وافية له فى طبقات ابن سعد حـ ٣ ص ٢١٤ إلى ٢٢٥ .
(٦) الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى ، وأمه صفية بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قص ، وقال عنه الرسول – ﷺ « لكل بنى حوارى وإن حواريى الزبير ، قتل عند انصرافه من معركة الجمل راجع ترجمته فى طبقات ابن سعد حـ ٣ ص ١٠٠ ومابعدها .
(٧) الحديث أخرجه مسلم ، وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ٣٠٣/٩ ، ٣٠٤ ونسبه لأبى يعلى فى الكبير ، والبزار والطبرانى فى الأوسط وقال الهيثمى ورجالهم رجال الصحاح . راجع جامع الأصول حـ ٨ ص ٣٦٢ .

لا تضر مع الإسلام سيئة ، كما لا ينفع مع الكفر حسنة قالوا : فكل مسلم ولو بلغ كل[٨] معصية فهو من أهل الجنة ، لا يرى نارًا ، وإنما النار للكفار ، وَكِلا هاتين الطائفتين لا تقر بأن أحدًا يدخل النار ثم يخرج عنها ، بل من دخل النار فهو مخلد فيها أبدًا ، ومن كان من أهل الجنة فهو لا يدخل النار .

وقال أهل السنة والحسين النجار[٩] وأصحابه وبشر بن غياث المريسى[١٠]، وأبو بكر ابن عبد الرحمن بن كيسان الأصم البصرى[١١]، وغيلان بن مروان[١٢] الدمشقى القدرى ، ومحمد ابن شبيب[١٣]، ويونس بن عمران[١٤]، وأبو العباس الناشىء[١٥]، والأشعرى[١٦]، وأصحابه ، ومحمد ابن كرام[١٧]، وأصحابه ، أن الكفار مخلدون فى النار ، وأن المؤمنين كلهم فى الجنة ، وإن كانوا أصحاب كبائر ماتوا مصرين عليها .

وأنهم طائفتان ، طائفة يدخلون النار ثم يخرجون منها أى من النار إلى الجنة ، وطائفة لا تدخل النار ، إلا أن كل من ذكرنا قالوا لله عز وجل أن يعذب من شاء من المؤمنين أصحاب الكبائر بالنار ثم يدخلون الجنة ، وله أن يغفر لهم ويدخلهم الجنة بدون أن يعذبهم ، ثم افترقوا فقالت طائفة منهم وهو محمد بن شبيب ، ويونس ، والناشىء ، إن عذب الله تعالى واحدًا من أصحاب الكبائر عذب جميعهم ولا بد ، ثم أدخلهم الجنة ، وإن غفر لواحد منهم غفر لجميعهم ولابد .

وقالت طائفة : بل يعذب من يشاء ، ويغفر لمن يشاء ، وإن كانت ذنوبهم كثيرة مستوية .

وقد يغفر لمن هو أعظم جرمًا ، ويعذب من هو أقل جرمًا .

وقال ابن عباس وابن عمر[١٨] رضى الله عنهم يغفر لمن يشاء من أصحاب الكبائر ، ويعذب من يشاء منهم ، إلا القاتل عمدًا فإنه مخلد فى النار أبدًا .

(٨) فى (أ) : على .
(٩) راجع ترجمته فى الجزء الثالث ص ٧
(١٠) بشر بن غياث المريسى ت سنة ٢١٨ هـ راجع ترجمة له وافية فى الجزء الثالث ص ٣٣
(١١) أبو بكر بن عبد الرحمن بن كيسان : راجع ترجمته فى الجزء الثالث ص ٣٤
(١٢) غيلان بن مسلم الدمشقى أبو مروان : تنسب إليه فرقة الغيلانية من القدرية ، وهو ثانى من تكلم فى القدر ودعا إليه قال الشهرستانى : كان غيلان يقول بالقدر خيره وشره من العبد ، وفى الإمامة أنها تصلح فى غير قريش وتوفى بعد ١٠٥ هـ الملل والنحل حـ ١ ص ٢٢٧
(١٣) محمد بن شبيب : راجع ترجمته فى الجزء الثالث ص ٣٤
(١٤) يونس بن عمران : راجع ترجمته فى الجزء الثالث ص ٣٤
(١٥) أبو العباس الناشىء ت ٢٦٦ هـ راجع ترجمته فى الجزء الثالث ص ٣٤
(١٦) الأشعرى : راجع ترجمته فى هذا الكتاب حـ ٣ ص ١٣
(١٧) محمد بن كرام راجع ترجمته فى الجزء الثالث ص ٢٢٧
(١٨) عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوى ، أبو عبد الرحمن . صحابى . نشأ فى الإسلام وهاجر إلى المدينة مع أبيه وشهد فتح مكة ، ومولده ووفاته فيها ، أفتى الناس فى الإسلام ستين سنة ، وغزا افريقيا مرتين ، وكفّ بصره فى آخر حياته ، وهو آخر من توفى بمكة من الصحابة سنة ٧٣ هـ له فى كتب الحديث ٢٦٣٠ حديثا . الاصابة فى تمييز الصحابة ت ٤٨٢٥

وقالت طائفة منهم : من لقى الله عز وجل مسلمًا تائبًا من كل كبيرة أو لم يكن عمل كبيرة قط فسيئاته كلها مغفورة ، وهو من أهل الجنة ، لا يدخل النار ، ولو بلغت سيئاته ما شاء الله أن تبلغ ، ومن لقى الله عز وجل وله كبيرة لم يتب منها فأكثر ، فالحكم فى ذلك الموازنة .

فمن رجحت حسناته على كبائره ، وسيئاته ، فإن كبائره وسيئاته كلها تسقط وهو من أهل الجنة لا يدخل النار ، ومن[١٩] استوت حسناته مع كبائره ، وسيئاته ، فهؤلاء أهل الأعراف ، ولهم وقفة ولا يدخلون النار ، ثم يدخلون الجنة .

ومن رجحت كبائره وسيئاته بحسناته ، فهؤلاء مجازون بقدر ما رجح لهم من الذنوب ، فمن لفحة واحدة إلى بقاء خمسين ألف سنة فى النار ، ثم يخرجون منها إلى الجنة بشفاعة رسول الله ﷺ ، وبرحمة الله تعالى .

وكل من ذكرنا يجازون فى الجنة بقدر ما فضل لهم من الحسنات ، وأما من لم يفضل له حسنة من أهل الاعراف فمن[٢٠] دونهم ، وكل من خرج من النار بالشفاعة وبرحمة الله تعالى فهم كلهم سواء فى الجنة ، ولكل امرىء منهم مثل الدنيا عشر مرات وهم أقل خطأ فى الجنة[٢١] ممن رجحت له حسنة فصاعدا .

قال أبو محمد : فأما من قال : بأن صاحب الكبيرة يخلد وصاحب الذنب كذلك ، فإن حجتهم قول الله عز وجل : « ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون[٢٢] » .

وقوله تعالى « من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ، ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم فى النار[٢٣] » .

وقوله تعالى « والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كأنما أغشيت وجوههم قطعًا من الليل مظلما أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون[٢٤] » .

وقوله تعالى : « ومن يعصى الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارًا خالدا فيها[٢٥] » .

---

(١٩) فى (أ) : وإن .
(٢٠) فى (خ) : لمن .
(٢١) ما بين القوسين سقط من (أ) .
(٢٢) سورة يونس ٦٢
(٢٣) سورة النمل آية رقم ٩٠
(٢٤) سورة يونس آية رقم ٢٧
(٢٥) سورة النساء آية رقم ١٤

وبقوله تعالى : « ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما[٢٦] » .

وقوله « ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما ، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا إلا من تاب وآمن[٢٧] » .

وقوله تعالى « إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا[٢٨] » .

وقوله تعالى « إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة[٢٩] الآية » .

وقوله تعالى « ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير[٣٠] » .

وقوله « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا ... إلى قوله تعالى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم[٣١] » .

وقوله تعالى « الذين يأكلون الربا[٣٢] .. الآية .

وذكروا أحاديث صحت عن النبى ﷺ فى وعيد شارب الخمر وقاتل الهرة ، ومن قتل نفسه بسم أو حديدة أو تردى من جبل ، فإنه يفعل ذلك به فى جهنم خالدًا ، ومن قتل نفسه حرم الله عليه الجنة ، وأوجب له النار .

وذكروا أن الكبيرة تزيل إسم الإيمان ، فبعضهم قال إلى شرك ، وبعضهم قال إلى كفر نعمة ، وبعضهم قال إلى نفاق ، وبعضهم قال إلى فسق قالوا فإذ ليس مؤمنا فلا يدخل الجنة ، لأنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون ، هذا كل ما احتجوا به ما نعلم لهم حجة أصلا غير ما ذكرنا ، وأما من خص القاتل بالتخليد فإنهم احتجوا بقوله تعالى : « ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا فجزاؤه جهنم

---

(٢٦) سورة النساء آية رقم ٩٣
(٢٧) سورة الفرقان آية رقم ٦٨
(٢٨) سورة النساء آية رقم ١٠
(٢٩) سورة النور آية رقم ٢٣
(٣٠) سورة الأنفال آية رقم ١٦
(٣١) سورة المائدة آية رقم ٣٣
(٣٢) سورة البقرة آية رقم ٢٧٥

خالدًا فيها[٣٣]» فقط وأما من قطع باسقاط الوعيد عن كل مسلم فانهم[٣٤] احتجوا بقول الله تعالى لا يصلاها إلا الأشقى الذى كذب وتولى[٣٥]» .

قالوا : وهذه الآية مثبتة أن كل من توعده الله عز وجل على قتل أو زنا أو ربا أو غير ذلك فإنما هم الكفار خاصة لا غيرهم . واحتجوا بقول رسول الله ﷺ : من قال لا إله إلا الله حرم الله عليه النار وأوجب له الجنة » . « ومن قال لا إله إلا الله مخلصًا من قلبه دخل الجنة وإن زنا وإن سرق وإن شرب الخمر ، على رغم أنف أبى ذر[٣٦]» .

وقول الله عز وجل : « إن رحمة الله قريب من المحسنين[٣٧]» .

قالوا : ومن قال لا إله إلا الله محمد رسول الله فقد أحسن فهو محسن فرحمة الله قريب منه ، ومن رحمه الله فلا يعذب وقالوا : كما أن الكفر محبط لكل حسنة ، فإن الإيمان يكفر كل سيئة – والرحمة والعفو أولى بالله عز وجل .

قال أبو محمد : هذا كل ما احتجوا به ما نعلم لهم حجة غير هذا أصلًا أو يدخل فيما ذكرنا ولا يخرج عنه . وبالله تعالى التوفيق .

وأما من قال : إن الله تعالى يغفر لمن يشاء ، ويعذب من يشاء ، وقد يعذب من هو أقل ذنوبًا ممن يغفر لهم فإنهم احتجوا بقول الله عز وجل « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء[٣٨]» وبعموم قوله تعالى : « يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء[٣٩]» وبقول رسول الله ﷺ : « خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَتبهن الله عَلَى الْعَبْدِ مَنْ جَاءَ بِهِنَّ لَمْ يَنْقُصْ مِنَ حُدُودِهِن شَيْئًا كَانَ لَهُ عِنْدَ الله عهد أَنْ يُدْخِلَه الْجَنَّةَ ، وَمَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِنَّ لَمْ يَكُنْ له عِنْد الله عَهْدٌ إِنْ شَاءَ عَذَّبَه ، وإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ[٤٠]» وجعلوا الآيتين اللتين ذكرنا قاضيتين على جميع الآيات التى تعلقت بها سائر الطوائف ، وقالوا لله الأمر كله لا معقب لحكمه فهو يفعل ما يشاء ما نعلم لهم حجة غير ما ذكرنا .

---

(٣٣) سورة النساء آية رقم ٩٣
(٣٤) فى (أ) : سقطت كلمة : فانهم .
(٣٥) سورة الليل آية رقم ١٥
(٣٦) الحديث رواه مسلم فى الإيمان رقم ١٥٤ ، والبخارى فى اللباس رقم ٢٤ ولفظه عند مسلم من قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة . قلت وإن زنى وإن سرق ، قال وإن زنى وإن سرق قلت وإن زنى وإن سرق قال : وإن زنى وإن سرق ثلاثًا ثم قال فى الرابعة على رغم أنف أبى ذر .
(٣٧) سورة الأعراف آية رقم ٥٦
(٣٨) سورة النساء آية رقم ٤٨
(٣٩) سورة آل عمران آية رقم ١٢٩
(٤٠) هذا الحديث تم تخريجه فى ص ١٤٦

قال أبو محمد : وأما من قال بمثل هذا الا أنه قال الله تعالى إن عذب واحدًا منهم عذب الجميع ، وإن غفر لواحد منهم غفر للجميع ، فإنهم قدرية ، جنحوا[٤١] بهذا القول نحو العدل ، ورأوا أن المغفرة لواحد ، وتعذيب من له مثل ذنوبه جور ، ومحاباة ، ولا يوصف الله عز وجل بذلك .

وأما من قال بالموازنة فإنهم احتجوا فقالوا : إن آيات الوعيد ، وأخبار الوعيد ، التى احتج بها من ذهب مذهب المعتزلة ، والخوارج ، فإنها لا يجوز أن تخص بالتعليق بها دون آيات العفو ، وأحاديث العفو التى احتج بها من أسقط الوعيد ، [وكذلك الآيات التى احتج بها من اسقط الوعيد][٤٢] لا يجوز[٤٣] التعلق بها ، دون الآيات التى احتج بها من أثبت الوعيد بل الواجب جمع جميع تلك الآيات ، وتلك الأخبار ، وكلها حق ولكها من عند الله ، وكلها مجمل يفسرها آيات الموازنة ، وأحاديث الشفاعة ، التى هى بيان لعموم تلك الآيات ، وتلك الأخبار ، وكلها من عند الله ، قالوا : ووجدنا الله عز وجل قد قال : « يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحد[٤٤]» .

وقال تعالى : « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئًا ، وإن كان مثقال حبة من خردل[٤٥] — الآية .

وقال تعالى : « فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره[٤٦]» .

وقال تعالى : « وما كان الله ليضيع إيمانكم[٤٧]» .

وقال تعالى : « فإذا هم جميع لدينا محضرون فاليوم لا تظلم نفس شيئا[٤٨] — الآية » .

وقال تعالى : « ليجزى الله كل نفس ما كسبت إن الله سريع الحساب[٤٩]» .

وقال تعالى : « ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون[٥٠]» .

---

(٤١) فى (خ) : نحوا .
(٤٢) ما بين القوسين سقط من (أ) .
(٤٣) فى (أ) : بزيادة : هى .
(٤٤) سورة الكهف آية رقم ٤٩
(٤٥) سورة الأنبياء آية رقم ٤٧
(٤٦) سورة الزلزلة آية رقم ٧ ، ٨
(٤٧) البقرة آية رقم ١٤٣
(٤٨) سورة يس آية رقم ٥٣ ، ٥٤
(٤٩) سورة إبراهيم آية رقم ٥١
(٥٠) سورة البقرة آية رقم ٢٨١ ولقد جاءت هذه الآية محرفة فى الأصل بزيادة (واو) .

وقال تعالى : « لتجزى كل نفس بما تسعى[٥١]» .

وقال تعالى : « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى – إلى قوله الجزاء الأوفى[٥٢]» .

وقال تعالى : « وان للذين ظلموا عذابا دون ذلك[٥٣]» .

وقال تعالى : « ليجزى الذين أساؤا بما عملوا[٥٤] – الآية » .

وقال تعالى : « هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت[٥٥]» .

وقال تعالى : « وإن كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم[٥٦]» .

وقال تعالى : « وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله – الآية[٥٧]» .

وقال تعالى : « ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءا يجزبه ولا يجد له – الآية[٥٨]» .

وقال تعالى : « وما يفعلوا من خير فلن يكفروه[٥٩]» .

وقال تعالى : « إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤتى من لدنه أجرا عظيما[٦٠]» .

وقال تعالى : « إنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى[٦١]» .

وقال تعالى : « وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد[٦٢] إلى قوله تعالى : قال قرينه ربنا أطغيته ولكن كان فى ضلال بعيد إلى قوله تعالى : وما أنا بظلام للعبيد[٦٣]» .

---

(٥١) سورة طه آية رقم ١٥
(٥٢) سورة النجم آية رقم ٣٩ إلى ٤١
(٥٣) سورة الطور آية رقم ٤٧
(٥٤) سورة النجم آية رقم ٣١
(٥٥) سورة يونس آية رقم ٣٠
(٥٦) سورة هود آية رقم ١١١
(٥٧) سورة المزمل آية رقم ٢٠
(٥٨) سورة النساء آية رقم ١٢٣
(٥٩) سورة آل عمران آية رقم ١١٥
(٦٠) سورة النساء آية رقم ٤٠
(٦١) سورة آل عمران آية رقم ١٩٥
(٦٢) سورة ق آية رقم ٢١
(٦٣) سورة ق آية رقم من ٢٢ إلى ٢٩

وقال تعالى : « فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية » وأما من خفت موازينه[٦٤]... إلى آخر السوة .

وقال تعالى : « إن الحسنات يذهبن السيئات[٦٥]» .

وقال تعالى : « ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم[٦٦]» .

وقال تعالى : « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ، ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها[٦٧]» .

وقال تعالى : « اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم[٦٨]» .

هذا نص كلامه يوم القيامة ، وهو القاضى على كل مجمل قالوا : فنص الله عز وجل أنه يضع الموازين القسط ، وأنه لا يظلم أحدا شيئا ، ولا مثقال حبة خردل ، ولا مثقال ذرة من خير ، أو من شر ، فصح أن السيئة لا تحبط الحسنة ، وأن الإيمان لا يسقط الكبائر .

ونص الله تعالى أنه تجزى كل نفس بما كسبت وما عملت وما سعت وأنه ليس لأحد إلا ما سعى وأنه سيجزى بذلك من أساء بما عمل ومن أحسن بالحسنى ، وأنه تعالى يوفى الناس أعمالهم ، فدخل فى ذلك الخير والشر .

وأنه تعالى يجازى بكل خير عمل[٦٩] وبكل سوء عمل ، وهذا كله يبطل قول من قال بالتخليد ضرورة ، وقول من قال باسقاط الوعيد جملة ، لأن المعتزلة تقول : إن الإيمان يضيع ويحبط . وهذا خلاف قول الله تعالى إنه لا يضيع إيماننا ولا عمل عامل منا .

وقالوا هم : ان الخير ساقط بسيئة واحدة .

وقوله تعالى : « إن الحسنات يذهبن السيئات[٧٠]» .

فقالوا هم : إن السيئات يذهبن الحسنات .

وقد نص تعالى أن الأعمال لا يحبطها إلا الشرك والموت عليه .

---

(٦٤) سورة القارعة آية رقم ٦ إلى ١١
(٦٥) سورة هود آية رقم ١١٤
(٦٦) سورة البقرة آية رقم ٢١٧
(٦٧) سورة الأنعام رقم ١٦٠
(٦٨) سورة غافر آية رقم ١٧ وقد جاءت الآية محرفة فى الأصل بنقص (الباء) فى بما .
(٦٩) فى (أ) : سقطت كلمة (عمل) .
(٧٠) سورة هود آية رقم ١١٤

وقال تعالى : « من جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها[٧١] » .

فلو كانت كل سيئة ، أو كل[٧٢] كبيرة ، توجب الخلود فى جهنم ، وتحبط الأعمال الحسنة ، لكانت كل سيئة ، أو كل كبيرة كفرا ، ولتساوت السيئات كلها ، وهذا خلاف النصوص ، وعلمنا بما ذكرنا أن الذين قال الله تعالى فيهم : « ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون[٧٣] » .

هم الذين رجحت حسناتهم على سيئاتهم ، فسقط كل سيئة قدموها وصح أن قوله تعالى ، ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم فى النار[٧٤] » هم من رجحت كبائرهم حسناتهم ، وأن السيئة الموجبة للخلود هى الكفر ، لأن النصوص جاءت بتقسيم السيئات . فقال تعالى : « إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم[٧٥] » فهذه سيئات مغفورة باجتناب الكبائر .

وقال تعالى : « وجزاء سيئة سيئة مثلها[٧٦] » .

وقال تعالى : « ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره[٧٧] » .

فأخبر تعالى أن من السيئات المجازى بها ما هو مقدار ذرة ، ومنها ما هو أكبر . ولا شك[٧٨] فى أن الكفر أكبر السيئات ، فلو كانت كل كبيرة جزاؤها الخلود ، لكانت كلها كفرًا ولكانت كلها سواء ، وليست كذلك بالنص .

وأما وعيد الله بالخلود فى القاتل وغيره ، فلو لم يأت إلا هذه النصوص لوجب الوقوف عندها ، لكنه قد قال تعالى – لا يصلاها إلا الأشقى الذى كذب وتولى[٧٩] » وكلامه تعالى لا يختلف ولا يتناقض ، وقد صح أن القاتل ليس كافرًا ، وأن الزانى ليس كافرًا ، وأن أصحاب تلك الذنوب المتوعد عليها ليسوا كفارًا بما ذكرنا قبل من أنهم مباح لهم نكاح المسلمات ، وأنهم مأمورون بالصلوات ، وأن زكاة أموالهم مقبوضة ، وأنهم لا يقتلون ، وأنه إن عفى عن القاتل فقتله مسلم فإنه يقتل به ، وأنه يرث ، ويورث ، وتؤكل ذبيحته ، فإذ ليس كافرًا فبيقين ندرى أن خلوده إنما هو مقام مدة ما ، وأن الصلى الذى نفاه الله تعالى عن كل من لم يكذب ولا تولى إنما هو صلى الخلود ، ولا يجوز ألبتة غير هذا .

---

(٧١) سورة الأنعام آية رقم ١٦٠

(٧٢) سقط من (أ) كلمة (كل) .

(٧٣) سورة البقرة آية رقم ٦٢

(٧٤) سورة النمل آية رقم ٩٠

(٧٥) سورة النساء آية رقم ٣١

(٧٦) سورة الشورى آية رقم ٤٠

(٧٧) سورة الزلزلة آية رقم ٨ .

(٧٨) سقط من (أ) (فى) .

(٧٩) سورة الليل آية رقم ١٥

وبهذا تتآلف النصوص وتتفق ومن المعهود فى المخاطبة أن من وفد من بلد إلى بلد فحبس فيه مدة ما لأمر أوجب احتباسه فيه مدة ما ، فإنه ليس من أهل ذلك البلد الذى حبس فيه ، فمن دخل فى النار ثم أخرج منها فقد انقضى[٨٠] عنه صلبها ، فليس منَ أهلها ، وإنما أهلها ، وأهل صليها على الاطلاق ، والجملة هم الكفار المخلدون فيها أبدا ، فهكذا جاء فى الحديث الصحيح فقد ذكر عليه السلام فيه من يدخل النار بذنوبه ، ثم يخرج منها ، ثم قال ﷺ : وأما أهل النار الذين هم أهلها[٨١] – يعنى الكفار المخلدين فيها .

وقد قال عز وجل « وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ، ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا[٨٢]» . فقد بين عليه السلام ذلك بقوله فى الخبر الصحيح : « ثم يضرب الصراط بين ظهرانى جهنم[٨٣]» فالبقران وكلام رسول الله ﷺ صح أن ممر الناس من محشرهم إلى الجنة إنما هو بخوضهم وسط جهنم ، وينجى الله تعالى أولياءه من حرها وهم الذين لا كبائر لهم أولهم كبائر تابوا عنها ، ورجحت حسناتهم بكبائرهم ، أو تساوت كبائرهم وسيئاتهم بحسناتهم ، وأنه تعالى يمحص من رجحت كبائره وسيئاته بحسناته ، ثم يخرجهم عنها إلى الجنة بإيمانهم ، ويمحق الكفار بتخليدهم فى النار ، كما قال تعالى : « وليمحص الله الذين آمنوا يمحق الكافرين[٨٤]» وأيضا فإن كل آية وعيد ، وخبر وعيد ، تعلق به من قال بتخليد المذنبين فإن المحتجين بتلك النصوص هم أول مخالف لها ، لأنهم يقولون إن من أتى بتلك الكبائر ثم تاب سقط عنه الوعيد ، فقد تركوا ظاهر تلك النصوص . فإن قالوا : إنما قلنا ذلك بنصوص أخر أوجبت ذلك . قيل لهم : نعم . وكذلك فعلنا نحن[٨٥] بنصوص أخر ، وهى آيات الموازنة ، وأنه تعالى لا يضيع عمل عامل من خير أو شر ولا فرق . ويقال لمن أسقط آيات الوعيد جملة ، وقال إنها كلها إنما جاءت فى الكفار ، إنّ هذا باطل لأن نص القرآن بالوعيد على الفار من الزحف ، ليس إلا على المؤمن بيقين ، وبنص الآية فى قوله تعالى « ومن يولهم يومئذ دبره[٨٦]» .

ولا يمكن أن يكون هذا فى كافر أصلا ، فسقط قول من قال بالتخليد ، وقول من قال باسقاط الوعيد ، ولم يبق إلا قول من أجمل جواز المغفرة ، وجواز[٨٧] العقاب .

(٨٠) فى (خ) : انقطع .
(٨١) فى (أ) : فيها .
(٨٢) سورة مريم آية رقم ٧١
(٨٣) الحديث رواه البخارى فى الآذان ١٢٩ والتوحيد ٢٤ ، ورواه مسلم فى الإيمان ٢٩٩ وابن ماجه فى الزهد ٣٣ واحمد بن حنبل ح ٣ ص ٢٩٢
(٨٤) سورة آل عمران آية رقم ١٤١
(٨٥) سقط من (أ) كلمة (نحن) .
(٨٦) سورة الأنفال آية رقم ١٦
(٨٧) فى (أ) : وجوز العقات .

قال أبو محمد : فوجدنا هذا القول مجملًا قد فسرته آيات الموازنة ، وقوله تعالى الذى تعلقوا به « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء(٨٨) » حق على ظاهرها ، وعلى عمومها ، وقد فسرتها باقرارهم آيات أخر ، لأنه لا يختلف فى أن الله تعالى يغفر أن يشرك به لمن تاب من الشرك بلا شك .

وكذلك قوله تعالى « ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » .

فهذا كله حق إلا أنه قد بين من هم الذين شاء أن يغفر لهم ، فإن صرتم إلى بيان الله تعالى فهو الحق ، وإن أبيتم إلا الثبات على الإجمال فأخبرونا عن قول الله تعالى : « يا عبادى الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا(٨٩) » .

وقوله تعالى : « بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء(٩٠) » .

أترون أن هذا العموم تقولون به فتجيزون أن يغفر الكفر لأنه ذنب من الذنوب أم لا ؟ وأخبرونا عن قول الله عز وجل حاكيا عن عيسى عليه السلام ، أنه يقول له تعالى يوم القيامة : « يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى آلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك .. إلى قوله : وأنت على كل شىء شهيد(٩١)... إلى قوله تجرى من تحتها الأنهار(٩٢) أيدخل النصارى الذين اتخذوا عيسى وأمه آلهين من دون الله تعالى فى جواز المغفرة لهم وقد صدقه الله تعالى فى هذا القول من التخيير بين المغفرة لهم(٩٣) أو يعذبهم ؟ وأخبرونا عن قوله تعالى : « قال عذابى أصيب به من أشاء ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة(٩٤) » .

فمن قولهم : إن المغفرة لا تكون ألبتة لمن كفر ومات كافرا ، وأنهم خارجون من هذا العموم ، ومن هذه الجملة بقوله تعالى : « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء(٩٥) » .

---

(٨٨) سورة النساء آية رقم ٤٨ و ١١٦
(٨٩) سورة الزمر آية رقم ٥٣
(٩٠) سورة المائدة آية رقم ١٨
(٩١) سورة المائدة آية رقم ١١٦ ، ١١٧
(٩٢) سورة المائدة آية رقم ١١٨
(٩٣) ما بين القوسين سقط من (أ) .
(٩٤) سورة الأعراف آية رقم ١٥٦
(٩٥) سورة النساء آية رقم ٤٨

قيل لهم : ولم خصصتم هذه الجملة بهذا النص ؟ ولم تخصصوا قوله تعالى : « ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » ؟

بقوله : « فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية ، وأما من خفت موازينه فأمه هاوية[٩٦] » .

وبقوله تعالى : « هل تجزون إلا ما كنتم تعملون[٩٧] » .

وبقوله تعالى : « اليوم تجزى كل نفس بما كسبت[٩٨] » .

وهذا خبر لا نسخ فيه . فإن قالوا : نعم إلا أن يشاء أن يغفر لهم . قيل لهم : قد أخبر الله تعالى أنه لا يشاء ذلك باخباره تعالى إنه فى ذلك اليوم يجزى كل نفس ما كسبت ولا فرق .

قال أبو محمد : « وقد أخبر النبى ﷺ أَنَّ الْرَّجُلَ يَأْتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَهُ صَدَقَةٌ ، وَصِيَامُ ، وَصَلَاة ، فَيُوجَد قَدْ سَفَكَ دَمَ هَذَا ، وشَتَمَ هَذا ، فَتُؤْخَذ حَسَنَاتُه كُلُها ، فيقْتصُ لَهُمْ مِنها ، فَإذِا لَمْ يَبْقَ لَهُ حَسَنَةُ قُذِفَ مِنْ سَيِّئَاتِهم عَلْيهِ وَرُمِىَ فِى الْنَّارِ[٩٩] » .

وهكذا أخبر عليه السلام فى قوم يخرجون من النار حتى إذا نقوا وهذبوا أدخلوا الجنة[١٠٠].

وقد بين عليه السلام ذلك بأنه يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ فِى قَلْبه مِثْقَالَ حَبَّة شِعَيرٍ مِنْ خيْرٍ ثُمَّ مَنْ فى قَلْبِه مِثْقَالَ بُرَّة مِنْ خير ، ثُمَّ مَنْ فى قَلْبه مِثْقَال حَبَّة مِنْ خَرْدَلٍ ، ثُمَّ مَنْ فِى قَلْبه مِثْقَالَ ذَرَّة ... إلى أَدْنَى أَدْنَىَ أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ . ثُمَّ مَنْ لْا يَعْملَ خَيراً قَط إلَّا شَهَادَةَ الإسْلَامِ[١٠١] » .

فوجب الوقوف عند هذه النصوص كلها المفسرة للنص المجمل ثم يقال[١٠٢] لهم : أخبرونا عمن لم يعمل شرًا قط إلا اللمم ، ومن هَمَّ بالشر فلم يفعله ..؟ فمن قول أهل الحق : إنه مغفور

---

(٩٦) سورة القارعة آية رقم ٦ ، ٧

(٩٧) سورة النمل آية رقم ٩٠

(٩٨) سورة غافر آية رقم ١٧

(٩٩) الحديث رواه مسلم فى البر رقم ٦٠ والترمذى فى القيامة ٢ وأحمد بن حنبل حـ ٣ ص ٣٧٢ ولفظه عند مسلم قال : أتدرون من المفلس قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ، قال : إن المفلس من أمتى يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتى وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار .

(١٠٠) الحديث رواه البخارى فى المظالم ١ والرقاق ٤٨ ، ورواه الإمام أحمد بن حنبل فى المسند حـ ٣ ص ١٣ ، ٦٣ ، ٧٤

(١٠١) الحديث رواه مسلم فى الإيمان ١٤٨ وأبو داود ٣٦ والترمذى فى البر ٦١ وابن ماجه فى المقدمة ٩ ، والفتن ٣٧ والزهد ١٦ ولفظه عند ابن ماجه : اخرجوا من كان فى قلبه وزن دينار من الإيمان ، ثم من كان فى قلبه وزن نصف دينار ثم من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل .

(١٠٢) سقط من (أ) كلمة : لهم .

له جملة ، بقوله تعالى : « إلا اللمم[١٠٣]» وبقول رسول الله ﷺ : « إن الله تجاوز لأمتى عما حدثت به أنفسها ما لم تخرجه بقول أو عمل[١٠٤]» .

قال أبو محمد : وهذا ينقسم أقساما أحدها : من هم بسيئة أى شيء كانت من السيئات ، ثم تركها مختارًا لله تعالى ، فهذا تكتب له حسنة ، فإن تركها مغلوبا لا مختارا لم تكتب له حسنة ، ولا سيئة تفضلًا من الله عز وجل ، ولو عملها كتبت له سيئة واحدة ، ولو هم بحسنة ولم يعملها ، كتبت له حسنة واحدة ، فإن عملها كتبت له عشر أمثالها[١٠٥].

وهذا كله نص كلام[١٠٦] رسول الله ﷺ وقد ناظرت بعض المنكرين لهذا فذهب إلى أن الهم بالسيئة اصرار عليها ، فقلت له : هذا خطأ لأن الإصرار لا يكون إلا على ما قد فعله المرء بعد تماد على نية[١٠٧] أن يفعله ، وأما من هم بما لم يفعل بعد فليس إصرارًا .

قال الله تعالى : « ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون[١٠٨]» ثم نسألهم عن عمل السيئات ، حاشا الكبائر عددًا عظيمًا ولم يأت كبيرة قط ومات على ذلك ، أيجوِّزون[١٠٩] أن يعذبه الله تعالى على ما عمل من السيئات أم تقولون إنها مغفورة له ولابد ..؟

فإن قالوا : إنها مغفورة له[١١٠] ولابد صدقوا ، وكانوا قد خصوا قوله تعالى : « ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء[١١١]» .

وتركوا حمل هذه الآية على عمومها فلا ينكروا ذلك على من خصها أيضا بنص آخر .

وإن قالوا : بل جائز أن يعذبهم الله تعالى على ذلك ، أكذبهم الله تعالى بقوله « إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما[١١٢]» .

ونعوذ بالله من تكذيب الله عز وجل .

---

(١٠٣) سورة النجم آية رقم ٣٢

(١٠٤) الحديث رواه البخارى فى الإيمان ١٥ ، والترمذى فى الطلاق ٨ والإمام مسلم فى الإيمان ، ٢٠١ ، ٢٠٢ وفى الرؤيا ١٥ وأبو داود فى الطلاق ١٥ وابن ماجه فى الطلاق ١٤ واحمد بن حنبل فى المسند حـ ٣ ص ٢٥٥ءولفظه عند مسلم : « إن الله تجاوز لأمتى ما حدثت به أنفسها ما لم يتكلموا أو يعملوا به » .

(١٠٥) فى (أ) : حسنات .

(١٠٦) سقطت من (أ) كلام .

(١٠٧) فى (أ) : عليه .

(١٠٨) سورة آل عمران آية رقم ١٣٥

(١٠٩) فى (خ) : (أتخبرون) .

(١١٠) فى (أ) : سقطت كلمة (له) .

(١١١) سورة النساء آية رقم ٤٨

(١١٢) سورة النساء آية رقم ٣١

ثم نسألهم عمن عمل من الكبائر ومات عليها ، وعمل حسنات رجحت بكبائره عند الموازنة ، أيجوز أن يعذبه الله تعالى بما عمل من تلك الكبائر ، أم هى مغفورة له ساقطة عنه ..؟

فإن قالوا : بل هى مغفورة له وساقطة عنه صدقوا، وكانوا قد خصوا عموم قوله تعالى .. ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » . وجعلوا هؤلاء ممن شاء ، ولابد أن يغفر لهم ، وإن قالوا : بل جايز أن يعذبهم ، أكذبهم الله تعالى بقوله : « فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية[١١٣]» .

وبقوله : « إن الحسنات يذهبن السيئات[١١٤]» .

قال أبو محمد : وكذلك القول فيمن تساوت حسناته وكبائره وهم أهل الأعراف فلا يعذبون أصلا .

فقد صح يقينا أن هؤلاء الطبقات الأربع هم الذين شاء الله تعالى أن يغفر لهم بلا شك ، فبقى الذين لم يشاء الله تعالى أن يغفر لهم ، ولم يبق من الطبقات أحد إلا من رجحت كبائره فى الموازنة على حسناته ، فهم الذين يجازون بقدر ذنوبهم ثم يخرجون من النار بالشفاعة ، وبرحمه الله عز وجل فقالوا : من هؤلاء من يغفر الله تعالى له ، ومنهم من يعذبه ، قلنا لهم : أعندكم بهذا البيان نص ؟ وهم لا يجدونه أبدًا فظهر تحكمهم بلا برهان ، وخلافهم لجميع الآيات والأخبار والآيات[١١٥] التى تعلقوا بها فإنهم مقرون على أنها ليست على عمومها بل هى مخصوصة ، لأن الله تعالى قال : « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء[١١٦]» .

ولا خلاف فى أنه تعالى يغفر الشرك لمن آمن ، فصح أنها مجملة يفسرها سائر الآيات ، والأخبار ، وكذلك حديث عبادة[١١٧]: خمس صلوات كتبهن الله تعالى على العباد من جاء بهن لم ينقص من حدودهن شيئًا كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ، ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد إن شاء غفر له وإن شاء عذبه[١١٨]» .

فانهم متفقون على أن من جاء بهن لم ينتقص من حدودهن شيئًا إلا أنه قتل ، وزنا ،

---

(١١٣) سورة القارعة ٦ ، ٧

(١١٤) سورة هود آية رقم ١١٤

(١١٥) سقطت من (أ) كلمتى : الأخبار والآيات .

(١١٦) سورة النساء آية رقم ٤٨

(١١٧) عبادة بن الصامت بن قيس بن أحرم بن ثعلبه الأنصارى ، يكنى أبا الوليد وقال الحزامى : أم عبادة بن الصامت قرة العين ، شهد العقبة الأولى والثانية والثالثة وآخى رسول الله بينه وبين أبى مرثد الغنوى ، وشهد بدرًا والمشاهد كلها وجهه عمر إلى الشام قاضيًا ومعلمًا ، فاقام بحمص ثم انتقل إلى فلسطين ومات بها سنة ٣٤ بالرملة رحمه الله . الاستيعاب حـ ٢ ص ٨٠٧ ، ٨٠٨

(١١٨) الحديث رواه مسلم فى الإيمان ٨ ، ١٠ ، ٢٩ ، ٣١ والبخارى فى الإيمان ٣٤ والصلاة ١ وأبو داود فى الطهارة ٩٧ والترمذى فى التفسير ٥٣ ، والنسائى فى الصلاة ١ ، ٤ ، ٦

وسرق ، فإنه قد يعذب ، ويقولون إن[119] لم يأت بهن فإنه لا يعذب على التأبيد ، بل يعذب ثم يخرج عن النار .

قال أبو محمد : هذا ترك منهم أيضًا لظاهر هذا الخبر .

قال أبو محمد : ولا فرق بين قول الله تعالى : « فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية » .

وبين قوله : « وأما من خفت موازينه فأمه هاوية[120] » . كلاهما خبر ، إن جاز إبطال أحدهما ، جاز إبطال الآخر . ومعاذ الله من هذا القول ، وكذلك قد منع الله تعالى من هذا القول ، بقوله تعالى : « لا تختصموا لدى وقد قدمت إليكم بالوعيد ، ما يبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد[121] » .

ونحن نقول إن الله تعالى يعذب من يشاء ويرحم من يشاء وأنه تعالى يغفر ما دون الشرك لمن يشاء وإن كل أحد فهو فى مشيئة الله تعالى إلا أننا نقول : إنه تعالى قد بين من يغفر لهم ، ومن يعذب ، وأن الموازين حق ، والموازنة حق ، والشفاعة حق ، وبالله تعالى التوفيق .

حدثنا محمد بن سعيد بن بيان ، حدثنا أحمد بن عبد البصير ، حدثنا قاسم بن إصبغ ، حدثنا محمد بن عبد السلام الخشنى ، حدثنا محمد بن المثنى ، حدثنا وكيع بن الجراح ، حدثنا سفيان الثورى ، عن خالد الحذاء ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، فى قول الله تعالى : « وإنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص[122] » قال ما وعدوا فيه من خير وشر – وهذا هو نص قولنا .

وقد ادعى قوم أن إخلاف الوعيد حسن عند العرب ، وأنشدوا وإنى وإن واعدته أو وعدته لمخلف إبعادى ومنجز موعدى .

قال أبو محمد : وهذا لا شىء ، ما جعل الله فخر صبى أحمق كافر حجة على الله تعالى قال الراجز :

أحيا أباه هاشم بن حرملة
يَرى الملوك حوله مغربلة
يقتل ذا الذنب ، ومن لا ذنب له .

---

(١١٩) انه من ق (خ) .
(١٢٠) سورة القارعة آية رقم ٦
(١٢١) سورة ق آية رقم ٢٨
(١٢٢) سورة هود آية رقم ١٠٩

وقد جعلت العرب مخلف الوعد كاذبًا

قال الشاعر أنشده أبو عبيدة(١٢٣) معمر بن المثنى :

أتوعدنى وراء بنى رياح كذبت لتقصرن يداك دونى(١٢٤)

فإن قالوا : خصوا وعيد الشرك بالموازنة . قلنا : لا يجوز ، لأن الله تعالى منع من ذلك ، قال تعالى : « ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم(١٢٥) » .

فمن حبط عمله فلا خير له .

قال أبو محمد : وأهل النار متفاضلون فى عذاب النار فأقلهم عذابًا أبو طالب فإنه توضع جمرتان من النار فى أخمصية(١٢٦) إلى أن يبلغ الأمر إلى قوله تعالى : « ادخلوا آل فرعون أشد العذاب(١٢٧) » .

وقوله تعالى : « إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار(١٢٨) » ولا يكون الأشد إلا إلى جنب الأدون .

وقال تعالى : « ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر(١٢٩) » .

قال أبو محمد : والكفار معذبون على المعاصى التى عملوا من غير الكفر . برهان ذلك قول الله سبحانه وتعالى : « ما سلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين ، وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين(١٣٠) » .

فنص تعالى على أن الكفار يعذبون على ترك الصلاة وعلى ترك الطعام للمسكين .

قال أبو محمد : وأما من عمل منهم العتق ، والصدقة ، أو نحو ذلك من أعمال البر فحابط كل ذلك ، لأن الله عز وجل قال : إنه من مات [وهو](١٣١) كافرًا حبط عمله لكن لا يعذب

---

(١٢٣) معمر بن المثنى البصرى أبو عبيدة النحوى من أئمة العلم بالأدب واللغة ، مولده ووفاته بالبصرة ، استقدمه هارون الرشيد إلى بغداد سنة ١٨٨ هـ وقرأ عليه أشياء من كتبه قال الجاحظ لم يكن فى الأرض أعلم بجميع العلوم منه ، وكان أباضيًا شعوبيًا من حفاظ الحديث من مؤلفاته نقائض جرير والفرزدق ، ومجاز القرآن ومعانى القرآن توفى سنة ٢٠٩ هـ . وفيات الأعيان جـ ٢ ص ١٠٥

(١٢٤) ما بين القوسين سقط من (أ) .

(١٢٥) سورة البقرة آية رقم ٢١٧

(١٢٦) الحديث رواه البخارى فى الرقاق ٥١ ومسلم فى الإيمان ٣٦٣ والترمذى فى جهنم ١٢ واحمد بن حنبل جـ ٤ ص ٢٧٤ ولفظه عند مسلم « لرجل توضع فى أخمص قدميه جمرتان يغلى منهما دماغه » أما الحديث الذى جاء فى أبى طالب فلفظه : أهون أهل النار عذابًا أبو طالب وهو منتعل بنعلين يغلى منهما دماغه » .

(١٢٧) سورة غافر آية رقم ٤٦

(١٢٨) سورة النساء آية رقم ١٤٥

(١٢٩) سورة السجدة آية رقم ٢١

(١٣٠) سورة المدثر آية رقم ٤٠ إلى ٤٧

(١٣١) فى (أ) : بزيادة هو .

الله أحدًا إلا على ما عمل ، لا على ما لم يعمل .

قال الله تعالى : « هل تجزون إلا ما كنتم تعملون[١٣٢] » .

فلما كان من لا يطعم المسكين من الكفار يعذب على ذلك عذابا زائدًا[١٣٣] لأنه لم يطعم المسكين فالذى أطعم المسكين مع كفره لا يعذب ذلك العذاب الزائد ، فهو أقل عندنًا عذابًا لأنه لم يعمل من الشر ما عمل من هو أشد عذابا منه لا لأنه عمل خيرًا .

قال أبو محمد : وكل كافر عمل خيرا وشرا ثم أسلم فإن كل ما عمل من خير يكون له[١٣٤] مجازى به فى الجنة ، وأما ما عمل من شر فإن تاب عنه مع توبته من الكفر سقط عنه ، وإن تمادى عليه أخذ بما عمل فى كفره وبما عمل فى إسلامه .

برهان ذلك : حديث حكيم بن حزام[١٣٥] عن رسول الله ﷺ أنه قال : يا رسول الله أَشْيَاء كُنْتُ أَتَحنَّثُ بهَا فِى الجَاهِلَّيةِ مِنْ عِتْقٍ وصَدَقَةٍ وَصِلَةِ رَحِمٍ فَقَالَ لَهُ رِسَوُلُ الله ﷺ : أَسْلَمْتَ عَلَى مَا سَلَفَ لَكَ مِنْ خَيْرٍ[١٣٦]» فأخبر أنه خير وأنه له إذا أسلم .

وقالت له عائشة رضى الله عنها : يا رسول الله أرأيت ابن جُدْعَانَ فإنه يَصِلُ الرَّحِمَ ، وَيُقْرِى الضَّيْفَ ، أَيِنْفَعُه ذَلِك ؟ قَالَ : لَا . لأَنَّهَ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا .. رَبِّ اغفْرِ لِي خَطِيئتِي يَوْمَ الدَّين[١٣٧]. فأخبر عليه السلام أنه لم ينتفع بذلك لأنه لم يسلم .

فاتفقت الأخبار كلها على أنه لو أسلم لنفعه ذلك .

وأما مؤاخذته بما عمل فحديث ابن مسعود رضى الله عنه بنص ما قلنا عن رسول الله ﷺ كما قلناه .

فإن اعترض معترض بقول الله تعلى : « لئن اشركت ليحبطن عملك[١٣٨] » .

---

(١٣٢) سورة النمل آية رقم ٩٠

(١٣٣) سقط من (أ) ومن (خ) زيادة والعبارة مضطربة .

(١٣٤) فى (أ) : مكتوب مجازى .

(١٣٥) حكيم بن حزام : بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى القرشى يكنى أبا خالد هو ابن أخى خديجة بنت خويلد زوج الرسول - ﷺ - ولد فى الكعبة وكان من أشراف قريش ووجوهها فى الجاهلية والإسلام وكان مولده قبل الفيل بثلاث عشرة سنة ، وجاء الإسلام ودار الندوة بيد حكيم بن حزام وكان من المؤلفة قلوبهم وممن حسن إسلامه منهم ، وحج فى الإسلام دمعه مائة بدنه قد جللها بالحبرة ، وأهدى ألف شاة . الاستيعاب فى معرفة الأصحاب حـ ١ ص ٣٦٢ .

(١٣٦) الحديث رواه البخارى فى الأدب ١٦ ، والزكاة ٣٤ ، والبيوع ١٠٠ والعتق ١٢ ، ومسلم فى الإيمان ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، واحمد ابن حنبل فى المسند حـ ٣ ص ٤٠٢

(١٣٧) الحديث رواه البخارى فى الدعوات ٦١ ، ومسلم فى الإيمان ٣٦٥ والذكر ٧٠ واحمد بن حنبل فى المسند حـ ٤ ، ص ٤١٧ ولفظه عند مسلم . عن عائشة قلت يا رسول الله ابن جدعان كان فى الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذاك نافعة ..؟ قال : لا ينفعه ، إنه لم يقل يومًا : ربَ اغفر لى خطيئتى يوم الدين .

(١٣٨) سورة الزمر آية رقم ٦٥

قلنا : إنما هذا لمن مات مشركا فقط .

برهان ذلك أن الله تعالى قال : « لئن أشركت ليحبطن عملك » [ولتكونن من الخاسرين ، وبيقين ندرى أن][١٣٩] من أسلم فليس من الخاسرين فقد بين ذلك بقوله : « ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم[١٤٠]» وإن اعترضوا فيما قلنا من المؤاخذة بما عمل فى الكفر لقوله تعالى : « قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف[١٤١]» .

قلنا لهم : هذا حجة لنا لأن من انتهى عن الكفر غفر له ، وإن انتهى عن الزنا غفر له ، وإن لم ينته عن الزنا لم يغفر له ، فإنما يغفر له ما انتهى عنه ، ولم يغفر له ما لم ينته عنه .

ولم يقل تعالى : « ان ينتهوا عن الكفر يغفر لهم سائر ذنوبهم .

والزيادة فى الآية كذب على الله تعالى وهى أعمال متغايرة كما ترى ليست التوبة عن بعضها توبة عن سائرها[١٤٢]، فلكل واحد منها حكمه ، فإن ذكروا حديث عمرو بن العاص عن النبى ﷺ « الْإِسْلَامُ يَجُبُّ مَا قَبْلَهُ[١٤٣]» .

فقد قلنا : إن الإسلام اسم لجميع الطاعات ، فمن أصر على المعصية فليس فعله فى المعصية التى يتمادى عليها إسلامًا ، ولا إيمانا ، كما قال رسول الله ﷺ : « لا يَزْنِى الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُو مُؤْمِنٌ[١٤٤]» .

فصح أن الإسلام ، والإيمان هو جميع الطاعات ، فإذا أسلم من الكفر وتاب من جميع معاصيه فهو الإسلام الذى يجب ما قبله .

وإذا لم يتب من معاصيه فلم يحسن فى الإسلام ، فهو مأخوذ بالأول والآخر ، كما قال رسول الله ﷺ وبهذا تتفق الأحاديث وكذلك قوله عليه السلام : « والْهِجْرَةُ تَجُبُّ مَا قَبْلَها[١٤٥]» .

---

(١٣٩) ما بين القوسين سقط من (أ) .

(١٤٠) سورة البقرة آية رقم ٢١٧

(١٤١) سورة الأنفال آية رقم ٣٨

(١٤٢) فى (أ) : عن ظاهرها .

(١٤٣) الحديث رواه الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده حـ ٤ ، ١٩٩ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ولفظه قال رسول الله - ﷺ : إن الإسلام يجب ما كان قبله ، وأن الهجرة تجب ما كان قبلها .

(١٤٤) الحديث رواه ابن ماجه فى كتاب الفتن باب النهى عن النهبه ولفظه . لا يزنى الزانى ، حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، ولا يسر السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن » .

(١٤٥) الحديث رواه الإمام أجمد فى مسنده حـ ٤ ص ١٩٩ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ورواه مسلم فى كتاب الإيمان بلفظ الهجرة تهدم ما كان قبلها .

فقد صح عنه عليه السلام أَنَّ الْمُهَاجِرَ مَنْ هَجَرَ مَا نَهاه الله عَنْهُ[١٤٦]» فمن تاب من جميع المعاصى[١٤٧] التى سلفت منه فقد هجر ما نهاه الله عنه فهذه هى الهجرة التى تجب ما قبلها .

وأما قوله عليه السلام : « والْحجُ يَجُبُّ مَا قَبْلَهُ[١٤٨]» فقد جاء أن الْعُمْرَةَ إلى الْعُمْرةِ كَفَارَةٌ لما بَيْنَهما ، والحجُ المبرورُ لَيْسَ لَه جُزاءُ إلَّا الَجنة[١٤٩]. فهذا على الموازنة التى ربنا عز وجل عالم بمراتبها ، ومقاديرها ، وانما نقف حيث وقفنا الله تعالى ورسوله ﷺ ، وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : واستدركنا قول رسول الله ﷺ فى قاتل نفسه حرم الله عليه الجنة وأوجب له النار ، مع قوله : مَنْ قَالَ لَا إله إِلَّا الله مُخلِصًا مِنْ قَلْبِه حَرَّمَ عَلَيْه النَّارَ وَأَوْجَبَ لَهُ الجَّنة[١٥٠]» .

قال أبو محمد : قال الله تعالى : « وما ينطق عن الهوى إن هو الا وحى يوحى[١٥١]» فصح أن كلامه ﷺ كله وحى من عند الله تعالى وقال عز وجل « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه إختلافا كثيرا[١٥٢] فصح أن كل ما قاله رسول الله ﷺ فمن عند الله تعالى[١٥٣]. وأنه لا اختلاف فى شىء منه وأنه كله متفق عليه ، فإذ ذلك كذلك فواجب ضم هذه الأخبار بعضها إلى بعض فيلوح الحق حينئذ بحول الله وقوته ، فمعنى قوله ﷺ فى القاتل حرم الله عليه الجنة ، وأوجب له النار ، مبنى على الموازنة فان رجحت[١٥٤] كبيرة قتله نفسه على حسناته حرم الله عليه الجنة ، حتى يقتص منه بالنار ، التى أوجبها الله تعالى جزاء على فعله ، وبرهان هذا حديث الذى أسلم وهاجر مع عمرو بن حممه الدوسى[١٥٥] ثم قتل نفسه لجراح جرح به فتألم منه فقطع عروق يده فنزف حتى مات فرآه بعض أصحاب النبى ﷺ فى حال حسنة إلا يده وذكر أنه قيل له لن يصلح منك

---

(١٤٦) الحديث رواه أبو دادو فى الوتر ١١ ، والنسائى الزكاة ٤٩ والبيعة ١٢ والدارمى فى الصلاة ١٣٥ ، واحمد بن حنبل حـ ٢ ، ١٦٠ ، ١٩١ ، ١٩٣ .

(١٤٧) فى (خ) : من كل معصية .

(١٤٨) الحديث رواه مسلم فى كتاب الإيمان باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج وهو حديث طويل منه : أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها ، وأن الحج يهدم ما كان قبله .

(١٤٩) الحديث رواه البخارى فى الإيمان ١٨ والحج ٤ ، ٣٤ ، ١٠٣ ورواه مسلم فى الإيمان ١٣٥ والحج ٢٠٤ والترمذى فى فضائل الجهاد ٢٢ وابن ماجه فى المناسك ٣ ولفظه عند ابن ماجه : العمرة إلى العمرة كفاره ما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة .

(١٥٠) الحديث رواه البخارى فى العلم ٤٩ والجمعة ١٨ ومسلم فى الإيمان ٥٣ والترمذى فى الصلاة ٢٠٠ وابن ماجه فى الزهد ١٩ والدارمى فى الجهاد ٨ .

(١٥١) سورة النجم آية رقم ٤

(١٥٢) سورة النساء آية رقم ٨٣

(١٥٣) ما بين القوسين سقط من (أ) .

(١٥٤) سقط من (أ) كلمة رجحت .

(١٥٥) هو : عمرو بن حممه بن رافع الدوسى من الأزد أحد المعمرين فى الجاهلية وقيل أدرك حممه عصر النبوة ووفد على النبى - ﷺ والصحيح أنه مات قبل الإسلام الأصابة ت ٥٨٢١

ما أفسدت فقال رسول الله ﷺ : اللهم وليديه فاغفر[١٥٦].. » ومعنى قول رسول الله ﷺ « من قال لا إله إلا الله مخلصا من قلبه حرم الله عليه النار وأوجب له الجنة » فهذا لا يختلف فيه مسلمان انه ليس على ظاهره منفردًا لكن يضمه إلى غيره من الإيمان لمحمد ﷺ ، والبراءة من كل دين حاشا دين الإسلام ، ومعناه حينئذ أن الله عز وجل أوجب له الجنة ولابد ، إما بعد الاقتصاص ، وإما دون الاقتصاص على ما توجبه الموازنة ، وحرم الله عليه أن يخلد فيها ويكون من أهلها القاطنين فيها على ما بينا قبل من قوله تعالى : لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى[١٥٧]» « من يعمل سوءا يجزيه[١٥٨]» .

« وما كان الله ليضيع إيمانكم[١٥٩]» .

« وما تفعلوا من خير فلن تكفروه[١٦٠]» .

وقوله تعالى : « يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها[١٦١]» فنص الآية أنها فى الكفار – هكذا فى نص الآية » .

قال أبو محمد : وأما الكبائر فإن الله تعالى قال : « إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما[١٦٢]» .

قال أبو محمد : فمن المحال أن يحرم الله تعالى علينا أمرًا ويفرق بين أحكامه ويجعل بعضه مغفورًا باجتناب بعض ومؤاخذًا به إن لم يجتنب البعض الآخر ، ثم لا يبين لنا المهلكات من غيرها فنظرنا فى ذلك فوجدنا قوما يقولون إن كل ذنب فهو كبيرة .

قال أبو محمد : وهذا خطأ لأن نص القرآن مفرق كما قلنا[١٦٣] بين الكبائر وغيرها وبالضرورة ندرى[١٦٤] أنه لا تكون كبيرة إلا بالإضافة إلى ما هو أصغر منها ، والكبائر أيضا تتفاضل فالشرك أكبر مما دونه ، والقتل أكبر من غيره .

---

(١٥٦) رواه مسلم عن جابر بن عبد الله قال : مات طفيل بن عمر ورأيته فى المنام وهيأته حسنة ، فقلت له : ما صنع بك ربك قال : غفر لى بهجرتى إلى نبيه ، فقلت : مالى أراك مغطيا يديك ، قال : قيل لى : لن نصلح منك ما أفسدت . فقصصتها على رسول الله ﷺ فقال : « اللهم وليديه فاغفر » . وفيه دليل على أن المغفرة قد لا تتناول محل الجناية وأن العقاب موزع على البدن ، وأن المؤمن إذا مات بالكبيرة من غير توبة فلا يقطع له بالنار .

(١٥٧) سورة آل عمران آية رقم ١٥٣

(١٥٨) سورة النساء آية رقم ١٢٣

(١٥٩) سورة البقرة آية رقم ١٤٣

(١٦٠) سورة آل عمران آية رقم ١١٥

(١٦١) سورة المائدة آية رقم ١٣٧

(١٦٢) سورة النساء آية رقم ٣١

(١٦٣) فى (خ) : كما أوردنا .

(١٦٤) فى (خ) : نعلم .

وقد قال رسول الله ﷺ : « إنهما لَيُعَذَّبانِ وَمَا يُعَذَّبانِ فى كَبِيرٍ (وانه لكبير) أَمَّا أَحَدُهُما فَكَانَ لَا يَسْتَبرِىءُ مِنْ بَوْلِهِ وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بالنَّمِيمةِ(١٦٥) » فأخبر عليه السلام أنهما كبير ، وما هما بكبير ، وهذا بين لأنهما كبيران بالإضافة إلى الصغائر المغفورة باجتناب الكبائر ، وليستا بكبيرين بالإضافة إلى الكفر والقتل .

قال أبو محمد : فبطل القول المذكور ، فنظرنا فى ذلك فوجدنا معرفة الكبير من الذنوب مما ليس بكبير منها لا يعلم ألبتة إلا بنص وارد فيها ، إذ هذا من أحكام الله تعالى التى لا تعرف إلا من عنده تعالى فبحثنا عن ذلك فوجدنا الله تعالى قد نص بالوعيد على ذنوب فى القرآن وعلى لسان رسوله ﷺ وقد وجدنا ذنوبا أخر لم ينص عليها بوعيد ، فعلمنا يقينا أن كل ما توعد الله تعالى عليه بالنار [أو توعد عليه رسوله ﷺ بالنار فهو كبير](١٦٦) وكل ما نص عليه رسول الله ﷺ باستعظامه فهو كبير ، كقوله عليه السلام .

اتَّقُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ – الشِّرْكُ والسِّحْرُ والقتْلُ وَالزِّنَا(١٦٧) » وذكر الحديث .

وكقوله عليه السلام : « عُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ مِنْ الْكَبَائِر(١٦٨) » .

وكل ما لم يأت نص باستعظامه ، ولا جاء فيه وعيد بالنار فليس بكبير ولا يمكن أن يكون الوعيد بالنار على الصغائر على انفرادها لأنها مغفورة باجتناب الكبائر فصح ما قلناه .

وبالله تعالى التوفيق .

---

(١٦٥) الحديث رواه البخارى فى الوضوء ٥٥ ، ٦٥ والأدب ٤٦ ، والجنائز ٨٩ ورواه مسلم فى الطهارة ١١١ وأبو داود فى الطهارة ١١ ، ٦٥ ، والترمذى فى الطهارة ٥٢ والنسائى فى الطهارة ٢٦ ، ولفظه إنهما يعذبان وما يعذبان من كبير ، أما هذا فكان يمشى بالنميمة ، وأما هذا فكان لا يتبرىء من البول .

(١٦٦) ما بين القوسين سقط من (خ) .

(١٦٧) الحديث رواه البخارى فى الوصيا ٢٣ ، والطب ٤٨ والحدود ٤٤ ، ورواه مسلم فى الإيمان ١٤٤ وأبو داود فى الوصايا . والنسائى فى الوصايا ولفظه عند مسلم : اجتنبوا السبع الموبقات قيل يا رسول الله وما هن ..؟ قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات .

(١٦٨) الحديث رواه البخارى فى الأدب ٦ والشهادات ١٠ ورواه مسلم فى الإيمان ١٤٣ ، ١٤٤ والترمذى فى البر ٤ والنسائى فى التحريم ٣ والدارمى فى الديات ٩

الموافـــاة

قال أبو محمد : اختلف المتكلمون فى معنى عبروا عنه بلفظ الموافاة وهم أنهم قالوا : فى إنسان مؤمن صالح مجتهد فى العبادة ثم مات مرتدًا كافرًا وآخر كافر متمرد ، أو فاسق ، ثم مات مسلمًا تائبًا .

كيف كان حكم كل واحد منهما قبل أن ينتقل إلى ما مات عليه عند الله تعالى .؟

فذهب هشام بن عمرو الفوطى[1] وجميع الأشعرية ، إلى أن الله عز وجل لم يزل راضيا عن الذى مات مسلمًا تائبًا ، ولم يزل ساخطًا على الذى مات كافرًا أو فاسقًا .

واحتجوا فى ذلك بأن الله عز وجل لا يتغير علمه ، ولا يرضى ما سخط ، ولا يسخط ما رضى .

وقالت الأشعرية[2]: الرضا من الله عز وجل والسخط منه تعالى من صفات الذات لم يزالا[3] ولا يتغيران ، وذهب سائر المسلمين إلى أن الله عز وجل كان ساخطا على الكافر والفاسق ، ثم رضى الله عنهما إذا أسلم الكافر ، وتاب الفاسق . وأنه تعالى كان راضيا عن المسلم ، وعن الصالح ثم سخط عليهما إذا كفر المسلم وفسق الصالح .

قال أبو محمد : احتجاج الأشعرية هاهنا هو احتجاج اليهود فى إبطال النسخ ولا فرق ، ونحن نبين بطلان احتجاجهم ، وبطلان قولهم ، وبالله تعالى التوفيق . فنقول وبالله عز وجل نتأيد .

أما قولهم : إن[4] علم الله عز وجل لا يتغير فصحيح ، ولكن معلوماته تتغير ، ولم نقل إن

---

(١) راجع ترجمته حـ ٣ ص ١٠٢

(٢) راجع كلمة وافية عن الأشعرية فى الجزء الثالث من هذا الكتاب ص ١٠١

(٣) جاءت العبارة مضطربة ومحرفة من (أ) .

(٤) فى (أ) : من .

علمه يتغير ، ومعاذ الله من هذا ولم يزل علمه تعالى واحدًا يعلم كل شىء على تصرفه فى جميع حالاته .

فلم يزل يعلم أن زيدا سيكون صغيرًا ، ثم شابًا ثم كهلًا ، ثم شيخًا ، ثم ميتًا ، ثم مبعوثا ثم(٥) فى الجنة ، أو فى النار ، ولم يزل يعلم أنه سيؤمن ثم يكفر ، أو أنه يكفر ثم يؤمن ، أو أنه يكفر ولا يؤمن ، أو أنه يؤمن ولا يكفر .

وكذلك القول فى الفسق والصلاح ، ومعلوماته تعالى فى كل(٦) ذلك متغيرة مختلفة ومن كابر هذا فقد كابر العيان والمشاهدات .

وأما قولهم : إن الله تعالى لا يسخط ما رضى ولا يرضى ما سخط فباطل وكذب بل قد أمر الله تعالى اليهود بصيانة السبت وتحريم الشحوم ، ورضى لهم ذلك وسخط منهم خلافه [ثم نسخ كل ذلك وأبطله فرضى منهم أكل الشحوم والعمل فى السبت وسخط منهم خلافه](٧) وكذلك أحل لنا الخمر ، ولم يلزمنا الصلاة ولا الصوم برهة من زمن الإسلام ، ورضى لنا شرب الخمر وأكل رمضان ، والبقاء بلا صلاة ، وسخط تعالى بلا شك المبادرة بتحريم ذلك كما قال تعالى : « ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه(٨) » . ثم فرض علينا الصلاة والصوم ، وحرم علينا الخمر ، فسخط لنا ترك الصلاة وأكل رمضان ، وشرب الخمر ، ورضى لنا خلاف ذلك ، وهذا لا ينكره مسلم ولم يزل الله تعالى عليمًا أنه سيحل ما كان أحل من ذلك مدة كذا ، وأنه سيرضى(٩) منه ثم إنه سيحرمه ويسخطه وأنه سيحرم ما حرم من ذلك ويسخطه مدة ثم إنه يحله ويرضاه كما علم عز وجل أنه سيحيى من أحياه مدة كذا ثم يميته(١٠)، وأنه يعز من أعزه مدة ثم يذله ، وهكذا جميع ما فى العالم من آثار صنعه عز وجل لا يخفى ذلك على من له أدنى حس ، وهكذا المؤمن يموت مرتدًا ، والكافر يموت مسلمًا ، فإن الله تعالى لم يزل يعلم أنه سيسخط(١١) فعل الكافر مادام كافرًا ، ثم إنه يرضى عنه إذا أسلم ، وأن الله تعالى لم يزل يعلم أنه يرضى عن أفعال المسلم ، وأفعال البر ، ثم إنه يسخط أفعاله إذا ارتد ، أو فسق ، ونص القرآن يشهد بذلك قال تعالى : ولا يرضى لعباده الكفر ، وأن تشكروا يرضه لكم(١٢).

(٥) سقط من (أ) كلمة : ثم .
(٦) سقط من (أ) كلمة : كل .
(٧) سقط من (أ) ما بين القوسين .
(٨) سورة طه آية رقم ١١٤
(٩) فى (خ) : سيرضاه .
(١٠) سقط من (أ) ثم يميته .
(١١) فى (أ) : سيسخطه .
(١٢) سورة الزمر آية رقم ٧

فصح يقينا أن الله تعالى يرضى الشكر ، فمن شكره إذا شكره[١٣] فيما شكره ولا يرضى الكفر ممن كفر ، إذا كفر ، متى كفر ، كيف كان انتقال هذه الأحوال من الإنسان الواحد ، وقوله تعالى : « ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم[١٤]» فبالضرورة يدرى كل ذى حس سليم أن لا يمكن أن يحبط عمل إلا وقد كان غير حابط ، ومن المحال أن يحبط عمل لم يكن محسوبا قط ، فصح أن عمل المؤمن الذى ارتد ثم مات كافرًا انه كان محسوبا ثم حبط إذا ارتد وكذلك قال الله تعالى : « يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب[١٥]» .

فصح أنه لا يمحو الا ما كان قد كتبه ومن المحال أن يمحى ما لم يكن مكتوبا وهذا بطلان قولهم يقينا ولله الحمد ، وكذلك نص قوله تعالى « فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات[١٦]» .

فهذا نص قولنا ، وبطلان قولهم ، لأن الله تعالى سمى أفعالهم الماضية سيئات والسيئات مذمومة عنده تعالى بلا شك ، ثم أخبر تعالى أنه أحالها وبدلها حسنات مرضية ، فمن أنكر هذا فهو مكذب لله تعالى والله تعالى مكذب له ، وكذلك قال الله تعالى أنه سخط أكل آدم من الشجرة ، وذهاب يونس مغاضبًا ، ثم أخبر عز وجل أنه تاب عليهما ، واجتبى يونس بعد أن لامه ، ولا يشك كل ذى عقل أن اللائمة غير الاجتناء .

قال أبو محمد : ثم نقول لهم أفى الكافر كفر إذا كان كافرًا قبل أن يؤمن .. ؟ وفى الفاسق فسق قبل أن يتوب ؟ وفى المؤمن إيمان قبل أن يرتد أم لا .. ؟ فإن قالوا : لا كابروا وأحالوا ، وإن قالوا : نعم . قلنا لهم : فهل يسخط الله الكفر والفسق أو يرضى عنهما ؟ فإن قالوا بل يسخطهما تركوا قولهم .

وإن قالوا : بل يرضى عن الكفر والفسق ، كفروا ونسألهم عن قتل وحشى[١٧] حمزة[١٨] رضى الله عنه أرضًا كان لله تعالى ؟ فإن قالوا : نعم . كفروا ، وإن قالوا : بل ما كان الا سخطًا ،

---

(١٣) فى (أ) : سقطت كلمة : إذا شكره .

(١٤) سورة البقرة آية رقم ٢١٧ وقد جاءت الآية محرفة فى (خ) : حيث قال : « ومن يرتد » .

(١٥) سورة الرعد آية رقم ٣٩

(١٦) سورة الفرقان آية رقم ٧٠ وجاءت هذه الآية محرفة فى (أ) : حيث قال : أولئك بدون الفاء .

(١٧) هو : وحش بن حرب الحبشى أبو دسمه ، مولى بنى نوفل ، صحابى من سودان مكه ، كان من أبطال الموالى فى الجاهلية ، وهو قاتل حمزة – رضى الله عنه ، وشهد اليرموك ، وشارك فى قتل مسيلمة الكذاب وكان يقول قتلت بحربتى خير الناس وشر الناس مات بحمص سنة ٢٥ هـ .

(١٨) حمزة بن عبد المطلب بن هاشم أبو عمارة عم النبى – ﷺ ، وأحد صناديد قريش ولد ونشأ بمكة ، هاجر إلى المدينة وحضر وقعة بدر وغيرها وقتل يوم أحد عام ٣ هـ فدفنه المسلمون بالمدينة . الروض الأنف حـ ٢ ص ١٨٥ .

سألناهم أيؤاخذه الله تعالى به إذا أسلم ؟ فمن قولهم : لا . وهكذا فى كل حسنة ، وسيئة ، فظهر فساد قولهم ، وبالله تعالى التوفيق .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

« الكلام فى من لم تبلغه الدعوة ومن تاب عن ذنبه أو كفر ثم رجع فيما تاب عنه »

قال أبو محمد : قال الله عز وجل : « لأنذركم به ومن بلغ(١) » .

وقال تعالى : وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا(٢)» .

فنص تعالى(٣): على أن النذارة لا تلزم إلا من بلغته لا من لم تبلغه ، وأنه تعالى لا يعذب أحدًا حتى يأتيه رسول من عند الله عز وجل .

فصح بذلك أنه من لم يبلغه الإسلام أصلًا فإنه لا عذاب عليه .

وهكذا جاء النص عن رسول الله ﷺ .

أنه يؤتى يوم القيامة بالشيخ الخرف ، والأصلح الأصم ، ومن كان فى الفترة والمجنون ، فيقول المجنون : يا رب أتانى الإسلام وأنا لا أعقل ، ويقول الخرف الأصم والذى فى الفترة أشياء ذكرها فيوقد لهم نار ، ويقال لهم ادخلوها ، فمن دخلها وجدها بردًا وسلاما(٤)» وكذلك من لم يبلغه الباب من واجبات الدين فإنه معذور لا ملامة عليه وقد كان جعفر(٥) بن أبى طالب وأصحابه رضى الله عنهم بأرض الحبشة ورسول الله ﷺ بالمدينة والقرآن ينزل والشرائع تشرع ، فلا يبلغ إلى جعفر وأصحابه أصلا ، لا انقطاع الطريق جملة من المدينة إلى أرض الحبشة ، وبقوا كذلك ست سنين فما ضرهم ذلك فى دينهم شيئا إذ عملوا بالمحرم وتركوا المفروض .

---

(١) سورة الأنعام آية رقم ١٩

(٢) سورة الاسراء آية رقم ١٥

(٣) فى (أ) : بزيادة : ذلك .

(٤) الحديث رواه الإمام أحمد فى مسنده حـ ٤ ص ٢٤ ، ٥٠

(٥) جعفر بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم صحابى هاشمى من شجعانهم يقال له جعفر الطيار وهو أخو أمير المؤمنين على ابن أبى طالب وكان أسن من على بعشر سنين وهو من السابقين إلى الإسلام ، هاجر إلى الحبشة فى الهجرة الثانية فلم يزل هناك إلى أن هاجر النبى إلى المدينة ، حضر موقعة مؤتة بالبلقاء فسقط شهيدًا عام ٨ هـ . طبقات بن سعد حـ ٤ ص ٢٢

قال أبو محمد : ورأيت قومًا يذهبون إلى أن الشرائع لا تلزم من كان جاهلا بها ولا من لم[٦] تبلغه .

قال أبو محمد : وهذا باطل بل هى لازمة له لأن رسول الله ﷺ بعث إلى الإنس كلهم ، وإلى الجن كلهم ، وإلى كل من لم يولد ، إذا بلغ بعد الولادة .

قال أبو محمد : قال الله تعالى آمرًا له[٧] أن يقول : « إنى رسول الله إليكم جميعًا[٨] » . وهذا عموم لا يجوز أن يخص منه أحد .

وقال تعالى : « أيحسب الإنسان أن يترك سدى[٩] » .

فأبطل سبحانه أنه يكون أحد سدى ، والسدى : هو المهمل الذى لا يؤمر ولا ينهى ، فأبطل عز وجل هذا الأمر ، ولكنه معذور بجهله ومغيبه عن المعرفة فقط ، وأما[١٠] من بلغه ذكر النبى ﷺ حيث ما كان من أقاصى الأرض ففرض عليه البحث عنه ، فإذا بلغته نذارته ففرض عليه التصديق به ، واتباعه ، وطلب الدين اللازم له ، والخروج عن وطنه لذلك ، وإلا فقد استحق الكفر ، والخلود فى النار ، والعذاب بنص القرآن ، وكل ما ذكرنا يبطل قول من قال من الخوارج إن فى حين بعث النبى ﷺ يلزم من فى أقاصى الأرض الإيمان به ، ومعرفة شرائعه ، فإن ماتوا فى تلك الحال ماتوا كفارًا إلى النار ، ويبطل هذا قول الله عز وجل لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت[١١] » وليس فى وسع أحد علم الغيب .

فإن قالوا فهذه حجة الطائفة القائلة إنه لا يلزم أحدا شىء من الشرائع حتى تبلغه ، قلنا لا حجة لهم فيها لأن كل ما كلف الناس فهو فى وسعهم ، واحتمال بنيتهم ، إلا أنهم معذورون بمغيب ذلك عنهم ولم يكلفوا ذلك تكليفا يعذبون به إن لم يفعلوه ، وإنما كلفوه تكليف من لا يعذبون حتى يبلغهم ومن بلغه عن رسول الله ﷺ أنه له أمرًا من الحكم مجملًا أو لم يبلغه نصه ، ففرض عليه اجهاد نفسه فى طلب ذلك الأمر ، وإلا فهو عاص لله عز وجل .

قال الله تعالى : فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون[١٢] » .

---

(٦) سقط من (أ) « لم » .
(٧) سقط من (أ) « له » .
(٨) سورة الأعراف آية رقم ١٥٨
(٩) سورة القيامة آية رقم ٣٦
(١٠) فى (أ) : وأن .
(١١) سورة البقرة آية رقم ٢٨٦
(١٢) سورة الأنبياء آية رقم ٧

وبقوله تعالى : « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون[١٣] » .

وأما من تاب عن ذنب ، أو كفر ، ثم رجع إلى ما تاب عنه ، فإنه إن كانت توبته تلك وهو معتقد للعودة فهو عابث ، مستهزىء ، مخادع ، لله تعالى ، قال الله تعالى : « يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم – إلى قوله : عذاب أليم بما كانوا يكذبون[١٤] » .

وأما من كانت توبته نصوحًا ، ثابت العزيمة ، فى أن لا يعود فهى توبة صحيحة مقبولة بلا شك مسقطة لكل ما تاب عنه بالنص .

قال عز وجل : « وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا[١٥] » فإن عاد بعد ذلك إلى الذنب الذى تاب منه فلا يعود عليه ذنب قد[١٦] غفره الله له أبدًا ، فإن ارتد ومات كافرًا فقد سقط عمله والتوبة عمل . فقد حبطت فهذا يعود عليه كل[١٧] ما عمل خاصة .

وأما من راجع الإسلام ومات عليه فقد سقط عنه الكفر وغيره .

قال أبو محمد : ولا تكون التوبة إلا بالندم ، والاستغفار ، وترك المعاودة ، والعزيمة على ذلك ، والخروج من مظلمة إن تاب عنها إلى صاحبها بتحلل أو انصاف ، ورأيت لأبى بكر أحمد ابن على بن بيغجور المعروف بابن الأخشيد[١٨] وهو أحد أركان المعتزلة ، وكان أبوه من أبناء ملوك فرغانة[١٩] من الأتراك وولى أبوه الثغور ، وكان هذا أبو بكر ابنه يتفقه للشافعى ، فرأيت له فى بعض كتبه يقول : إن التوبة هى الندم فقط وإن لم ينو مع ذلك ترك المراجعة لتلك الكبيرة .

قال أبو محمد : هذا أشنع ما يكون من قول المرجئة لأن كل معتقد للإسلام فبلا شك ندرى أنه نادم على كل ذنب يعمله عالما بأنه مسيىء فيه مستغفر منه ، ومن كان بخلاف هذه الصفة لكن مستحسنًا لما فعل غير نادم عليه فليس مسلما ، فكل صاحب كبيرة فهو على قول ابن الاخشيد غير مؤاخذ بها لأنه تائب منها ، وهذا خلاف الوعيد .

---

(١٣) سورة التوبة آية رقم ١٢٢

(١٤) سورة البقرة آية رقم ٩ ، ١٠ وقد وقع تحريف فى (خ) حيث قال : وما يخادعون إلا أنفسهم .

(١٥) سورة طه آية رقم ٨٢

(١٦) سقط من (أ) « وقد » .

(١٧) سقط من (أ) « كل » .

(١٨) هو : احمد بن على بن بيغجور أبو بكر بن الأخشيد ، من رؤساء المعتزلة ، كان فصيحًا له معرفة بالعربية والفقه من تصانيفه نقل القرآن والاجماع ، واختصار تفسير الطبرى سنة ٣٢٦ هـ . لسان الميزان حـ ١ ص ٢٣١

(١٩) فرغانة : بالفتح ثم السكون ، وغين معجمة ، وبعد الألف نون ، مدينة واسعة متاخمة لبلاد تركستان كثيرة الخير بينها وبين سمرقند خمسون فرسخًا ، وممن ينسب إلى فرغانة حاجب بن مالك ابن اركين أبو العباس التركى الفرغانى ، وفى كتاب ابن الفقيه كان أنو شروان بناها ونقل إليها من كل أهل بيت واحدًا وسماها « أزهر خانة » أى من كل بيت . (راجع معجم البلدان حـ ٤ ص ٢٥٣) .

فإن قال قائل : فإنكم تقطعون على قبول إيمان المؤمن ، أفتقطعون على قبول توبة التائب ، وعمل العامل للخير ، إن كل ذلك مقبول .

وهل تقطعون على المكثر من السيئات إنه فى النار .. ؟

قلنا : وبالله تعالى التوفيق .

إن الأعمال لها شروط من توفيه النية حقها ، وتوفيه صفة[٢٠] العمل حقه فلو أيقنا أن العمل وقع كاملًا كما أمر الله تعالى لقطعنا على قبول الله عز وجل له ، وأما التوبة فإذا وقعت نصوحًا فنحن نقطع بقبولها ، وأما القطع على مظهر الخير بأنه فى الجنة ، وعلى مظهر الشر والمعاصى بأنه فى النار ، فهذا خطأ لأننا لا نعلم ما فى النفوس ولعل المظهر الخير مبطن للكفر أو مبطن على كبائر لا نعلمها فواجب أن لا نقطع من أجل ذلك عليه بشىء ، وكذلك المعلن بالكبائر فإنه يمكن أن يبطن الكفر فى باطن أمره فإذا قرب من الموت آمن فاستحق الجنة ، أو لعل له حسنات فى باطن أمره تفىء على سيئاته فيكون من أهل الجنة ، فلهذا وجب أن لا نقطع على أحد بعينه بجنة أو نار حاشا من جاء النص فيه من الصحابة رضى الله عنهم بأنهم فى الجنة ، وبأن الله علم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم ، وأهل بدر[٢١] وأهل السوابق ، فإنا نقطع على هؤلاء بالجنة لأن الله تعالى أخبرنا بذلك على لسان رسوله ﷺ ، وحاشا من مات معلنا للكفر ، فإنا نقطع عليه بالنار ، ونقف فيمن عدا هؤلاء إلا أننا نقطع على الصفات فنقول : من مات معلنًا للكفر ، أو مبطنا له فهو فى النار ، خالدًا فيها ومن أتى[٢٢] الله تعالى راجح الحسنات على السيئات والكبائر أو متساويهما فهو فى الجنة ، لا يعذب بالنار .

ومن لقى الله تعالى راجح الكبائر على الحسنات ففى النار . ويخرج منها بالشفاعة إلى الجنة – وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : ورأيت بعض أصحابنا يذهب إلى شىء يسميه شاهد الحال ، وهو أن من كان مظهر الشىء من الديانات ، متحملا للأذى فيه غير مستجلب بما يلقى من ذلك حالا ، فإنه مقطوع على باطنه وظاهره قطعا لا شك فيه كعمر بن عبد العزيز[٢٣] وسعيد بن المسيب[٢٤]

---

(٢٠) سقط من (أ) كلمة : صفة .

(٢١) قال رسول الله – ﷺ : كأن الله قال : لاهل بدر اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ، ورواه البخارى فى التفسير وأبو داود فى السنة ٨ والجهاد ٩٨ والترمذى فى التفسير سورة ٦٠

(٢٢) فى (أ) : « لقى » .

(٢٣) عمر بن عبد العزيز : بن مروان بن الحكم الأموى القرشى ، أبو حفص ، الخليفة الصالح ، والملك العادل ، قيل له خامس الراشدين ، ولد ونشأ بالمدينة ٦١ هـ وولى الخلافة بعهد من سليمان ٩٩ هـ دس له السم فمات سنة ١٠١ هـ (تهذيب التهذيب حـ ٧ ص ٤٧٥) .

(٢٤) سعيد بن المسيب : بن حَزنْ بن أبى وهب المخزومى القرشى ، أبو محمد سيد التابعين وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، جمع بين الحديث والفقه ، والزهد والورع ، وكان يعيش من التجارة بالزيت ، توفى بالمدينة سنة ٩٤ هـ . (طبقات بن سعد حـ ٥ ص ٨٨) .

والحسن البصرى[٢٥] وابن سيرين[٢٦] ومن جرى مجراهم ممن قبلهم أو معهم أو بعدهم ، فإن هؤلاء رضى الله عنهم رفضوا من الدنيا مالو استعملوه لما حط من وجاهتهم شيئا ، واحتملوا من المضنى مالو خففوه عن أنفسهم لم يقدح ذلك فيهم عند أحد ، فهؤلاء مقطوع على إسلامهم عند الله عز وجل ، وعلى خيرهم وفضلهم ، وكذلك نقطع على أن عمرو[٢٧] بن عبيد كان يدين بابطال القدر بلا شك فى باطن أمره ، وأن أبا حنيفة[٢٨] والشافعى[٢٩] رضى الله عنهما كانا فى باطن أمرهما يدنيان الله تعالى بالقياس ، وأن داود[٣٠] بن على كان فى باطن الأمر يدين الله تعالى بإبطال القياس بلا شك .

وأن أحمد[٣١] بن حنبل رضى الله عنه كان يدين الله تعالى بالتدين بالحديث فى باطن أمره بلا شك ، وبأن القرآن غير مخلوق بلا شك ، وهكذا كل أمر تناصرت أحواله ، وظهر جده ، فى معتقد ما ، وترك المسامحة فيه ، واحتمل الأذى ، والمضض من أجله .

قال أبو محمد : وهذا قول صحيح لا شك فيه إذ لا يمكن البتة فى بنية الطبائع أن يحتمل أحد أذى ومشقة لغير فائدة يتعجلها أو يتأجلها ، وبالله تعالى التوفيق .

ولابد لكل ذى عقد من أن تبين عليه شاهد غيره[٣٢] بما يبدو منه من مسامحه فيه ، أو صبر عليه .

وأما من كان بغير هذه الصفة فلا نقطع على عقدة ، وبالله تعالى التوفيق .

---

(٢٥) الحسن البصرى راجع ترجمته ص ١٠٩ من هذا الجزء .

(٢٦) محمد بن سيرين ، البصرى ، الأنصارى بالولاء ، أبو بكر ، إمام وقته فى علوم الدين بالبصرة ، تابعى من أشراف الكتاب ، مولده ووفاته بالبصرة ، نشأ بزازًا فى أذنه صمم ، وتفقه وروى الحديث ، واشتهر بالورع وتعبير الرؤيا ، توفى سنة ١١٠ هـ . (وفيات الأعيان حـ ١ ص ٤٥٣) .

(٢٧) عمرو بن عبيد : بن باب أبو عثمان البصرى ، شيخ المعتزلة فى عصره ومفتيها ، وأحد الزهاد المشهورين كان جده من سبى فارس وأبوه نساجًا ثم شرطيًا للحجاج فى البصرة ، واشتهر عمرو بعلمه وزهده من كتبه : الرد على القدرية ، والتفسير ، توفى بمران قرب مكة سنة ١٤٤ هـ . (ميزان الاعتدال حـ ٢ ص ٢٩٤) .

(٢٨) أبو حنيفة : النعمان بن ثابت . راجع ترجمته فى الجزء الثالث ص ٢٢٧ .

(٢٩) الشافعى : محمد بن أدريس : راجع ترجمته فى الجزء الثالث ص ٢٦٤ .

(٣٠) داود بن على : راجع ترجمته فى الجزء الثالث ص ٢٩١ .

(٣١) أحمد بن حنبل : ت ٤٢١ هـ وهو أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيبانى : راجع ترجمة مفصلة له فى طبقا الحفاظ حـ ١ ص ٨٦ .

(٣٢) فى (أ) : (عقده) .

« الكلام فى الشفاعة والميزان والحوض والصراط وعذاب القبر والفتنة »[1]

قال أبو محمد : اختلف الناس فى الشفاعة فأنكرها قوم ، وهم المعتزلة ، والخوارج ، وكل من منع أن يخرج أحد من النار بعد دخوله[2] فيها ، وذهب أهل السنة ، والأشعرية ، والكرامية ، وبعض الرافضة إلى القول بالشفاعة ، واحتج المانعون منها[3] بقول الله عز وجل : « فما تنفعهم شفاعة الشافعين[4]» .

وبقوله عز وجل : « يوم لا تملك نفس لنفس شيئًا والأمر يومئذ لله[5]» .

وبقوله تعالى : « قل إنى لا أملك لكم ضرًا ولا رشدا[6]» .

وبقوله تعالى : « واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئًا » ولا يقبل منها شفاعة[7].

وبقوله تعالى : « من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة[8]» .

وبقوله تعالى : « فما لنا من شافعين ولا صديق حميم[9]» .

وبقوله تعالى : « ولا يقبل منها عدل ولا تنفعهما شفاعة ولا هم ينصرون[10]» .

قال أبو محمد : من يؤمن بالشفاعة أنه لا يجوز الاقتصار على بعض القرآن دون بعض ،

---

(١) سقط من (أ) كلمة : الصراط والكتبة بدلًا من الفتنة .
(٢) فى (خ) : بعد دخولها .
(٣) سقط من (أ) منها .
(٤) سورة المدثر آية رقم ٤٨
(٥) سورة الانفطار آية رقم ١٩
(٦) سورة الجن آية رقم ٢١ وقد جاءت هذه الآية محرفة .
(٧) سورة البقرة آية رقم ٤٨
(٨) البقرة آية رقم ٢٥٤
(٩) سورة الشعراء آية رقم ١٠٠
(١٠) سورة البقرة آية رقم ١٢٣ وقد جاءت هذه الآية محرفة فى (أ) : حيث ذكرها « ولا يؤخذ منها عدل » .

ولا على بعض السنن دون بعض ، ولا على القرآن دون بيان رسول الله ﷺ ، الذى قال له ربه عز وجل « لتبين للناس ما نزل إليهم(١١) » .

وقد نص الله تعالى على صحة الشفاعة فى القرآن .

فقال تعالى : « لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا(١٢) » .

فأوجب عز وجل الشفاعة إلا من اتخذ عنده عهدا بالشفاعة [ونفاها عن سواه فقد اتخذ محمد – ﷺ عند الله(١٣) عهدًا بالشفاعة] وصحت بذلك الأخبار المتواترة ، المتناصرة ، بنقل الكواف لها .

قال تعالى : « يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من إذن له الرحمن ورضى له قولا(١٤) » .

وقال تعالى : « ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له(١٥) » .

فنص تعالى على أن الشفاعة يوم القيامة تنفع عنده عز وجل ، ممن أذن له فيها ، ورضى قوله ، ولا أحد من الناس أولى بذلك من محمد ﷺ ، لأنه أفضل ولد آدم عليه السلام .

وقال تعالى : « من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه(١٦) » .

« وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى(١٧) » .

وقال تعالى : « ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون(١٨) » .

وقال تعالى : ما من شفيع إلا من بعد إذنه(١٩) » .

فقد صحت الشفاعة بنص القرآن الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فصح يقينا أن الشفاعة التى أبطلها الله عز وجل ، هى غير الشفاعة التى أثبتها عز وجل ، وإذ لا شك فى ذلك فالشفاعة التى أبطل عز وجل هى الشفاعة للكفار ، الذين هم مخلدون فى النار .

---

(١١) سورة النحل آية رقم ٤٤ وقد جاءت الآية محرفة فى (أ) : حيث ذكرها « ما أنزل » .
(١٢) سورة مريم آية رقم ٨٧
(١٣) ما بين القوسين سقط من (أ) .
(١٤) سورة طه آية رقم ١٠٩
(١٥) سورة سبأ آية رقم ٢٣
(١٦) سورة البقرة آية رقم ٥٥
(١٧) سورة النجم آية رقم ٢٦
(١٨) سورة الزخرف آية رقم ٨٦
(١٩) سورة يونس آية رقم ٣

قال تعالى : « لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها[٢٠]» . نعوذ بالله منها ، فإذ لا شك فيه ، فقد صح يقينا أن الشفاعة التى أوجب الله عز وجل لمن أذن له ، واتخذ عنده عهدًا ، ورضى قوله .

فإنما هى لمذنبى أهل الإسلام – وهكذا جاء الخبر الثابت .

قال أبو محمد : وهما شفاعتان إحداهما عامُة لكل محسن ومسىء فى تعجيل الحساب يوم القيامة ، واراحة الناس مما هم فيه من هول[٢١] الموقف وشنعة الحال وهو المقام المحمود ، الذى جاء النص فى القرآن به ، فى قوله : « عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا[٢٢]» وهكذا جاء الخبر الثابت نصا .

والشفاعة الثانية : فى إخراج أهل الكبائر من النار ، طبقة طبقة ، على ما صح فى ذلك الخبر .

وأما قول الله تعالى : « قل إنى لا أملك لكم ضرًا ولا رشدًا[٢٣]» « يوم لا تملك نفس لنفس شيئا[٢٤]» .

فما خالفناهم فى هذا أصلا ، وليس هذا من الشفاعة فى شىء ، فنعم لا يملك أحدٌ لأحد نفعًا ، ولا ضرًا ، ولا رشدًا ، ولا هدى ، وإنما الشفاعة رغبة إلى الله تعالى ، وضراعة ، ودعاء .

وقال بعض منكرى الشفاعة : إن الشفاعة ليست إلا فى المحسنين فقط .

واحتجوا بقوله تعالى : « ولا يشفعون إلا لمن ارتضى[٢٥]» .

قال أبو محمد : وهذا لا حجة لهم فيه ، لأن من أذن الله فى اخراجه من النار وإدخاله الجنة ، وأذن للشافع فى الشفاعة له فى ذلك ، فقد ارتضاه ، وهذا حق وفضل الله تعالى على من قد غفر له ذنوب ، بأن رجحت حسناته على كبائره ، أو بأن لم تكن له كبيرة ، أو بأن تاب عنها فهو مغن له عن شفاعة كل شافع ، فقد حصلت له الرحمة ، والفوز ، من الله تعالى وأمر به إلى الجنة ففى ماذا يشفع له ؟ وإنما الفقير إلى الشفاعة من غلبت كبائره على[٢٦] حسناته ، فأدخل النار ، ولم يأذن تعالى باخراجه منها ، إلا بالشفاعة ، وكذلك الخلق فى كونهم فى الموقف هم أيضا

(٢٠) سورة فاطر آية رقم ٣٦
(٢١) ما بين القوسين سقط من (أ) .
(٢٢) سورة الاسراء آية رقم ٧٩
(٢٣) سورة الجن آية رقم ٢١ وقد جاءت هذه الآية محرفة حيث ذكرت بدون (إنى) .
(٢٤) سورة الانفطار آية رقم ١٩ وقد جاءت هذه الآية محرفة حيث ذكرت : ولا تملك .
(٢٥) سورة الأنبياء آية رقم ٢٨
(٢٦) سقط من (أ) كلمة : على .

فى مقام شنيع فهم أيضا محتاجون إلى الشفاعة وبالله تعالى التوفيق ، وبما صحت به[٢٧] الأخبار من ذلك . نقول : « وأما الميزان » فقد أنكره قوم فخالفوا كلام الله تعالى جراءة ، وإقدامًا ، وتنطع آخرون ، فقالوا : هو ميزان بكفتين من ذهب ، وهذا إقدام آخر لا يحل ، قال الله عز وجل : « وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينًا وهو عند الله عظيم[٢٨] » .

قال أبو محمد : وأمور الآخرة لا تعلم إلا بما جاء فى القرآن الكريم ، أو بما جاء عن رسل الله ﷺ ، ولم يأت عنه عليه السلام شيء يصح فى صفة الميزان ، ولو صح عنه عليه السلام فى ذلك شيء لقلنا به ، فإذ لا يصح عنه عليه السلام فى ذلك شيء فلا يحل لأحد أن يقول على الله عز وجل ما لم يخبرنا به ، لكن نقول كما قال الله عز وجل « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة - إلى قوله : « وكفى بنا حاسبين[٢٩] » .

وقال تعالى : « والوزن يومئذ الحق[٣٠] » .

وقال تعالى : « فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية ، وأما من خفت موازينه فأمه هاوية[٣١] » .

فنقطع على أن الموازين توضع يوم القيامة لوزن أعمال العباد .

قال تعالى عن الكفار : « فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا[٣٢] » .

وليس هذا على أنه لا توزن أعمالهم ، بل توزن لكن أعمالهم شائلة وموازينهم خفاف ، قد نص الله تعالى على ذلك إذ يقول : « ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون » إلى قوله : « فكنتم بها تكذبون[٣٣] » .

فأخبر عز وجل أن هؤلاء المكذبين بآياته خفت موازينهم ، والمكذبون بآيات الله عز وجل كفار بلا شك ، ونقطع على أن تلك الموازين أشياء يبين الله عز وجل بها لعبادة مقادير أعمالهم من خير أو شر ، من مقدار الذرة التى لا يحس وزنها فى موازيننا أصلا ، فما زاد ، ولا ندرى كيف تلك الموازين .. ؟ إلا أننا ندرى أنها بخلاف موازين الدنيا ، وأن ميزان من تصدق بدينار أو بلؤلؤة

---

(٢٧) سقط من (أ) : به .
(٢٨) سورة النور آية رقم ١٥
(٢٩) سورة الأنبياء آية رقم ٤٧
(٣٠) سورة الأعراف آية رقم ٨
(٣١) سورة القارعة آية رقم ٦ إلى ٩
(٣٢) سورة الكهف آية رقم ١٠٥
(٣٣) سورة المؤمنون آية رقم ١٠٣

أثقل من ميزان[٣٤] من تصدق بدابه[٣٥] وليس هكذا وزن الدنيا[٣٦] وندرى أن إثم القاتل أعظم من إثم اللاطم ، وأن ميزان مصلى الفريضة أعظم من ميزان مصلى مثلها من[٣٧] التطوع ، بل بعض الفرائض أعظم أجرًا[٣٨] من بعض ، فقد صح عن النبى ﷺ « أَنَّ مَنْ صلى الْصُبْحَ فِى جَمَاعةٍ كَمنْ قَامَ لَيْلَةً ، وَمْنَ صَلَّى العَتمَةَ فى جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّما قَامَ نِصْفُ لَيْلةٍ[٣٩]» وكلاهما فرض وهكذا جميع الأعمال ، فإنما يوزن عمل العبد خيره مع شره ، ولو نصح المعتزلة أنفسهم لعلموا أن هذا عين العدل ، وأما من قال بما لا يدرى من إن ذلك الميزان ذو كفتين فإنما قاله قياسًا على موازين الدنيا وقد أخطأ فى قياسه ، إذ فى موازين الدنيا ما لا كفة له كالقرسطون ، وأما نحن فإنما اتبعنا النصوص الواردة فى ذلك فقط ، ولا نقول إلا بما جاء به قرآن ، أو سنة صحيحة عن النبى ﷺ ، ولا ننكر إلا ما لم يأت فيهما ، ولا تكذيب إلا بما فيهما إبطاله وبالله تعالى التوفيق .

« وأما الحوض »

فقد صحت الآثار فيه وهو كرامة للنبى ﷺ ، ولمن ورد عليه من أمته ولا ندرى لمن انكره متعلقا إلا الجهل بالآثار[٤٠] ولا يجوز مخالفة ما صح عن النبى ﷺ فى هذا وغيره وبالله تعالى التوفيق .

« وأما الصراط »

فقد ذكرناه فى الباب الأول الذى قبل هذا ، وأنه كما قال رسول الله ﷺ « يُوضَع الُصِّراطُ بَيْنَ ظَهْرَانَىْ جَهَنَّمَ وَيَمُرَ عليه الَنَّاسُ فَمَجْدوُجٌ وَنَاجٍ وَمَكْرُوُسُ فى نَارِ جَهَنَّم[٤١]» وأن الناس يجيزون عليه على قدر أعمالهم كمر الطرف فما دون ذلك إلى من يقع فى النار ، وهو طريق أهل

---

(٣٤) سقط من (أ) (من ميزان) .
(٣٥) فى (أ) : بداية .
(٣٦) سقط من (أ) بداية .
(٣٧) سقط من (أ) مثلها من .
(٣٨) سقط من (أ) كلمة : أجرًا .
(٣٩) الحديث رواه مسلم فى المساجد ٢٦٠ والبخارى فى الآذان ٣٤ والترمذى فى الصلاة ٥١ وابن ماجه فى المساجد ١٨ والدارمى فى الصلاة ٣٨ وأحمد بن حنبل فى مسنده حـ ١ ص ٥٨ ، ٦٨ ولفظه عند مسلم : من صلى العشاء فى جماعة فكأنما قام نصف الليل ، ومن صلى الصبح جماعة فكأنما صلى الليل كله .
(٤٠) سقط [الا الجهل بالآثار] .
(٤١) الحديث رواه البخارى فى الآذان ١٢٩ والتوحيد ٢٤ ورواه مسلم فى الإيمان ٢٩٩ وابن ماجه فى الزهد ٣٣ وأحمد بن حنبل فى المسند حـ ٣ ص ٢٩٣ ولفظه عند ابن ماجه : يوضع الصراط بين ظهرانى جهنم على حسك السعدان ثم يستجيز الناس فناج مُسَلَّمَ ومخدوج به ثم ناج ومحتبس به ومكنوس فيها » .

الجنة اليها من المحشر فى الأرض إلى السماء ، وهو معنى قول الله تعالى : « وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا[٤٢]» .

وأما كتاب الملائكة لأعمالنا فحق قال الله تعالى : « وإنّ عليكم لحافظين كراما كاتبين[٤٣]» .

وقال تعالى : « إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون[٤٤]» .

وقال تعالى : « وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابًا يلقاه منشورا اقرأ كتابك[٤٥]» .

وقال تعالى : « إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد[٤٦]» .

قال أبو محمد : وكل هذا لا خلاف فيه بين أحد ممن ينتمى إلى الإسلام ، إلا أنه لا يعلم أحد من الناس كيفية ذلك الكتاب .

---

(٤٢) سورة مريم آية رقم ٧١
(٤٣) سورة الانفطار آية رقم ١١
(٤٤) سورة الجاثية آية رقم ٢٩
(٤٥) سورة الاسراء آية رقم ١٣
(٤٦) سورة ق آية رقم ١٧

« عـذاب القبـــر »

قال أبو محمد : ذهب ضرار بن عمرو الغطفانى[1] أحد شيوخ المعتزلة إلى إنكار عذاب القبر .

وهو قول من لقينا من الخوارج .

وذهب أهل السنة وبشر بن المعتمر[2] والجبائى[3] وسائر المعتزلة إلى القول به .

وبه نقول لصحة الآثار عن رسول الله ﷺ .

قال أبو محمد : وقد احتج من أنكره بقول الله تعالى : « ربنا أمتنا اثنتين ، وأحييتنا اثنتين[4]» .

وبقوله تعالى : « كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم[5]» الآية .

قال أبو محمد : وهذا حق لا يدفع عذاب القبر لأن فتنة القبر وعذابه والمساءلة إنما هى للروح فقط بعد فراقه للجسد إثر ذلك ، قبر أو لم يقبر .

برهان ذلك : قول الله تعالى : « ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم اخرجوا أنفسكم ، اليوم[6]... الآية .

وهذا قبل القيامة بلا شك وإثر الموت وهذا هو عذاب القبر .

---

(١) راجع ترجمته فى الجزء الثالث .
(٢) راجع ترجمته فى الجزء الثالث .
(٣) راجع ترجمته فى الجزء الثالث .
(٤) سورة غافر آية رقم ١١
(٥) سورة البقرة آية رقم ٢٨
(٦) الأنعام آية رقم ٩٣

وقال تعالى : « إنما توفون أجوركم يوم القيامة[٧] » .

وقال تعالى فى آل عمران « النار يعرضون عليها غدوا وعشيًا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب[٨] » .

فهذا العرض المذكور هو عذاب القبر ، وإنما قيل عذاب القبر فأضيف إلى القبر لأن المعهود فى أكثر الموتى أنهم يقبرون .

وقد علمنا أن فيهم أكيل السبع ، والغريق تأكله دواب البحر ، والمحرق ، والمصلوب ، والمعلق ، فلو كان على ما يقدر من يظن أنه لا عذاب إلا فى القبر المعهود لما كان لهؤلاء فتنة ، ولا عذاب قبر ، ولا مساءلة ، ونعوذ[٩] بالله من هذا بل كل ميت فلابد له من فتنة ، وسؤال ، وبعد ذلك سرور أو نكد إلى يوم القيامة[١٠] فيوفون حينئذ أجورهم وينقلبون إلى الجنة أو النار .

وأيضا فإن جسد كل إنسان فلابد[١١] للعود إلى التراب يوما ما ، كما قال تعالى :« منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى[١٢] » .

فكل من ذكرنا من مصلوب أو معلق أو محرق أو أكيل سبع أو دابة فإنه يعود رَمَادًا أو رجيعا ، أو يتقطع فيعود إلى الأرض ، ولابد وكل مكان استقرت فيه النفس أثر خروجها من الجسد فهو قبر لها إلى يوم القيامة ، وأما من ظن أن الميت يحيى فى قبره فخطأ لأن الآيات التى ذكرنا تمنع من ذلك ، ولو كان ذلك لكان تعالى قد أماتنا ثلاثا وأحيانا ثلاثا ، وهذا باطل ، وخلاف القرآن ، إلا من أحياه الله تعالى آية لنبى من الأنبياء . « الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم[١٣] . أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه[١٤] .

وكذلك قوله تعالى « الله يتوفى الأنفس حين موتها ، إلى قوله إلى أجل مسمى[١٥] » .

فصح بنص القرآن أن روح من مات لا ترجع إلى جسده إلا إلى الأجل المسمى ، وهو يوم

---

(٧) سورة آل عمران آية رقم ١٨٥
(٨) سورة غافر آية رقم ٤٦
(٩) فى (خ) : « ومعاذ الله » .
(١٠) فى (أ) : القيمة .
(١١) فى (خ) : فلابد له من العود .
(١٢) سورة طه آية رقم ٥٥
(١٣) سورة البقرة آية رقم ٢٤٢
(١٤) سورة البقرة آية رقم ٢٥٩
(١٥) سورة الزمر آية رقم ٤٢

القيامة ، وكذلك أخبر رسول الله ﷺ أنه رأى الأرواح ليلة أسرى به عند سماء الدنيا عن يمين آدم عليه السلام ، أرواح أهل السعادة ، وعن شماله أرواح أهل الشقاء ، وأخبر عليه السلام يوم بدر إذ خاطب القتلى وأخبر أنهم وجدوا ما توعدهم به حقا قبل أن يكون لهم قبور ، فقال المسلمون يَا رَسُولَ الله أَتُخَاطِبُ قَوْمًا قَدْ جَيَّفُوا فَقَالَ عَلَيْه الْسَلَام « مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَع لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ(١٦) » فلم ينكر عليه السلام على المسلمين قولهم أنهم قد جَيَّفُوا وأعلمهم أنهم سامعون فصح أن ذلك لأرواحهم فقط بلا شك ، وأما الجسد فلا حس له .

قال أبو محمد : ولم يأت قط عن رسول الله ﷺ فى خبر يصح أن أرواح الموتى ترد إلى أجسادهم عند المساءلة ، ولو صح ذلك عنه عليه السلام لقلنا به ، فإذ لا يصح فلا يحل لأحد أن يقوله ، وإنما انفرد بهذه الزيادة من رد الأرواح المهنال بن عمرو(١٧) وحده ، وليس بالقوى . تركه شعبه وغيره ، وسائر الأخبار الثابتة على خلاف ذلك ، وهذا الذى قلنا هو الذى صح أيضا عن الصحابة رضى الله عنهم ، لم يصح عن أحد منهم غير ما قلنا كما حدثنا محمد بن سعيد بن بيان حدثنا اسماعيل بن اسحاق ، حدثنا عيسى بن حبيب ، حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد ابن عبد الله بن يزيد المقرى عن جده محمد بن عبد الله ، عن سفيان بن عيينه ، عن منصور ابن صفية ، عن أمه صفية بنت شيبة ، قال : دخل بن عمر المسجد فابصر ابن الزبير مطروحًا قبل أن يصلب ، فقيل له : هذه أسماء بنت أبى بكر الصديق ، فمال إليها فعزاها ، وقال : إن هذه الجثث ليست بشىء ، وإن الأرواح عند الله ، فقالت أسماء : وما يمنعنى وقد أهدى رأس يحيى ابن زكريا إلى بغى من بغايا بنى إسرائيل ، وحدثنا محمد بن بيان ، ثنا أحمد بن عون الله حدثنا قاسم ابن إصبغ ، حدثنا محمد بن عبد السلام الخشنى ، ثنا أبو موس محمد بن المثنى الزمن ، ثنا عبد الرحمن بن مهدى ، ثنا سفيان الثورى ، عن ابن اسحاق السبيعى ، عن أبى الأحوص ، عن ابن مسعود ، فى قول الله عز وجل « ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين(١٨) » .

قال ابن مسعود : هى التى فى البقرة « وكنتم أمواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم(١٩) » .

فهذا ابن مسعود : وأسماء بنت أبى بكر الصديق ، وابن عمرو رضى الله عنهم ، ولا مخالف

---

(١٦) الحديث رواه مسلم فى الجنة ٧٧ والنسائى فى الجنائز ١١٧ وأحمد بن حنبل فى المسند حـ ١ ص ٧٢ حـ ص ١٠٤ ولفظه عند مسلم : يا رسول الله كيف يسمعوا وأنى يجيبوا وقد جَيَّفُوا قال : والذى نفس بيده ما أنتم با سمع لما أقول منهم ، ولكنهم لا يقدرون أن يجبوا ثم أمر بهم فسحبوا فألقوا فى قليب بدر .

(١٧) المنهال بن عمرو الأسدى ، روى عن أنس ، وسويد بن غفلة ومحمد بن الحنفية وأبى عبيدة بن عبد الله بن مسعود وسعيد بن جبير وغيرهم ، قال وهب بن جرير عن شعبة اتيت منزل المنهال فسمعت منه صوت الطنبور فرجعت ولم أسأله ، وقال الغلابى كان ابن معين يضع من شأن المنهال . (تهذيب التهذيب حـ ١ ص ٣١٩) .

(١٨) سورة غافر آية رقم ١١

(١٩) سورة البقرة آية رقم ٢٨

لهم من الصحابة رضى الله عنهم ، تقطع أسماء وابن عمر على أن الأرواح باقية عند الله ، وأن الجثث ليست بشيء ، ويقطع ابن مسعود بأن الحياة مرتان ، والوفاة كذلك ، وهذا قولنا ، وبالله التوفيق .

قال أبو محمد : وقد صح عن النبى ﷺ أنه رأى موسى عليه السلام قائما فى قبره يصلى ليلة الإسراء ، وأخبر أنه رآه فى السماء السادسة ، أو السابعة ، وبلا شك إنما رأى روحه ، وأما جسده فموارى بالتراب بلا شك .

فعلى هذا أن موضع كل روح يسمى قبرًا له[٢٠] فتعذب الأرواح حينئذ ، وتسأل حيث كانت ، وبالله تعالى التوفيق .

(٢٠) سقط من (أ) له .

« مســـتقر الأرواح »

قال أبو محمد : اختلف الناس فى مستقر الأرواح ، وقد ذكرنا بطلان قول أصحاب التناسخ فى صدر كتابنا هذا – والحمد لله رب العالمين .

فذهب قوم من الروافض[١] إلى أن أرواح الكفار ببرهوت ، وهو بئر بحضرموت[٢] وأن أرواح المؤمنين بموضع آخر أظنه الجابية – وهذا قول فاسد ، لأنه لا دليل عليه أصلا ، وما لا دليل عليه فهو ساقط ، ولا يعجز أحد عن أن يدعى للأرواح مكانا آخر غير ما ادعاه هؤلاء ، وما كان هكذا فلا يدين به إلا مخذول ، وبالله تعالى التوفيق .

وذهب عوام أصحاب الحديث إلى أن الأرواح على أفنية قبورها – وهذا قول لا حجة له أصلا تصححه إلا خبر ضعيف لا يحتج بمثله ، لأنه فى غاية السقوط لا يشتغل به أحد من علماء الحديث ، وما كان هكذا فهو ساقط أيضًا وذهب أبو الهذيل العلاف[٣] والأشعرية إلى أن الأرواح أعراض تفنى ولا تبقى ، وقتين فإذا مات الميت فلا روح هنالك أصلا .

ومن عجائب أصحاب هذه المقالة الفاسدة ، قولهم : إن روح الإنسان الآن غير روحه قبل ذلك ، وأنه لا ينفك تحدث له روح ثم تفنى ، ثم روح ثم تفنى ، وهكذا أبدًا ، وأن الإنسان يبدل ألف ألف روح ، وأكثر فى مقدار أقل من ساعة زمانية ، وهذا يشبه تخليط من هاج به البرسام[٤]

---

(١) راجع كلمة عن الروافض فى هذا الجزء

(٢) حضرموت : بالفتح ثم السكون وفتح الراء والميم اسمان مركبان واسمها فى التوراة حاضر ميت ، وقيل سميت بحضرموت عمرو بن قيس ابن معاوية وقيل حضرموت اسمه عامر بن قحطان وإنما سمى حضرموت لأنه كان إذا حضر حربًا أكثر فيها من القتل فلقب بذلك ، وحضرموت ناحية واسعة فى شرقى عدن بقرب البحر وحولها رمال كثيرة تعرف بالاحقاف وبها قبر هود عليه السلام وبقربها بئر برهوت وبين حضرموت وصنعاء اثنان وسبعون فرسخًا ، وأهلها دخلوا فى طاعة الرسول – ﷺ – وفد عليه الأشعث بن قيس فى بضعة عشر راكبًا مسلمًا فاكرمه رسول الله – ﷺ .. الخه . (راجع ترجمة وافية لها فى معجم البلدان حـ ٢ ص ٢٦٩ – ٢٧١) .

(٣) راجع ترجمته فى الجزء الثالث ص ٣٤

(٤) البرسام : بالكسر علة معروفة ، وفى التهذيب بالفتح . قال ابن السكيت هو الأبْرَ بِسمْ .

وزاد بعضهم فقال إن صحت الآثار فى عذاب الأرواح فإن الحياة ترد إلى أقل جزء لا يتجزأ من الجسم فهو يعذب ، وهذا أيضا حمق آخر ، ودعاوى فى غاية الفساد . وبلغنى عن بعضهم أنه يزعم أن الحياة ترد إلى عجب الذنب فهو يعذب أو ينعم ، وتعلق بالحديث الثابت عن رسول الله ﷺ « كُلُّ ابنِ آدَمَ يَأْكُلُه التُّرَابُ ، إِلَّا عَجْبُ الذَّنَبِ ، مِنْهُ خُلِقَ وَفِيهُ يُرَكَّبُ(٥) » .

قال أبو محمد : وهذا الخبر صحيح إلا أنه لا حجة فيه لأنه ليس فيه أن عجب الذنب يحيا ، ولا أنه يركب فيه حياة ، ولا أنه يعذب ولا ينعم وهذا كله مقحم فى كلام النبى ﷺ .

وإنما فى الحديث أن عجب الذنب خاصة لا يأكله التراب ، فلا يحول ترابًا وأنه منه ابتداء خلق المرء ، ومنه يبتدأ إنشاؤه ثانية فقط ، وهذا خارج أحسن خروج على ظاهرة ، وأن عجب الذنب خاصة تتبدد أجزاؤه ، وهى عظام تحسها لا تحول ترابًا ، وأن الله تعالى يبتدىء الانشاء الثانى يجمعها ثم يركب تمام الخلق للإنسان عليه ، وأنه أول ما خلق من جسم الإنسان ، ثم ركب عليه سائره .

وإذ هذا ممكن لو لم يأت به نص فخبر رسول الله ﷺ أحق بالتصديق من كل خبر ، لأنه عن الله عز وجل .

قال تعالى : « هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم(٦) » .

وقال تعالى : « ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم(٧) » وقال أبو بكر ابن كيسان الأصم : لا أدرى ما الروح ولم يثبت شىء غير الجسد .

قال أبو محمد : وسنبين إن شاء الله تعالى فساد هاتين المقالتين فى باب الكلام فى الروح والنفس من كتابنا هذا بحول الله وقوته .

والذى نقول به فى مستقر الأرواح ، هو ما قاله الله تعالى ، ونبيه ﷺ ، لا نتعداه فهو البرهان الواضح ، وهو أن الله تعالى قال : « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين(٨) » .

---

(٥) الحديث رواه البخارى فى التفسير ٣٩ ، ورواه مسلم فى الفتن ١٤١ ، ١٤٣ وأبو داود سنة ٢٢ وابن ماجه فى الزهد ٣٢ والموطأ فى للجنائز ٤٩ وأحمد بن حنبل حـ ٢ ص ٣٢٢ ، ٤٢٨

(٦) سورة النجم آية رقم ٣٢

(٧) سورة الكهف آية رقم ٥١

(٨) سورة الأعراف آية رقم ١٧٢

وقال تعالى : « ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا[٩]» .

فصح أن الله عز وجل خلق الأرواح جملة وهى الأنفس .

وكذلك أخبر عليه السلام : « أن الْأَرْوَاحُ جُنُودُ مُجَنَّدة فَمَا تَعَارَفَ مِنْها أئْتَلَفَ وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ[١٠]» .

قال أبو محمد : وهى العاقلة الحساسة ، وأخذ عز وجل عهدها وشهادتها وهى مخلوقة مصورة عاقلة ، قبل أن يأمر الملائكة بالسجود لآدم على جميعهم السلام ، وقبل أن يدخلها فى الأجساد ، والأجساد يومئذ تراب وماء ، ثم أقرها تعالى حيث شاء ، لأن الله تعالى ذكر ذلك بلفظة ثم التى توجب التعقيب ، والمهلة ، ثم أقرها عز وجل حيث شاء وهو البرزخ الذى ترجع إليه عند الموت ، لا تزال يبعث منها الجملة بعد الجملة فينفخها فى الأجساد المتولدة من المنى المنحدر من أصلاب الرجال ، وأرحام النساء ، كما قال تعالى : « ألم يك نطفة من منى يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى[١١]» .

وقال عز وجل : ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما[١٢] الآية » .

وكذلك أخبر رسول الله ﷺ أنه يُجْمَع خَلْقُ ابْن آدَمَ فِى بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، ثُمَّ يكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيه الرُّوح[١٣]» .

وهذا نص قولنا – والحمد لله ، فيبلوهم الله عز وجل فى الدنيا كما شاء ثم يتوفاها فترجع إلى البرزخ الذى رآها فيه رسول الله ﷺ ليلة أسرى به عند سماء الدنيا ، أرواح أهل السعادة عن يمين آدم عليه الصلاة والسلام ، وأرواح أهل الشقاوة عن يساره عليه السلام ، وذلك عند منقطع العناصر وتعجَّل أرواح الأنبياء عليهم السلام وأرواح الشهداء إلى الجنة .

---

(٩) سورة الأعراف آية رقم ١١

(١٠) الحديث رواه البخارى فى الأنبياء ٣ ورواه مسلم فى البر ١٥٩ ، ١٦٠ وأبو داود فى الأدب ١٦ وأحمد بن حنبل حـ ٢ ص ٢٩٥ ، ٥٢٧

(١١) سورة القيامة آية رقم ٣٧

(١٢) سورة المؤمنون آية رقم ١٣

(١٣) الحديث رواه البخارى فى بدء الخلق ٦ ، والأنبياء ١ ، والقدر ١ والتوحيد ٢٨ ورواه مسلم فى القدر ١ وأبو داود فى السنة ٦ والترمذى فى القدر ٤ وابن ماجه فى المقدمة ١٠ ولفظه عند ابن ماجه : يجمع خلق أحدكم فى بطن أمه أربعين يومًا ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات فيقول اكتب عمله وأجله ورزقه وشقى أم سعيد .. الخ .

وقد ذكر محمد بن نصر المروزى[١٤] عن اسحاق بن راهويه[١٥] أنه ذكر هذا القول الذى قلنا بعينه وقال : على هذا أجمع أهل العلم .

قال أبو محمد : وهذا قول جميع أهل الإسلام حتى خالف من ذكرنا ، وهذا هو قول الله عز وجل : وأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون أولئك المقربون فى جنات النعيم[١٦]» .

وقوله تعالى : « فأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم ، إن هذا لهو حق اليقين[١٧]» .

ولا تزال الأرواح هنالك حتى يتم عدد الأرواح كلها بنفخها فى أجسادها ، ثم يرجعوها إلى البرزخ المذكور فتقوم الساعة ، ويعيد الله عز وجل الأرواح ثانية إلى الأجساد ، وهى الحياة الثانية ، ويحاسب الخلق ، فريق فى الجنة ، وفريق فى السعير ، مخلدين أبدًا .

قال أبو محمد : وقال الأشعرية معنى قول النبى ﷺ فى العهد المأخوذ فى قول الله عز وجل : « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم[١٨]» .

أن (إذ) هاهنا بمعنى إذا فقول فى غاية السقوط ، لوجوه خمسة أولها : أنه دعوى بلا دليل ، والثانية : أن إذ بمعنى إذا لا يعرف فى اللغة ، وثالثها : أنه لو صح له تأويله هذا الفاسد وهو لا يصح لكان كلاما لا يعقل ولا يفهم ، وإنما أورده عز وجل حجة ، ولا يحتج الله عز وجل إلا بما نفهم لا بما لا نفهم ، لأن الله تعالى قد تفضل[١٩] علينا بإسقاط الإصر عنا ، ولا إصر أعظم من تكليفنا فهم ما ليس فى بنيتنا فهمه ، ورابعها : أنه لو كان كما أدعى لما كان على ظهر الأرض إلا مؤمن .

والعيان يبطل هذا لأننا نشاهد كثيرًا[٢٠] من الناس لم يقولوا قط ربنا الله ممن نشأ على

---

(١٤) محمد بن نصر المروزى أبو عبد الله ، إمام فى الفقه والحديث ، كان من أعلم الناس باختلاف الصحابة فمن بعدهم فى الأحكام ولد ببغداد ونشأ بنيسابور ، واستوطن سمرقند وتوفى بها سنة ٢٩٤ هـ له كتب منها القسامة ، والمسند فى الحديث واختصر المقريزى ثلاثة من كتبه طبعت فى جزء واحد وهى قيام الليل ، وقيام رمضان ، والوتر . (تذكرة الحفاظ حـ ٢ ص ٢٠١) .

(١٥) اسحاق بن ابراهيم بن مخلد الحنظلى أبو يعقوب ابن راهويه من سكان مرو وهو أحد كبار الحفاظ ، طاف البلاد لجمع الحديث وأخذ عنه الإمام أحمد بن حنبل والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى وغيرهم ، كان ثقة فى الحديث له تصانيف منها المسند ، استوطن نيسابور وتوفى بها سنة ٢٣٨ هـ . (تهذيب التهذيب حـ ١ ص ٢١٦) .

(١٦) سورة الواقعة آية رقم ٩

(١٧) سورة الواقعة آية رقم ٩٣

(١٨) سورة الأعراف آية رقم ١٧٢

(١٩) ما بين القوسين سقط من (أ) .

(٢٠) فى (خ) : آلافًا .

الكفر ، وولد عليه إلى أن مات ، وممن يقول بأن العالم لم يزل ولا محدث له ، من الأوائل والمتأخرين .

وخامسها : أن الله عز وجل إنما أخبر بهذه الآية عما فعل ودلنا بذلك على أن الذكر يعود بعد فراق الروح للجسد ، كما كان قبل حلوله فيه لأنه تعالى أخبرنا أنه اقام علينا الحجة بذلك الاشهاد دليلًا ، كراهية أن نقول يوم القيمة : إنا كنا عن هذا غافلين .

أى عن ذلك الإشهاد المذكور ، فصح أن ذلك الاشهاد كان(٢١) قبل هذه الدار التى نحن فيها التى أخبرنا الله عز وجل فيها بذلك الخبر ، وقبل يوم القيمة أيضًا فبطل بذلك قول بعض الأشعرية وغيرها ، وصح أن قولنا هو نص الآية والحمد لله رب العالمين .

قال أبو محمد : وإنما أتى المخالفون منهم أنهم عقدوا على أقوال ثم راموا رد كلام الله تعالى ، وكلام رسول الله ﷺ إليها ، وهذا هو الباطل الذى لا يحل ، ونحن ولله الحمد إنما أتينا إلى ما قاله الله عز وجل وما صح عن رسوله ﷺ فقلنا به ، ولم نحكم فى ذلك بطرًا ولا هوى ، ولا رددناهما إلى قول أحد ، بل رددنا جميع الأقوال إلى نصوص القرآن والسنن .

والحمد لله رب العالمين كثيرًا ، وهذا هو الحق الذى لا يحل تعديه .

قال أبو محمد : وأما أرواح الأنبياء عليهم السلام فهم الذين ذكر الله تعالى أنهم المقربون ، فى جنات النعيم ، وأنهم غير أصحاب اليمين ، وكذلك أخبر عليه السلام أنه رآهم فى السموات ليلة أسرى به فى سماء سماء ، وكذلك الشهداء أيضا هم فى الجنة لقول الله عز وجل : « ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء(٢٢)» وقال : « عند ربهم يرزقون(٢٣)» . وهذا الرزق للأرواح بلا شك ولا يكون إلا فى الجنة(٢٤).

وقد بين رسول الله ﷺ بالحديث الذى روى «نَسْمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٍ يُعَلِّق مِنْ ثِمَارِ الْجَنَّةِ ثُمَّ تَأْوِى إلى قَنَادِيلَ تَحْتَ الْعَرْشِ(٢٥)» وروينا هذا الحديث مبينا من طريق ابن مسعود رضى الله عنه وأنهم الشهداء وبهذا تتألف الأحاديث والآيات – والحمد لله رب العالمين .

فإن قال قائل : كيف تخرج الأنبياء عليهم السلام والشهداء من الجنة إلى حضور الموقف يوم القيامة .؟

---

(٢١) سقط من (أ) (كان) .

(٢٢) سورة البقرة آية رقم ١٥٤

(٢٣) سورة آل عمران آية رقم ١٦٩

(٢٤) فى (خ) : ولا يكون فى الجنة وهو تحريف .

(٢٥) الحديث رواه النسائى فى الجنائز ١١٧ وابن ماجه فى الزهد ٢٢ ، والموطأ فى الجنائز ٤٩ ، وأحمد بن حنبل جـ ٣ ص ٤٥٥ ، ٤٥٦

قيل له وبالله التوفيق : لسنا ننكر شهادة القرآن والحديث الصحيح بدخول الجنة ، والخروج عنها ، قبل يوم القيمة ، فقد خلق الله عز وجل فيها آدم عليه السلام ، وحواء ثم أخرجهما منها إلى الدنيا . والملائكة فى الجنة ، ويخرجون منها برسالات رب العالمين إلى الرسل والأنبياء إلى الدنيا ، وكل ما جاء به نص قرآن أو سنة فلا ينكره إلا جاهل ، أو مغفل ، أو ردىء الدين ، وأما الذى ينكر ولا يجوز أن يكون البتة فخروج روح من دخل الجنة إلى النار ، فالمنع من هذا إجماع من جميع الأمة ، متيقن مقطوع به ، وكذلك من دخلها يوم القيمة جزاء أو تفضلًا من الله عز وجل ، فلا سبيل إلى خروجه منها أبدًا بالنص ، وبالله تعالى التوفيق .

الكلام على من مات من أطفال المسلمين والمشركين قبل البلوغ

قال أبو محمد : اختلف الناس فى حكم من مات من أطفال المسلمين والمشركين ذكورهم وإناثهم .

فقالت الأزارقة(١) من الخوارج : أما أطفال المشركين ففى النار . وذهبت طائفة : إلى أنه يوقد لهم يوم القيامة نار ويؤمرون باقتحامها فمن دخلها منهم دخل الجنة ، ومن لم يدخلها منهم أدخل النار .

وذهب آخرون إلى الوقوف فيهم .

وذهب جمهور الناس إلى أنهم فى الجنة – وبه نقول –

قال أبو محمد : فأما الأزارقة فاحتجوا بقول الله تعالى حاكيا عن نوح عليه السلام أنه قال : رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا(٢)» .

ويقول : روى عن رسول الله ﷺ : أن خديجة أم المؤمنين رضى الله عنها

قالت : يا رسول الله أَيْنَ أَطْفَالِى مِنْكَ ؟ قَالَ فِى الْجَنَّةِ .

قَالتَ : فَأَطْفَالِى مِنْ غَيْرِك ؟ قَالَ فى النَّارِ .

فأعادت عِليه فقال لها : إِنْ شِئْت أَسْمَعتُكِ تَضَاغِيهِمْ »(٣).

---

(١) الأزارقة : أتباع نافع بن الأزرق الحنفى المكنِّى بأبى راشد ، ولم تكن للخوارج قط فرقة أكثر عددًا ولا أشد منهم شوكة ، والذى جمعهم من الدين أشياء منها قولهم : بأن مخالفيهم من هذه الأمة مشركون ، ومنها أنها استباحوا قتل نساء مخالفيهم وقتل أطفالهم ، وزعموا أن الأطفال مشركون . (راجع حديثًا مفصلًا عنهم فى الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٨٢ وما بعدها) .

(٢) سورة نوح آية رقم ٢٧

(٣) الحديث رواه الإمام أحمد فى مسنده حـ ٦ ص ٢٠٨

وبحديث آخر فى : الْوَائِدةُ وَالْموُؤدةُ فى النَّارِ(٤).

وقالوا : إن كانوا عندكم فى الجنة فهم مؤمنون ، لأنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة فإن كانوا مؤمنين فيلزمكم أن تدفنوا أطفال المشركين مع المسلمين ، وأن لا تتركوه يلتزم إذا بلغ دين أبيه فتكون ردة وخروجاً عن الإسلام إلى الكفر ، وينبغى لكم أن ترثوه وتورثوه من أقاربه من المسلمين .

قال أبو محمد : هذا كل ما احتجوا به ما يعلم لهم حجة غير هذا أصلًا ، وكله لا حجة لهم فيه البتة .

أما قول نوح عليه السلام : (فلم يقل ذلك على كل كافر ، بل قال ذلك على كفار قومه خاصة ، لأن الله تعالى قال له : أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن)(٥).

فأيقن نوح عليه السلام بهذا الوحى أنه لا يحدث فيهم مؤمن أبدًا وأن كل من ولدوه إن ولدوه لم يكن إلا كافرًا ولابد .

وهذا هو نص الآية لأنه تعالى حكى عنه أنه قال :

« رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا »(٦).

وإنما أراد كفار وقته الذين كانوا على الأرض حينئذ فقط ، ولو كان للأزارقة أدنى علم لعلموا أن هذا من كلام نوح عليه السلام ليس على كل كافر ، لكن على قوم نوح خاصة ، لأن إبراهيم ومحمدًا صلى الله عليهما وسلم كانا أبواهما كافرين مشركين ، وقد ولدا خير الإنس والجن من المؤمنين ، وأكمل الناس إيمانا ، ولكن الأزارقة كانوا أعرابًا جهالًا كالأنعام ، بل هم أضل سبيلا .

وهكذا صح عن النبى ﷺ من طريق الأسود بن سريع التميمى(٧) أنه عليه السلام قال : أَوَلَيْسَ خِيَارُكُمْ أَوْلادِ الْمشْرِكين(٨).

قال أبو محمد : وهل كان أفاضل الصحابة رضى الله عنهم الذين يتولاهم الأزارقة كابن قحافة وعمر بن الخطاب ، وخديجة أم المؤمنين وغيرهم رضى الله عنهم . إلا أولاد الكفار فهل ولد

---

(٤) الحديث رواه أبو داود فى السنة رقم ١٧ ولفظه : الوائدة والموؤدة فى النار ، قال يحيى بن زكريا قال أبى : فحدثنى أبو اسحاق أن عامرًا حدثه بذلك عن علقمه عن ابن مسعود عن النبى ﷺ .

(٥) سورة هود آية رقم ٣٦

(٦) سورة نوح آية رقم ٢٦

(٧) هو الأسود بن سريع بن حمير بن عبادة التميمى من بنى سعد بن زيد غزا مع النبى – ﷺ – يكنى أبا عبد الله نزل البصرة وكان قاصًا شاعرًا محسنًا وهو أول من قص فى مسجد البصرة ، روى عنه الحسن البصرى ، وعبد الرحمن بن أبى بكرة .

(٨) قال الأسود بن سريع غزوت مع رسول الله أربع غزوات فأفض بهم التقل أن قتلوا الذرية فقال بعضهم يا رسول الله : إنهم أولاد المشركين فقال رسول الله – ﷺ : أوليس خياركم أولاد المشركين ، ما من مولود يولد إلا على فطرة الإسلام حتى يُعرب عنه لسانه ، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه . (راجع الاستيعاب فى معرفة الأصحاب حـ ١ ص ٨٩ – ٩٠

آباؤهم كفارا ؟ وهل ولدوا إلا أهل الإيمان الصريح ؟ ثم آباء الأزارقة أنفسهم كوالد نافع ابن الأزرق[٩] وغيرهم من شيوخهم هل كانوا إلا أولاد المشركين ؟ ولكن من يضلل الله فلا هادى له .

وأما حديث خديجة رضى الله عنها فساقط مطرح لم يروه قط من فيه خير ، وأما حديث الوائدة فإنه جاء كما نذكره .

« حدثنا يوسف بن عبد البر ، أنا عبد الوارث بن سفيان قاسم بن أصبغ ، حدثنا بكر ابن حماد حدثنا مسدد عن المعتمد بن سليمان التميمى قال :

سمعت داود بن أبى هند يحدث عن عامر الشعبى ، عن علقمة بن قيس عن سلمة بن يزيد الجعفى قال : أتيت أنا وأخى رسول ﷺ فقلنا له : إن أمنا ماتت فى الجاهلية وكانت تقرى الضيف ، وتصل الرحم ، فهل ينفعها من عملها ذلك شيء ؟ قال : لا .

قلنا : فإن أمنا وأدت أختا لنا فى الجاهلية لم تبلغ الحنث ، فقال رسول ﷺ .

الْمَوْؤُدَةُ والْوائِدةُ فى النَّارِ إلَّا أَنْ تُدْرِكَ الْوائِدةُ الإسْلَامَ فَتُسْلِم »[١٠].

قال أبو محمد : وهذه اللفظة يعنى لم تبلغ الحنث ليست بلا شك من كلام رسول الله ﷺ ولكنها من كلام سلمة بن يزيد الجعفى وأخيه فلما أخبر عليه السلام بأن تلك الموؤدة فى النار كان ذلك انكارا وإبطالا لقولهما إنها لم تبلغ الحنث وتصحيحًا لأنها قد كانت بلغت الحنث بخلاف ظنهما لا يجوز إلا هذا القول ، لأن كلامه عليه السلام لا يتناقض ولا يتكاذب ولا يخالف كلام ربه عز وجل ، بل كلامه عليه السلام يصدق بعضه بعضا وموافق لما أخبر به ربه[١١] عز وجل ، ومعاذ الله من غير ذلك ، وقد صح إخبار النبى ﷺ : « بأن أَطْفَالَ المشْرِكينَ فى الجَنَّةَ[١٢]» .

قال الله تعالى : « وإذا المؤودة سئلت بأى ذنب قُتلت[١٣]» .

---

(٩) نافع بن الأزرق بن قيس الحنفى البكرى الحرورى أبو راشد ، رأس الازارقة كان أمير قومه وفقيهم ، من أهل البصرة ، صحب فى أول أمره عبد الله بن عباس ، كان هو وأصحاب له من أنصار الثورة على عثمان ووالوا عليا إلى أن كانت قضية التحكيم فاجتمعوا فى حروراء ونادوا بالخروج على علىّ ، قاتله المهلب بن أبى صفرة ، وقتل يوم دولاب على مقربة من الأهواز عام ٦٥ هـ . (لسان الميزان الذهبى حـ ٦ ص ١٤٤ وابن الأثير حـ ٦ ص ٦٥ ، ٦٦) .

(١٠) الجزء الأول من الحديث رواه أبو داود فى السنة رقم ١٧ والجزء الثانى وهو : « إلا أن تدرك الوائدة الإسلام فيعفو الله عنها ، رواه أحمد بن حنبل فى مسنده حـ ٣ ، ص ٤٧٨

(١١) سقط من (أ) ربه .

(١٢) لم نعثر على تخريج هذا الخبر .

(١٣) سورة التكوير آية رقم ٨

فنص تعالى على أنه لا ذنب للمؤودة فكان هذا مبينًا لأن اخبار النبى ﷺ بأن تلك المؤودة فى النار إخبار عن أنها قد كانت بلغت الحنث بخلاف ظن أخويها .

وقد روى هذا الحديث عن داود بن أبى هند ، محمد بن أبى عدى ، وليس هو دون المعتمر ، ولم يذكر فيه لم تبلغ الحنث ورواه أيضًا عن داود بن أبى هند[١٤] « عبدة بن حميد فلم يذكر هذه اللفظة التى ذكرها المعتمر .

فأما حديث عبيدة فحدثناه أحمد بن محمد بن الجسور قال : أنا وهب بن ميسرة ، قال : حدثنا محمد بن وضاح ، حدثنا أبو بكر ابن أبى شيبة ، حدثنا عبيدة بن حميد ، عن داود بن أبى هند ، عن الشعبى ، عن علقمة بن قيس ، عن سلمة بن يزيد .

قال : أتيت النبى ﷺ أنا وأخى ، فقلت : يا رسول الله إن أمنا كانت تقرى الضيف ، وتصل الرحم . فى الجاهلية ، فهل ينفعها ذلك شيئا .. ؟ قال : لا . قال : فإنها وأدت أختا لنا فى الجاهلية ، فهل ينفع ذلك أختنا شيئا ؟ قال : لا .

« الْوَائِدةُ والْمؤُودةُ فى النَّارِ إلَّا أَنْ تُدْرِكَ الإِسْلَامَ فَيَعْفُو الله عَنْهَا »[١٥].

وأما حديث ابن أبى عدى ، فحدثناه أحمد بن عمر بن أنس العذرى ، حدثنا أبو بدر عبد ، ابن أحمد الهروى الأنصارى ، حدثنا أبو سعيد الخليل بن أحمد السجستانى ، حدثنا عبد الله ابن محمد بن عبد العزيز ، حدثنا أحمد بن محمد بن حنبل ، حدثنا محمد بن أبى عدى ، عن داود بن أبى هند ، عن الشعبى ، عن علقمة ، عن سلمة بن يزيد الجعفى ، قال : انطلقت أنا وأخى إلى النبى ﷺ فقلنا : يا رسول الله إن مليكة كانت تصل الرحم ، وتقرى الضيف ، وتفعل ، وتفعل ، هلكت فى الجاهلية ، فعل ذلك نافعها شيئًا ؟ قال : لا . « الوَائِدةُ والْمؤُوُ دةُ فى النَّارِ ، إلَّا أنْ تُدْرِكَ الإِسْلَامَ فَيَعْفُو الله عَنْهَا» .

قال أبو محمد : هكذا رويناه لها بالهاء على أنها أخت الوائدة .

قال أبو محمد : وهذا حديث قد رويناه مختصرًا ، كما حدثناه عبد الله بن ربيع التميمى ، حدثنا عمر بن عبد الملك الخولانى ، حدثنا محمد بن بكر الوراق البصرى ، حدثنا أبو داود السجستانى ، حدثنا إبراهيم بن موسى ، حدثنا يحيى بن زكريا بن أبى زائدة ، حدثنى أبى عن عامر الشعبى، قال قال رسول الله ﷺ « الوائدة والمؤودة فى النار » قال يحيى بن زكريا بن أبى زائدة ، قال أبى فحدثنى أبو اسحاق أن عامرًا حدثه بذلك عن علقمة ابن مسعود عن النبى ﷺ .

---

(١٤) ما بين القوسين سقط من (أ) .
(١٥) الحديث رواه أحمد بن حنبل فى مسنده حـ ١ ص ٢٩٨ ، حـ ٣ ، ٤٧٨ ورواه أبو داود فى السنة رقم ١٧

قال أبو محمد : وهذا مختصر وهو على ما ذكرنا من أنه عليه السلام إنما عنى بذلك التى بلغت لا يجوز غير هذا لما ذكرنا وبالله تعالى التوفيق .

وأما احتجاجهم بقول رسول الله ﷺ « هم من آبائهم » .

فإنما قاله عليه السلام فى الحكم فى الدين ، ولله تعالى أن يفرق بين أحكام عباده ويفعل ما يشاء لامعقب لحكمه ، وأيضا فلا متعلق لهم بهذا اللفظ أصلًا ، لأنه إنما فيه أنهم من آبائهم ، وهذا لا شك فيه أنهم توالدوا من آبائهم ، ولم يقل عليه السلام إنهم على دين آبائهم .

وأما قولهم : ينبغى أن تصلوا على أطفال المشركين ، وتورثوهم وترثوهم ، وأن لا تتركونهم يلتزموا دين آبائهم إذا بلغوا ، فإنها ردة فليس لهم أن يعترضوا على الله تعالى . فليس تركنا للصلاة عليهم يوجب أنهم ليسوا مؤمنين ، فهؤلاء الشهداء وهم أفاضل المؤمنين لا يصلى عليهم ، وأما انقطاع المواريث بيننا وبينهم فلا حجة فى ذلك على أنهم ليسوا مؤمنين ، فإن العبد مؤمن فاضل لا يرث ولا يورث ، وقد يأخذ المسلم مال عبده الكافر إذا مات ، وكثير من الفقهاء يورثون الكافر مال العبد من عبيده يسلم ثم يموت قبل أن يباع عليه ، وكثير من الفقهاء يورثون المسلمين مال المرتد إذا مات كافرًا مرتدًا أو قتل على الردة ، وهذا معاذ بن جبل(١٦) ومعاوية بن أبى سفيان(١٧) ومسروق بن الأجدع(١٨) وغيرهم من الأئمة رضى الله عنهم يورثون المسلمين من أقاربهم الكفار إذا ماتوا ، ولله تعالى أن يفرق بين أحكام من شاء من عباده ، وإنما نقف حيث أوقفنا النص ولا مزيد ، وكذلك دفنهم فى مقابر آبائهم أيضا ، وكذلك تركهم يخرجون إلى أديان آبائهم إذا بلغوا ، فإن الله تعالى أوجب علينا أن نتركهم وذلك ، ولا نعترض على أحكام الله عز وجل و « لا يسأل عما يفعل(١٩)» .

وقد قال رسول الله ﷺ : كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى المِلةِ حَتَى يَكُونَ أَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِه وَيُنَصِّرَانِه وَيُمَجسَّانِه وَيُشرِّكانِه(٢٠)» .

---

(١٦) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصارى الخزرجى ، صحابى جليل ، كان أعلم الأمة بالحلال والحرام ، وهو أحد الستة الذين جمعوا القرآن على عهد النبى - ﷺ ، شهد العقبة مع الأنصار وشهد بدرًا والخندق وغيرها وبعثه رسول الله قاضيًا ومرشدًا لأهل اليمن له ١٥٧ حديثًا توفى بناحية الأردن عام ١٨ هـ .

(١٧) معاوية بن أبى سفيان : صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف مؤسس الدولة الأموية ، وأحد دهاة العرب ، ولد بمكة وأسلم يوم فتحها سنة ٨ هـ وتعلم الكتابة والحساب فجعله رسول الله فى كتابه ولما ولى أبو بكر ولاه قيادة الجيش ، ولما ولى عمر جعله واليًا على الأردن ثم ولاه دمشق بعد موت أميرها يزيد أخيه وجاء عثمان فجمع له الديار الشامية توفى سنة ٦٠ هـ . (راجع تاريخ الرسل والملوك للطبر حـ ٦ ص ١٨٠) ..

(١٨) مسروق بن الأجدع : بن مالك الهمدانى الوادعى تابعى ثقة من أهل اليمن قدم المدينة فى أيام أبى بكر وسكن الكوفة ، وشهد حروب على وكان أعلم بالفتيا من شريح ، وشريح أبصر منه بالقضاء توفى عام ٦٣ هـ . (تهذيب التهذيب حـ ١٠ ص ١٠٩) .

(١٩) سورة الأنبياء آية رقم ٢٣

(٢٠) الحديث رواه الإمام مسلم فى القدر ٢٣ ، والترمذى فى القدر ٥ وأحمد بن حنبل جـ ٢ ص ٢٥٢ ، ٤٨١ .

قال أبو محمد : فبطل أن يكون لهم فى شىء مما ذكرنا متعلق ، وإنما هو تشغيب موهوا به ، لأن كل ما ذكرنا فإنما هى أحكام مجردة فقط ، وليس فى شىء من هذه الاستدلالات نص ، على أن أطفال المشركين كفار ولا على أنهم غير كفار ، وهذه النكتتان هما اللتان قصدنا بالكلام فقط . وبالله تعالى التوفيق وأما من قال فيهم بالوقف فإنهم احتجوا بقول رسول الله ﷺ إذ سئل عن الأطفال يموتون فقال عليه السلام : « الله أَعْلَمْ بِمَا كَانُوا عَامِلِين[٢١]» .

وبقوله ﷺ لعائشة أم المؤمنين رضى الله عنها إذا مات صبى من أبناء الأنصار فقالت .. عُصْفُورُ مِنْ عَصَافِيرِ الجَّنةِ .

فقال لها عليه السلام « وَمَا يُدْرِيك يَاعَائشةُ ..؟ إنَّ الله خَلَقَ خَلْقًا للنَّارِ وَهُمْ فى أَصْلَابِ آبَائِهِمْ[٢٢]» .

قال أبو محمد : وهذان الخبران لا حجة لهم فى شىء منهما إلا أنهما إنما قالهما رسول الله ﷺ قبل أن يوحى إليه أنهم فى الجنة ، وقد قال تعالى آمرا لرسوله ﷺ أن يقول : « وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم[٢٣]» .

قبل أن يخبره الله عز وجل بأنه قد غفر له الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وكما قال رسول الله ﷺ عن عثمان بن مظعون[٢٤] رضى الله عنه « والله ما أَدْرِى وأَنَا رَسُولُ الله مَا يُفْعَلُ بِىًّ[٢٥]» وكان هذا قبل أن يخبره الله عز وجل بأنه لا يدخل النار من شهد بدرًا أو هو عليه السلام لا يقول إلا ما جاء به الوحى ، كما أمر الله عز وجل أن يقول : « إن اتبع إلا ما يوحى إلى[٢٦]» .

فحكم كل شىء من الدين لم يأت به الوحى أن يتوقف فيه المرء ، فإذا جاء البيان فلا يحل التوقف عن القول بما جاء به النص ، وقد صح الاجماع على أن ما يعمله الأطفال قبل بلوغهم من قتل أو وطأ أجنبية أو شرب خمر ، أو قذف ، أو تعطيل صلاة ، أو صوم ، فإنهم غير مؤاخذين فى الآخرة بشىء من ذلك ما لم يبلغوا ، وكذلك لا خلاف فى أنه لا يؤاخذ الله عز وجل أحدًا بما

---

(٢١) الحديث رواه أبو داود فى السنة رقم ١٧ وأحمد بن حنبل فى المسند حـ ٦ ص ٨٤ ولفظة عند أبى داود قالوا يا رسول الله أفرأيت من يموت وهو صغير ..؟ قال : الله أعلم بما كانوا عاملين » ..

(٢٢) الحديث رواه مسلم فى القدر ٣١ وأبو داود فى السنة ١٧ والنسائى فى الجنائز ٥٨ وابن ماجه فى المقدمة ١٠ وأحمد بن حنبل فى مسنده حـ ٦ ص ٤١ ، ٢٠٨

(٢٣) سورة الأحقاف آية رقم ٩

(٢٤) عثمان بن مظعون : كان أحد الذين حرموا على أنفسهم الخمر فى الجاهلية ، وكان من حكماء العرب ، أسلم مع السابقين وهاجر إلى الحبشة مرتين ، وشهد مع رسول الله ﷺ غزوة بدر ، ومات فى السنة الثانية ، وحزن النبى لموته ، وكان يحبه فقبله ميتًا .

(٢٥) الحديث رواه البخارى فى الجنائز ٣ والتعبير ١٣ ولفظه عند البخارى : أما هو فقد جاءه اليقين ، والله إنى لأرجو له الخير ، والله ما أدرى وأنا رسول الله : ما يفعل بى » .

(٢٦) سورة الأنعام آية رقم ٥٠

لم يفعله ، بل قد صح عن رسول الله أن « من هم بسيئة فلم يعلمها لم تكتب عليه » فمن المحال المنفى أن يكون الله عز وجل يؤاخذ الأطفال بما لم يعملوا ، مما لو عاشوا بعده لعملوه ، وهو لايؤاخذهم بما عملوا ولا يختلف إثنان فى أن إنسانًا بالغًا مات ولو عاش لزنا أنه لا يؤاخذ بالزنا الذى لم يعمله ، وقد أكذب الله عز وجل من ظن هذا بقوله الصادق « اليوم تجزى كل نفس بما كسبت(٢٧) » .

وبقوله تعالى « هل تجزون إلا ما كنتم تعملون(٢٨) » .

فصح أنه لا يجزى أحد بما لم يعمل ولا مما لم يسن .

فصح أن قول رسول الله ﷺ الله أعلم بما كانوا عاملين ليس فيه أنهم كفار ، ولا أنهم فى النار ، ولا أنهم مؤاخذون بما لم لو عاشوا لكانوا عاملين به مما لم يعملوه بعد ، وفى هذا اختلفنا لا فيما عداه ، وإنما فيه أن الله تعالى يعلم ما لم يكن وما لا يكون لو كان كيف كان يكون فقط ، ونعم هذا حق لا يشك فيه مسلم فبطل أن يكون لاهل التوقف حجة فى شيء من هذين الخبرين إذ(٢٩) صح عن رسول الله ﷺ فى هذه المسألة بيان .

وأما من قال إنهم يعذبون بعذاب آبائهم فباطل ، لأن الله تعالى يقول : « ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تذر وازرة وزر أخرى(٣٠) » .

وأما من قال إنه توقد لهم نار فباطل ، لأن الأثر الذى فيه هذه القصة إنما جاء فى المجانين وفى من لم يبلغه ذكر الإسلام من البالغين على ما نذكر بعد هذا إن شاء الله تعالى .

قال أبو محمد : فلما بطلت هذه الأقاويل كلها وجب النظر فيما صح من النصوص من حكم هذه المسألة ، ففعلنا فوجدنا الله تعالى قد قال : « فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم(٣١) » .

وقال عز وجل : « قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم ، واسماعيل ، وإسحاق ، ويعقوب ، والأسباط – إلى قوله : لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » إلى قوله : صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون(٣٢) » .

---

(٢٧) سورة غافر آية رقم ١٧ وقد جاءت هذه الآية محرفة فى الأصل حيث جاءت ما عملت .
(٢٨) سورة النمل آية رقم ٩٠
(٢٩) فى (أ) : إذا لم يصح وهذا تحريف .
(٣٠) سورة الأنعام آية رقم ١٦٤
(٣١) سورة الروم آية رقم ٣٠
(٣٢) سورة البقرة آية رقم ١٣٦ – ١٣٨

فنص عز وجل على أنه فطر الناس على الإيمان وأن الإيمان هو صبغة الله تعالى ، وقال عز وجل : « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا : بلى[٣٣] » .

فصح يقينا أن كل نفس خلقها الله تعالى من بنى آدم ومن الجن والملائكة فمؤمنون كلهم عقلا مميزون ، فإذ ذلك كذلك فقد استحقوا كلهم الجنة بإيمانهم ، حاشا من بدل هذا العهد ، وهذه الفطرة ، وهذه الصبغة ، وخرج عنها إلى غيرها ومات على التبديل ، وبيقين ندرى أن الأطفال لم يغيروا شيئا من ذلك فهم من أهل الجنة ، وصح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ على الْفِطْرَةِ[٣٤] » .

وروى عنه عليه السلام أنه قال : « عَلَى الْمِلَّةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وِيُمَجسَّانِه وَيُشَرِّكَانِه كَما تُنْتَجِ الْبَهَيمةُ بَهيمة جَمْعَاءَ وهَلْ يَجِدوُنِ فيها من جَدْعَاءَ ؟ حَتَّى تكُونُوا أَنْتُم الَّذى تَجْدَعُونَها[٣٥] » .

وهذا تفسير الآيات المذكورات .

حدثنا عبد الله بن ربيع ، حدثنا محمد بن اسحاق السكن ، حدثنا أبو سعيد بن الأعرابى ، حدثنا أبو داود سليمان بن الأشعث ، حدثنا الحسن بن على ، حدثنا الحجاج بن المنهال ، قال : سمعت حماد بن سلمة يفسر حديث كل مولود يولد على الفطرة ، فقال : هذا عندنا حيث أخذ الله العهد عليهم فى أصلاب آبائهم ، حيث قال : ألست بربكم ؟ قالوا : بلى[٣٦].

وقد صح أيضا عن رسول الله ﷺ من طريق عياض بن حمار المجاشعى قال : عن الله تعالى أنه قال : خلقت عبادى حنفاء كلهم فاجتالتهم الشياطين عن دينهم[٣٧] » .

فصح يقينا أنه كل من مات قبل أن تجتاله الشياطين عن دينه فقد مات حنيفا ، وهذا حديث تدخل فيه الملائكة والجن والإنس [بقوله خلقت عبادى حنفاء كلهم لأن الملائكة والجن والإنس][٣٨] عباد له عز وجل مخلوقون .

---

(٣٣) سورة الأعراف آية رقم ١٧٢

(٣٤) سبق تخريج هذا الحديث ص ١٣١

(٣٥) الحديث رواه البخارى فى الجنائز ٧٩ ، ٩٢ وفى التفسير سورة ٣٠ ، والقدر ٣ ورواه مسلم فى القدر ٢٢ ، ٣٤ ، وأبو داود فى السنة ١٧ والموطأ فى الجنائز وأحمد بن حنبل فى المسند حـ ٢ ص ٢٢٢ ولفظه عند مسلم : ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول أبو هريرة اقرؤا إن شئتم :« فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله » .

(٣٦) سورة الأعراف آية رقم ١٧٢

(٣٧) الحديث رواه الإمام مسلم فى الجنة ٦٣ وأحمد بن حنبل حـ ٤ ص ١٦٣

(٣٨) ما بين القوسين سقط من (أ) .

وأيضا فإن الله عز وجل أخبر بقوله إبليس له تعالى أنه يغوى الناس فقال تعالى : « إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين[٣٩] » .

فصح يقينا أن الغواية داخلة على الإيمان ، وأن الأصل من كل واحد فهو الإيمان وكل مؤمن ففى الجنة ، وأيضا فإن الله تعالى قال : « فأنذرتكم نارا تلظى لا يصلاها إلا الأشقى الذى كذب وتولى[٤٠] » وليست هذه صفة الصبيان . فصح أنهم لا يدخلون النار ، ولا دار الا الجنة أو النار ، فإذا لم يدخلوا النار فهم بلا شك فى الجنة .

وقد صح عن رسول الله ﷺ فى الرؤيا الكبيرة التى رآها أنه رأى إبراهيم عليه السلام فى روضة خضراء مفتحة[٤١] فيها من كل نور نعيم ، وحواليه من أحسن صبيان وأكثرهم ، فسأل عليه السلام عنهم فأخبر أنهم من مات من أولاد الناس قبل أن يبلغوا ، فقيل له يا رسول الله وأولاد المشركين ..؟ قال : وأولاد المشركين » . فارتفع الإشكال وصح بالثابت من السنن وصحيحها أن جميع من لم يبلغ من أطفال المسلمين والمشركين ففى الجنة ، ولا يحل لأحد تعدى ما صح بالقرآن والسنة . وبالله تعالى التوفيق .

فإن قال قائل : إذا قلتم : إن النار دار جزاء فالجنة كذلك ، ولا جزاء للصبيان قلنا وبالله تعالى التوفيق : إنما نقف عند ما جاءت به النصوص فى الشريعة ، وقد جاء النص بأن النار دار جزاء فقط ، وأن الجنة دار جزاء وتفضل فهى لأصحاب الأعمال دار جزاء بقدر أعمالهم ، ولمن لا عمل له دار تفضل من الله تعالى مجرد ، وقد قال قوم : إن الصبيان هم خدم أهل الجنة ، وقد ذكر الله تعالى الولدان المخلدين فى غير موضع من كتابه ، وأنهم خدم أهل الجنة فلعلهم هؤلاء - والله أعلم -

قال أبو محمد : وأما المجانين الذين لا يعقلون حتى يموتوا فإنهم كما ذكرنا يولدون على الملة حنفاء ، مؤمنين ، ولم يغيروا ، ولا بدلوا ، فماتوا مؤمنين فهم فى الجنة .

حدثنا أحمد بن محمد الطلمنكى[٤٢] بالثغر قال حدثنا محمد بن أحمد بن يحيى بن المفرح

---

(٣٩) سورة الحجر آية رقم ٤٢

(٤٠) سورة الليل آية رقم ١٥

(٤١) فى (أ) : مفتحه .

(٤٢) الطلمنكى : أبو عمر الحافظ : ولد بقرطبة سنة ٣٤٠ هـ ، رحل إلى القيروان وإلى الحجاز وهو من شيوخ ابن حزم ، وعنه أخذ ابن عبد البر صاحب الاستيعاب ، وكان رأسًا فى علم القرآن ذا عناية بالحديث ، وقصد بلده طلمنكه فى آخر عمره وتوفى بها سنة ٤٢٩ هـ. (تذكرة الحفاظ حـ ٣ : ص ٢٨٠) .

القاضى ، حدثنا محمد بن أيوب السموط البرق ، أنبأنا محمد بن عمر بن عبد الخالق البزاز ، حدثنا محمد بن المثنى أبو موسى الزمن ، حدثنا معاذ بن هشام الدستواى ، حدثنا ابى عن قتادة عن الأسود ابن سريع التميمى ، عن النبى ﷺ قال : يعرض على الله تعالى الأصم الذى لا يسمع شيئا ، والأحمق ، والهرم ، ورجل مات فى الفترة ، فيقول الأصم : رب جاء الإسلام ، وما أسمع شيئا ، ويقول الأحمق : جاء الإسلام ، وما أعقل شيئا ، ويقول الذى مات فى الفترة : ما أتانا لك من رسول ، قال البزار : وذهب عنى ما قال الرابع قال فيأخذ مواثيقهم ليطيعوه فيرسل الله إليهم ادخلوا النار ، فوالذى نفسى بيده لو دخلوها لكانت عليهم بردًا وسلامًا[٤٣]» .

(٤٣) الحديث رواه الإمام أحمد فى مسنده حـ ٤ ص ٢٤ ، ٥٠ .

« الكلام فى القيامة وبعث[1] الأجساد »

قال أبو محمد : اتفق جميع أهل القبلة على تنابذ فرقهم على القول بالبعث فى القيادة وعلى تكفير من أنكر ذلك ، ومعنى هذا القول أن لمكث الناس وتناسلهم فى دار الابتلاء التى هى الدنيا أمدًا يعلمه الله تعالى ، فإذا انتهى ذلك الأمد مات كل من فى الأرض ثم يحيى الله عز وجل كل من مات مذ خلق الله عز وجل الحيوان إلى انقضاء الأمد المذكور ، ورد أرواحهم التى كانت بأعيانها إلى أجسادها[2] وجمعهم فى موقف واحد وحاسبهم عن جميع أعمالهم ووفاهم جزآوءهم ففريق من الجن والإنس فى الجنة ، وفريق فى السعير ، وبهذا جاء القرآن والسنن ، قال تعالى : « من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم[3] » .

وقال تعالى : « وأن الله يبعث من فى القبور[4] » .

وقال تعالى : « عن إبراهيم عليه السلام أنه قال « رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى[5] » إلى آخر الآية .

وقال تعالى : « ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم[6] » .

وقال تعالى : « فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام – إلى قوله : وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما .. الآية[7] » .

---

(١) فى (أ) : وتغيير وهو تحريف .
(٢) سقط من (أ) إلى أجسادها .
(٣) سورة يس آية رقم ٧٨
(٤) سورة الحج آية رقم ٧
(٥) سورة البقرة آية رقم ٢٦٠
(٦) سرة البقرة آية رقم ٢٤٣
(٧) سورة البقرة آية رقم ٢٥٩

وقال تعالى عن المسيح عليه السلام : « وأحيى الموتى بإذن الله[٨]» ولا يمكن ألبتة أن يكون الاحياء المذكور فى جميع هذه الآيات إلا رد الروح إلى الجسد ، ورجوع الحس والحركة الارادية التى بعد عدمها منه لم يكن غير هذا البتة ، إلا أن أبا العاص الحكم منذر بن سعيد القاضى[٩] أخبرنى عن إسماعيل بن عبد الله الرعينى ، أنه كان ينكر بعث الاجساد ويقول إن النفس حال فراقها الجسد تصير إلى معادها فى الجنة أو النار ، ووقفت على هذا القول بعض العارفين بإسماعيل فذكر لى ثقتان[١١] منهم أنهما سمعاه يقول إن الله تعالى يأخذ من الأجساد جزء الحياة منها .

قال أبو محمد : وهذا تلبيس من القول لم يخرج به عما حكى لى عنه حكم ابن المنذر لأنه ليس فى الأجساد جزء الحياة الا النفس وحدها .

قال أبو محمد : ولم ألق اسماعيل الرعينى قط على أنى قد أدركته وكان ساكنا معى فى مدينة من مدائن الأندلس تسمى بجاية[١٢] مدة ولكنه كان مختفيا وكان له اجتهاد عظيم ونسك وعباده وصلاة وصيام والله أعلم .

وحكم بن المنذر ثقة فى قوله بعيد نقله[١٣] عن الكذب وتبرأ منه حكم بن المنذر وكانا قبل ذلك يجمعهما مذهب بن مسرة[١٤] فى القدر وتبرأ منه أيضا إبراهيم بن سهل الأريوانى ، وكان من رؤوس المرية وتبرأ منه أيضا صهره أحمد الطبيب ، وجماعة من المرية وتولته جماعة منهم وبلغنى عنه أنه كان يحتج لقوله هذا بقول رسول الله ﷺ إذ وقف على ميت فقال : أما هذا فقد قامت قيامته[١٥]» .

وبأنه عليه السلام كانت الأعراب تسأله عن الساعة فينظر إلى أصغرهم فيخبرهم أنه إن استوفى عمره لم يمت حتى تقوم قيامتهم أو ساعتهم .

قال أبو محمد : وإنما عنى رسول الله ﷺ بهذا قيام الموت فقط بعد ذلك إلى يوم البعث كما قال عز وجل « ثم إنكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون[١٦]» .

---

(٨) سورة آل عمران آية رقم ٤٩

(٩) راجع ترجمته ص ١٤٢ .

(١٠) فى (خ) : (ساعة) .

(١١) فى (أ) : (ثقاة) .

(١٢) بجاية : بالكسر ، وتخفيف الميم ، وألف وياء وهاء مدينة على ساحل البحر بين افريقية والمغرب كان أول من اختطها الناصر بن عِلْناس ابن حماد سنة ٤٥٧ هـ كانت قديمًا ميناء فقط ثم بنيت مدينة . (معجم البلدان حـ ١ ص ٣٣٩) .

(١٣) فى (أ) : قوله .

(١٤) محمد بن عبد الله بن مسرة أبو عبد الله ، متصوف متفلسف أندلسى ، من دعاة الإسماعيلية ، من أهل قرطبة قال ابن الفرضى : اتهم بالزندقة ، وفى تاريخ قضاة الأندلس أن القاضى ابن زرب وضع كتابًا فى الرد على ابن مسرة توفى سنة ٣١٩ هـ . (جذوة المقتبس ص ٥٨) .

(١٥) لم نعثر على تخريج هذا الحديث .

(١٦) سورة المؤمنون آية رقم ١٦

فنص تعالى على أن البعث يوم القيامة بعد الموت بلفظة ثم التى هى للمهلة ، وهكذا أخبر عز وجل عن قولهم يوم القيامة .

« يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا[١٧] » .

وإنه يوم مقداره خمسون ألف سنة ، وأنه يحيى العظام ويبعث من فى القبور فى مواضع كثيرة من القرآن ، وبرهان ضرورى وهو أن الجنة والنار موضعان ومكانان وكل موضع ومكان فذو[١٨] مساحة متناهية محدودة بالبرهان الذى قدمنا على وجوب تناهى الأجسام ، وتناهى كل ما له عدد وبقول الله تعالى : « وجنة عرضها السموات والأرض[١٩] » .

فلو لم يكن لتولد الخلق نهاية لكانوا أبدًا يحدثون بلا اخر ، وقد علمنا أن مصيرهم إلى[٢٠] الجنة أو النار ، ومحال ممتنع غير ممكن أن يسع ما لا نهاية له فيما له نهاية من الأماكن فوجب ضرورة أن للخلق نهاية ، فإذ ذلك واجب فقد وجب تناهى عالم الذر والتناسل ضرورة ، وإنما كلامنا هذا مع من يؤمن[٢١] بالقرآن ، وبنبوة محمد ﷺ ، وادعى الإسلام ، وأما من أنكر الإسلام فكلامنا معه على ما رتباناه فى ديواننا هذا من النقض على أهل الالحاد حتى تثبت نبوة محمد ﷺ وصحة ما جاء به فنرجع إليه عند[٢٢] التنازع وبالله تعالى التوفيق .

وقد نص الله تعالى على أن العظام يعيدها ويحييها كما كانت أول مرة ، وأما اللحم فإنما هو كسوة كما قال :

« ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين » إلى قوله : « فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين[٢٣] » .

فأخبر عز وجل : « أن عنصر الإنسان إنما هو العظام الذى انتقلت عن سلالة الطين[٢٤] إلى النطفة إلى العلقة إلى المضغة إلى العظام وأن اللحم كسوة العظام ، وهذا أمر نشاهده لأن اللحم يذهب بالمرض حتى لا يبقى منه ما لا قدر له ، ثم يكثر عليه لحم آخر إذا خصب الجسم وكذلك

---

(١٧) سورة يس اية رقم ٥٢
(١٨) سقط من (أ) (فذو) .
(١٩) سورة آل عمران آية رقم ١٣٣ وقد جاءت هذه الآية محرفة حيث ذكرت بدون الواو .
(٢٠) سقط من (أ) (إلى) .
(٢١) فى (خ) : (يقر) .
(٢٢) فى (أ) : بعد .
(٢٣) سورة المؤمنون آية رقم ١٣ - ١٤
(٢٤) فى (أ) : السلالة التى من طين .

أخبرنا عز وجل أنه يبدل الجلود(٢٥) فى الآخرة فقال : « كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب(٢٦)» .

وفى الآثار الثابتة أَنَّ جِلْد(٢٧) الْكَفَّارِ يَغْلظ حَتَى تكونَ نَيْفًا وَسَبْعِين ذِرَاعًا وأَنَّ ضِرسْهَ فِى النَّارِ كَأُحُد(٢٨)» وكذلك نجد اللحم الذى فى جسد الإنسان يتغذى به حيوان آخر فيستحيل لحما لذلك الحيوان ، أو(٢٩) ينقلب دودًا فصح بنص القرآن أن العظام هى التى تحيى يوم القيامة ، ومن أنكر ما جاء به القرآن فلاحظ له فى الإسلام .

ونعوذ بالله من الخذلان .

---

(٢٥) فى (أ) : الخلق .
(٢٦) سورة النساء آية رقم ٥٦
(٢٧) فى (أ) : (جلود) .
(٢٨) الحديث رواه مسلم فى الجنة ٤٤ ورواه أحمد بن حنبل فى مسنده حـ ٢ ص ٢٢٨ ص ٥٢٧ ولفظه عند مسلم : ضرس الكافر ، أو ناب الكافر مثل أحد ، وغلظ جلده مسيرة ثلاث .
(٢٩) (إذ) .

« الكلامُ فى خلقِ الجنةِ والنارِ »

قال أبو محمد : ذهبت طائفة من المعتزلة والخوارج إلى أن الجنة والنار لم يخلقا بعد . وذهب جمهور المسلمين إلى أنهما قد خلقتا ، وما نعلم لمن قال إنهما لم يخلقا بعد حجة أصلًا أكثر من أن بعضهم قال : قد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : وذكر أشياء من أعمال البر من عملها غرست له فى الجنة كذا وكذا شجرة[1]» وبقول الله تعالى حاكيًا عن امرأة فرعون أنها قالت : « رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة[2]» .

قالوا : ولو كانت مخلوقة لم يكن فى الدعاء استئناف البناء والغرس معنى .

[قال أبو محمد : وإنما قلنا إنهما مخلوقتان على الجملة كما أن الأرض مخلوقة ثم يحدث الله تعالى فيها ما يشاء من نبات][3].

قال أبو محمد : والبرهان على أنهما مخلوقتان بعد إخبار النبى ﷺ أنه رأى الجنة ليلة الإسراء .

وأخبر عليه السلام أنه رأى سدرة المنتهى فى السماء السادسة ، وقال تعالى « عند سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى[4]» .

فصح أن جنة المأوى هى السماء السادسة ، وقد أخبر الله عز وجل أنها الجنة التى يدخلها المؤمنون يوم القيامة .

---

(١) الحديث لم يوجد بهذا المعنى ، وإن كان هناك حديث رواه الترمذى فى باب الدعاء بلفظ : من قال : سبحان الله العظيم ، وبحمده غرست له نخلة فى الجنة ، وقال : الترمذى : هذا حديث غريب صحيح لا نعرفه إلا من حديث أبى الزبير وهناك حديث آخر : من قال سبحان الله العظيم وبحمده ، غرست له نخلة فى الجنة « رواه الترمذى أيضاً وقال : هذا حديث حسن غريب » .

(٢) سورة التحريم آية رقم ١١

(٣) ما بين القوسين سقط من (أ) .

(٤) سورة النجم آية رقم ١٤

فقال تعالى : « فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون[٥]» فليس لأحد بعد هذا أن يقول إنها جنة غير جنة الخلد .

وأخبر عليه السلام أنه رأى الأنبياء عليهم السلام فى السموات سماء سماء ولا شك فى أن أرواح الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فى الجنة .

فصح أن الجنات هى السموات .

وكذلك أخبر عليه السلام أن الفردوس الأعلى[٦] من الجنة التى أمرنا الله تعالى أن نسأله إياها فوقها عرش الرحمن ، والعرش مخلوق بعد الجنة فالجنة مخلوقة ، وكذلك أخبر عليه السلام أن النار اشْتَكَتْ إلى رَبِهَا فأَذِنَ لَها بِنَفَسْين وَأَنَّ ذَلكِ أَشُدُ مَا نجَده مِنْ الْحَرِ وَالْبَرْدِ[٧]» .

وكان القاضى منذر بن سعيد[٨] يذهب إلى أن الجنة والنار مخلوقتان إلا أنه كان يقول : إنها ليست التى كان فيها آدم عليه السلام وامرأته واحتج فى ذلك بأشياء منها أنها لو كانت جنة الخلد لما أكل من الشجرة ، رجاء أن يكون من الخالدين ، واحتج أيضا بأن جنة الخلد لا كذب فيها ، وقد كذب فيها إبليس ، وقال من دخل الجنة لم يخرج منها . وآدم وامرأته عليهما السلام قد خرجا منها .

قال أبو محمد : كل هذا لا دليل له[٩] فيه . أما قوله : إن آدم عليه السلام أكل من الشجرة رجاء أن يكون من الخالدين فقد علمنا أن أكله من الشجرة لم يكن ظنه فيه صوابًا ، ولا أكله لها صوابا ، وإنما كان ظنا ولا حجة فيما كان هذه صفته ، والله عز وجل لم يخبره بأنه مخلد فى الجنة ، بل قد كان فى علم الله تعالى أنه سيخرجه منها ، فأكل عليه السلام من الشجرة رجاء الخلد الذى لم يضمن له ، ولا تيقن به لنفسه .

وأما قوله : إن الجنة لا كذب فيها وأن من دخلها لم يخرج منها وقد كذب فيها إبليس ، وقد

---

(٥) سورة السجدة آية رقم ١٩ وقد جاءت الآية محرفة حيث ذكرت بدون (الفاء) .

(٦) الحديث رواه البخارى فى الرقاق ٥١ ، والجهاد ١٤ ، والمغازى ٩ وأحمد بن حنبل حـ ٣ ، ١٢٤ ، ٢١٠

(٧) الحديث رواه البخارى فى المواقيت ٩ ، وبدء الخلق ١٠ ورواه الإمام مسلم فى المساجد ١٨٥ – ١٨٧ والترمذى جهنم ٩ ، وابن ماجه فى الزهد ٣٨ والدارمى فى الرقاق ١١٩ ولفظه عند الترمذى : اشتكت النار إلى ربها وقالت أكل بعض بعضًا فجعل لها نفسين ، نفسًا فى الشتاء ونفسًا فى الصيف فأما نفسها فى الشتاء فزمهرير ، وأما نفسها فى الصيف فسموم .

(٨) منذر بن سعيد بن عبد الله بن عبد الرحمن النَّفْرى القرطبى أبو الحكم البلوطى ، قاضى قضاة الأندلس فى عصره كان فقيها خطيبا شاعرًا فصيحًا ، رحل حاجًا بسنة ٣٠٨ هـ فاقام فى رحلته أربعين شهرًا ، قال ابن الفرضى كان بصيرًا بالجدل ، منحرفًا إلى مذاهب أصحاب الكلام له كتب فى القرآن والسنة على أهل الأهواء منها أحكام القرآن والابانة عن حقائق أصول الديانة توفى سنة ٣٥٥ هـ . (نفح الطيب حـ ١ ص ٣٣٥) .

(٩) فى (أ) : لا دلالة .

خرج منها آدم ، وامرأته ، فهذا لا حجة له فيه وإنما تكون كذلك إذا كانت جزاء لأهلها كما أخبر عز وجل عنها حيث يقول : « لا تسمع فيها لاغية(١٠) » .

فإنما هذا على المستأنف لا على ما سلف ، ولا نص معه على ما ادعى ولا اجماع واحتج ايضا بقول الله عز وجل لآدم عليه السلام « ألا تجوع فيها ولا تعرى(١١) » .

قال : وقد عرى فيها آدم عليه السلام .

قال أبو محمد : وهذا لا حجة فيه ، بل هو حجة عليه لأن الله عز وجل وصف الجنة التى أسكن فيها آدم عليه السلام بأنها لا يجاع فيها ولا يعرى ، ولا يظمأ فيها ولا يضحى ، وهذه صفة الجنة بلا شك ، وليس فى شىء مما دون السماء مكان هذه صفته بلا شك ، بل كل موضع دون السماء فإنه لابد وأن يجاع فيه ويعرى ، ويظمأ ويضحى ، ولابد من ذلك ضرورة ، فصح أنه إنما سكن المكان الذى هذه صفته ، وليس هو غير الجنة البتة ، وإنما عرى آدم حين أكل من الشجرة ، فأهبط عقوبة له .

وقال أيضا : قال الله عز وجل : « لا يرون فيها شمسًا ولا زمهريراً(١٢) » وأخبر آدم أنه لا يضحى .

قال أبو محمد : وهذا أعظم حجة عليه لأنه لو كان فى المكان الذى هو فيه شمس لأضحى فيه ولابد ، فصح أن الجنة التى أسكن فيها آدم كانت لا شمس فيها ، فهى جنة الخلد بلا شك ، وأيضا فإن قوله عز وجل : « اسكن أنت وزوجك الجنة(١٣) » إشارة بالألف واللام ، ولا يكون ذلك إلا على معهود ولا تطلق الجنة هكذا إلا على جنة الخلد ، ولا يطلق هذا الاسم على غيرها إلا بالأضافة . وأيضا فلو اسكن آدم عليه السلام جنة فى الأرض لما كان فى اخراجه منها إلى غيرها من الأرض عقوبة ، بل قد بين تعالى أنها ليست فى الأرض بقوله تعالى : « اهبطوا منها جميعا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين(١٤) » فصح يقينا بالنص أنه قد اهبط من الجنة إلى الأرض ، فصح أنها لم تكن فى الأرض البتة ، وبالله تعالى التوفيق .

---

(١٠) سورة الغاشية آية رقم ٢١
(١١) سورة طه آية رقم ١١٨
(١٢) سورة الإنسان آية رقم ١٣
(١٣) سورة الأعراف آية رقم ١٩ – ٣٥ البقرة
(١٤) سورة البقرة آية رقم ٣٨

الكلام فى بقاء الجنة(١) والنار أبدًا ..

قال أبو محمد : اتفقت فرق الأمة كلها على أنه لا فناء للجنة ، ولا لنعيمها ، ولا للنار ، ولا لعذابها ، إلا جهم بن صفوان وأبا الهذيل العلاف وقوما من الروافض ، فأما جهم فقال : إن الجنة والنار يفنيان ويفُنى أهلهما ، وقال أبو الهذيل : إن الجنة والنار لا يفنيان ولا يفنى أهلهما ، إلا أن حركاتهم تفنى ، ويبقون بمنزلة الجماد لا يتحركون وهم فى ذلك أحياء متلذذون أو معذبون .

وقالت تلك الطائفة من الروافض : إن أهل الجنة يخرجون من الجنة ، وكذلك أهل النار من النار إلى حيث شاء الله .

قال أبو محمد : أما هذه المقالة ففى غاية الغثاثة ، والتعرى من شيء يشغب به ، فكيف من اقناع أو برهان ، وما كان هكذا فهو ساقط .

وأما قول أبى الهذيل فإنه لا حجة له إلا أنه قال : كلما أحصاه العدد فهو ذو نهاية ولابد ، فالحركات ذات عدد فهى متناهية .

قال أبو محمد : فظن أبو الهذيل لجهله بحدود الكلام وطبائع الموجودات أن ما لم يخرج إلى الفعل فإنه يقع عليه العدد ، وهذا خطأ فاحش لأن ما لم يخرج إلى الفعل فليس شيئا ، ولا يجوز أن يقع العدد إلا على شيء ، وإنما يقع العدد على ما خرج إلى الفعل من حركات أهل النار والجنة متى ما خرج فهو محدود متناه وهكذا أبدا .

وقد أحكمنا هذا المعنى فى أول هذا الكتاب فى باب إيجاب حدوث العالم ، وتناهى الموجودات ، فأغنى عن اعادته وبالله تعالى التوفيق .

---

(١) فى (أ) : بزيادة أهل .

فبطل ما موه به أبو الهذيل ولله الحمد .

ثم نقول إن قوله هذا خلاف للاجماع المتيقن .

وأيضا فإن الذى فر منه فى الحركات فإنه لازم له فى مدد سكونهم وتنعمهم وتألمهم ، لأنه مقر بأنهم يبقون ساكنين متنعمين متألمين بالعذاب ، وبالضرورة ندرى أن للسكون والنعيم والعذاب مُددا يعد كل ذلك كما تعد الحركة ومددها ولا فرق .

وأيضا فلو كان ما قاله أبو الهذيل صحيحا لصار أهل[٢] الجنة فى عذاب واصب وفى صفة المخدور والمفلوج ومن أخذه الكابوس ومن سقى البنج وهذا غاية النكد ، والشقاء ، ونعوذ بالله من هذه الحال .

وأما جهم بن صفوان فإنه احتج بقول الله تعالى : « وأحصى كل شىء عددا[٣] » وبقوله تعالى « كل شىء هالك إلا وجهه[٤] » .

وقال : كما لا يجوز أن يوجد شىء لم يزل غير الله تعالى [فكذلك لا يجوز أن يوجد شىء لا يزال غير الله تعالى][٥].

قال أبو محمد : ما نعلم له حجة غير هذا أصلا ، وكل هذا لا حجة له فيه .

أما قوله تعالى « كل شىء هالك إلا وجهه » فإنما عنى تعالى الاستحالة من شىء إلى شىء ومن حال إلى حال وهذا عام لجميع المخلوقات دون الله تعالى ، وكذلك مدد النعيم فى الجنة ، والعذاب فى النار ، كلما فنيت مدة أحدث الله عز وجل أخرى ، وهكذا أبدًا بلا نهاية ولا آخر ، يدل على هذا ما نذكره بعد إن شاء الله تعالى من الدلائل على خلود الجنة والنار وأهلهما .

وأما قوله تعالى « وأحصى كل شىء عددا[٦] » فإن اسم الشىء لا يقع إلا على موجود ، والاحصاء لا يقع على ما ذكرنا ، إلا على ما خرج إلى الفعل ، ووجد بعد ، وإذا لم يخرج من الفعل فهو لا شىء بعد ، ولا يجوز أن يعد لا شىء .

وكل ما خرج إلى الفعل من مدة بقاء الجنة والنار وأهلهما فمحصى بلا شك ، ثم يحدث الله تعالى لهم مددا أخر وهكذا أبدًا بلا نهاية ولا آخر ، وقالوا : هل أحاط الله تعالى علما بجميع مدة الجنة والنار أم لا ؟

---

(٢) فى (أ) : لكان .
(٣) سورة الجن آية رقم ٢٨
(٤) سورة القصص آية رقم ٨٨
(٥) ما بين القوسين سقط من (أ) .
(٦) سورة الجن آية رقم ٢٨

فإن قلتم : لا . جهلتم الله ، وإن قلتم : نعم . جعلتم مدتها محاطًا بها وهذا هو التناهى نفسه .

قال أبو محمد : إن الله تعالى إنما يعلم بالأشياء على ما هى عليه [لا على خلاف ما هى عليه](٧) لأن من علم الشيء على خلاف ما هو عليه فهو جاهل به مخطىء فى اعتقاده ظان للباطل ، وليس علما ولا حقًا ولا هو عالم به ، وهذا ما لا شك فيه وعلم الله عز وجل هو الحق اليقين على ما هى معلوماته عليه فكل ما كان ذا نهاية فهو فى علم الله تعالى ذو نهاية [وما كان غير ذى نهاية فهو فى علم الله تعالى غير ذى نهاية](٨) ولا سبيل إلى غير هذا ألبتة ، وليس للجنة والنار مدد غير متناهية(٩) محاط بها وإنما لهما مدد كل ما خرج منها إلى الفعل فهو محصى محاط بعدده ، وما لم يخرج إلى الفعل فليس بمحصى لكن علم الله تعالى أحاط بأنه لا نهاية لهما ، وأما قوله كما لا يجوز أن يوجد شيء غير الله تعالى لا نهاية له ولم يزل [فلذلك لا يجوز أن يوجد شيء غير الله تعالى لا نهاية له ولا يزال](١٠) فإن هذه قضية فاسدة وقياس فاسد لا يصح والفرق بينهما أن أشياء ذوات عدد لا أول لها ، ولم تزل لا يمكن أن نتوهم البتة ولا يشكك بل هى محال فى الوجود كما ذكرنا فى الرد على من قال بأن العالم لم يزل ، فأغنى عن اعادته وليس كذلك قولنا لا يزال لأن أحداث الله تعالى شيئا بعد شيء أبدًا بلا غاية متوهم ممكن لا حوالة فيه ، فقياس الممكن المتوهم على الممتنع المستحيل الذى لا يتوهم باطل عند القائلين بالقياس ، فكيف عند من لا يقول به ..؟ فإن قال قائل : إن كل ما له أول فله آخر .

قلنا له : هذه قضية فاسدة ودعوى مجردة وما وجب هذا قط ، لا بقضية عقل ولا بخبر لأن كون أوائل(١١) الموجودات معلوم بالضرورة لأن ما وجد بعد فقد حصره عدد زمان وجوده ، وكل ما حصره عدد فلذلك العدد أول ضرورة ، وهو قولنا واحد ثم يتمادى العدد أبدا فيمكن الزيادة بلا نهاية وتمادى الموجود بخلاف المبدأ لأنه إذا بقى وقتا جاز أن يبقى وقتين ، وهكذا ابدًا بلا نهاية وكل ما خرج من مدد البقاء إلى حد الفعل فذو نهاية بلا شك ، وكذلك من العدد أيضا .

ولم نقل إن بقاء الناس فى هذه الدنيا له نهاية إلا من طريق النص ، ولو أخبر الله تعالى بذلك لأمكن وجاز أن تبقى الدنيا أبدًا بلا نهاية ولكان الله تعالى قادرًا على ذلك ولكن النص لا يحل

---

(٧) ما بين القوسين سقط من (أ) .
(٨) ما بين القوسين سقط من (أ) .
(٩) سقط من (خ) « غير متناهية » .
(١٠) ما بين القوسين سقط من (أ) .
(١١) سقط من (أ) كلمة (الأوائل) .

خلافه . وكذلك لولا اخبار الله تعالى بأن الآخرة لا فناء لها لأمكن فناؤها ولكن اخبار الله تعالى لا يحل اعتراضها[١٢].

وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : والبرهان على بقاء الجنة والنار بلا نهاية قول الله تعالى : « خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ماشاء ربك عطاء غير مجذوذ[١٣]» .

وقوله تعالى فى غير موضع من القرآن « خالدين فيها أبدا[١٤]» .

وقوله تعالى : « لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى[١٥]» مع صحة الإجماع بذلك ، وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : وروينا عن عبد الله بن عمرو بن العاص[١٦] لو أقام أهل النار فى النار ما شاء الله أن يبقوا لكان لهم على ذلك يوم يخرجون فيها منها .

قال أبو محمد : وهذا إنما هو فى أهل الإسلام الداخلين فى النار بكبائرهم ثم يخرجون منها بالشفاعة ويبقى ذلك المكان خاليا ولا يحل لأحد أن يظن بالصالحين الفاضلين خلاف القرآن وحاشا لهم من ذلك وبالله تعالى التوفيق .

[تم كتاب الإيمان والوعيد وتوابعه بحمد الله وشكره على حسن تأييده وعونه ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم][١٧].

---

(١٢) سقط من ألف ما بين القوسين .
(١٣) سورة هود آية رقم ١٠٨
(١٤) سورة المائدة آية رقم ١١٩
(١٥) سورة الدخان آية رقم ٥٦
(١٦) عبد الله بن عمرو بن العاص ، من قريش ، صحابى من النساك من أهل مكة ، كان يكتب فى الجاهلية ، ويحسن السريانية ، وأسلم قبل أبيه شهد الغزوات والحروب كان يضرب بسيفين ، وشهد صفين مع معاوية وولاه معاوية الكوفة مدة قصيرة ، عمر فى آخر حياته له ٧٠٠ حديث توفى سنة ٦٥ هـ . (الاصابة فى تمييز الصحابة ت ٤٨٣٨) .
(١٧) ما بين القوسين زيادة من (أ) .

لا إله الا الله عدة للقائه

« الكلام فى الإمامة والمفاضلة »

قال الفقيه الامام الأوحد أبو محمد على بن أحمد بن حزم رضى الله عنه : اتفق جميع أهل السنة وجميع المرجئة وجميع المعتزلة[1] وجميع الشيعة وجميع الخوارج على وجوب الإمامة ، وأن الأمة فرض[2] واجب عليها الانقياد لإمام عادل يقيم فيهم أحكام الله ، ويسوسهم بأحكام الشريعة التى أتى بها رسول الله ﷺ حاشا النجدات[3] من الخوارج فإنهم قالوا : لا يلزم الناس فرض الإمامة وإنما عليهم أن يتعاطوا الحق بينهم ، وهذه فرقة ما نرى بقى منها أحد ، وهم المنسوبون إلى نجدة ابن الحنفى[4] القائم باليمامة .

قال أبو محمد : وقول هذه الفرقة ساقط يكفى من الرد عليه وإبطاله اجماع كل من ذكرنا على بطلانه والقرآن والسنة قد وردا بإيجاب الإمام . من ذلك قول الله تعالى : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم[5]» مع أحاديث كثيرة صحاح فى طاعة الأمة ، وإيجاب الإمامة وأيضا فإن الله عز وجل يقول : « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها[6]» فوجب اليقين بأن الله تعالى لا يكلف الناس ما ليس فى بنيتهم ، واحتمالهم ، وقد علمنا بضرورة العقل وبديهته أن قيام الناس بما أوجبه الله تعالى من الأحكام عليهم فى الأموال ، والجنايات ، والدماء ، والنكاح ، والطلاق ،

---

(١) سقط من (أ) وجميع المعتزلة .

(٢) سقط من (أ) كلمة : فرض .

(٣) النجدات : أتباع نجدة بن عامر الحنفى ، وكان السبب فى رياسته وزعامته أن نافع بن الأزرق لما أظهر البراءة من القعدة عنه بعد أن كانوا على رأيه وسماهم مشركين واستحل قتل أطفال مخالفيه ، ذهبوا إلى اليمامة فاستقبلهم نجدة بن عامر فبايعوه ، واكفروا من قال باكفار القعدة منهم عن الهجرة .. الخ . (راجع الفرق بين الفرق ص ٨٧) .

(٤) نجدة بن عامر الحرورى الحنفى من بنى حنفية ، من بكر بن وائل : رأس الفرقة النجدية نسبة إليه من الحرورية ويعرف أصحابها بالنجدات من كبار أصحاب الثورات فى صدر الإسلام ، انفرد عن سائر الخوارج باراء ، قدم مكه وله مقالات معروفة استقل باليمامة سنة ٦٦ هـ أيام عبد الله بن الزبير واستقر بها وتسمى بأمير المؤمنين قتله أصحاب بن الزبير عام ٦٩ هـ . (لسان الميزان حـ ٦ ص ١٤٨) .

(٥) سورة النساء آية رقم ٥٩

(٦) سورة البقرة آية رقم ٢٨٦

وسائر الأحكام كلها ومنع الظالم ، وانصاف المظلوم ، وأخذ القصاص على تباعد أقطارهم ، وشواغلهم ، واختلاف آرائهم ، وامتناع من تحرى فى كل ذلك ممتنع غير ممكن ، إذ قد يريد واحد أو جماعة أن يحكم عليهم إنسان ، ويريد آخر أو جماعة أخرى أن لا يحكم عليهم ، إما لأنها ترى فى اجتهادها خلاف ما رأى هؤلاء ، وإما خلافًا مجردًا عليهم وهذا الذى لابد منه ضرورة وهذا مشاهد فى البلاد التى لا رئيس لها فإنه لا يقام هناك حكم حق ولا حد حتى قد ذهب الدين فى أكثرها فلا تصح اقامة الدين الا بالاسناد إلى واحد ، أو إلى أكثر من واحد ، فإذ لابد من أحد هذين الوجهين فإن الاثنين فصاعدا بينهما أو بينهم ما ذكرنا فلا يتم أمر البتة .

فلم يبق وجه تتم به الأمور إلا الإسناد إلى واحد ، فاضل ، عالم ، حسن السياسة ، قوى على الإنفاذ ، إلا أنه وإن كان بخلاف ما ذكرنا فالظلم ، والاهمال معه أقل منه مع الاثنين فصاعدا ، وإذ ذلك كذلك ففرض لازم لكل الناس أن يكفوا من الظلم ما أمكنهم ، إن قدروا على كف كله لزمهم ذلك ، وإلا فكف ما قدروا على كفه منه ولو قضية واحدة لا يجوز غير ذلك .

ثم اتفق من ذكرنا ممن يرى فرض الإمامة على أنه لا يجوز كون إمامين فى وقت واحد فى العالم ، ولا يجوز إلا إمامة واحدة[٧] إلا محمد بن كرام السجستانى[٨] وأبا الصباح السمرقندى ، وأصحابهما ، فإنهم أجازوا[٩] كون إمامين فى وقت ، وأكثر فى وقت واحد .

واحتج هؤلاء بقول الأنصار ، أو من قال منهم يوم السقيفة للمهاجرين : منا أمير ، ومنكم أمير .

واحتجوا أيضا بأمر على ، والحسن ، مع معاوية رضى الله عنهم .

قال أبو محمد : وكل هذا لا حجة لهم فيه لأن قول الأنصار رضى الله عنهم ما ذكرنا لم يكن صوابًا بل كان خطأ إذ أداهم إليه الاجتهاد ، وخالفهم فيه المهاجرون ، ولابد إذا اختلف القائلان على قولين متنافيين من أن يكون أحدهما حقا ، والآخر خطأ ، وإذ ذلك كذلك فواجب رد ما تنازعوا فيه إلى ما افترض الله عز وجل الرد إليه عند التنازع ، إذ يقول تعالى : « فإن تنازعتم فى شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر[١٠]» .

فنظرنا فى ذلك فوجدنا رسول الله ﷺ قال : « إِذَا بُويِعَ لإِمَامَيْن فاقْتُلوا الآخَرَ مِنْهُما[١١]» .

(٧) فى (أ) : إمام واحد .
(٨) راجع ترجمته فى الجزء الثالث ص ٢٧٤ .
(٩) فى (خ) : (يرون) .
(١٠) سورة النساء آية رقم ٥٩
(١١) الحديث رواه الإمام مسلم فى الامارة رقم ٦١ ولفظه عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله – ﷺ : إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منها .

وقال تعالى : « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا[١٢] » .

وقال تعالى : « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم[١٣] » .

فحرم الله عز وجل التفرق ، والتنازع ، وإذا كان إمامان فقد حصل التفرق المحرم ، فوجد التنازع ، ووقعت المعصية ، لله تعالى وقلنا ما لا يحل لنا .

وأما من طريق النظر والمصلحة ، فلو جاز أن يكون فى العالم إمامان لجاز أن يكون فيه ثلاثة ، وأربعة ، وأكثر ، فإن منع من ذلك مانع كان متحكما بلا برهان ، ومدعيا بلا دليل ، وهذا الباطل الذى لا يعجز عنه أحد .

وإن جاز ذلك زاد الأمر حتى يكون فى كل عمل[١٤] إمام أو فى كل مدينة إمام ، أو فى كل قرية إمام ، ويكون كل أحد إماما وخليفة فى منزله ، وهذا هو الفساد المحض وهلاك الدين والدنيا ، فصح أن قول الأنصار رضى الله عنهم وهلة وخطأ قد رجعوا عنه إلى الحق ، وعصمهم الله تعالى من التمادى عليه وأما أمر علىّ والحسن ومعاوية فقد صح عن النبى ﷺ أنه أنذر بخارجة تخرج من طائفتين من أمته يَقْتُلُها أُولَى الطَّائِفَتَيْن بالْحقِّ[١٥] » فكان قاتل تلك الطائفة على رضى الله عنه فهو صاحب الحق بلا شك وكذلك أنذر عليه السلام بأن عَمَّارًا تَقْتُلُه الْفِئَةُ الْبَاغِيةُ[١٦] » فصح أن عليًا هو صاحب الحق ، وكان على السابق إلى الإمامة ، فصح بعد أنه صاحبها وأن من نازعه فيها فمخطىء ، فمعاوية رحمه الله مخطىء مأجور ، مرة لأنه مجتهد ، ولا حجة فى خطأ المخطىء فبطل قول هذه الطائفة .

وأيضا فإن قول الأنصار رضى الله عنهم منا أمير ومنكم أمير ، يخرج على أنهم إنما أرادوا أن يلى وال منهم فإذا مات ولى من المهاجرين آخر وهكذا أبدًا لا على أن يكون إمامان فى وقت ، وهذا هو الأظهر من كلامهم .

وأما على ومعاوية رضى الله عنهما فما سلَّم قط أحدهما للآخر ، بل كل واحد منهما يزعم أنه المحق ، وكذلك كان الحسن رضى الله عنه إلى أن أسلم الأمر إلى معاوية ، فإذ هذا كذلك فقد صح الإجماع على بطلان قول ابن كرام وأبى الصباح ، وبطل أن يكون لهم تعلق فى شىء أصلا وبالله تعالى التوفيق .

---

(١٢) سورة ال عمران اية رقم ١٠٥

(١٣) سورة الأنفال آية رقم ٤٦

(١٤) فى (أ) : فى (عالم) .

(١٥) الحديث رواه الإمام مسلم فى الزكاة ١٤٩ ، ١٥٢ ، ١٥٣ وأبو داود فى السنة ١٢ ، وأحمد بن حنبل فى المسند حـ ٥ ، ص ٢٥ ، ٤٢٥ ولفظه عند مسلم « قرق مارقة عند فرقة من المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق .

(١٦) الحديث رواه البخارى فى الصلاة ٦٣ ومسلم فى الفتن ٧٠ والترمذى فى المناقب ٣٤ وأحمد بن حنبل حـ ٣ ص ٦١ ولفظه عند مسلم : تقتل عمار الفئة الباغية .

ثم اختلف القائلون بوجوب الإمامة على فرقتين[١٧] فذهب أهل السنة ، وجميع الشيعة ، وبعض المعتزلة ، وجمهور المرجئة إلى أن الإمامة لا تجوز إلا فى قريش خاصة من كان من ولد فِهْر ابن مالك[١٨]، وأنها لا تجوز فيمن كان أبوه من غير بنى فهر بن مالك ، وإن كانت أمه من قريش ، ولا فى حليف ولا فى مولى .

وذهبت الخوارج كلها ، وجمهور المعتزلة ، وبعض المرجئة ، إلى أنها جائزة فى كل من قام بالكتاب ، والسنة ، قرشيًا كان أو عربيًا ، أو ابن عبد ، وقال ضرار بن عمر الغطفانى : إذا اجتمع حبشى وقرشى كلاهما قائم بالكتاب والسنة ، فالواجب أن يقدم الحبشى لأنه أسهل لخلعه ، إذا حاد عن الطريقة .

قال أبو محمد : وبوجوب الإمامة فى ولد فهر بن مالك خاصة نقول بنص رسول الله ﷺ على أن « الْأَئِمَةُ مِنْ قُرَيْش[١٩]» . وعلى أن الإمامة فى قريش .

وهذه رواية جاءت مجىء التواتر ، ورواها أنس بن مالك[٢٠]، وعبد الله بن عمر ابن الخطاب ، ومعاوية ، وروى جابر بن عبد الله[٢١]، وجابر[٢٢] بن سمرة ، وعبادة ابن الصامت[٢٣]، معناها .

ومما يدل على صحة ذلك إذعان الأنصار رضى الله عنهم يوم السقيفة ، وهم أهل الدار والمنعة ، والعدة والعدد ، والسابقة فى الإسلام رضى الله عنهم . ومن المحال أن يتركوا اجتهادهم لاجتهاد غيرهم لولا قيام الحجة عليهم بنص رسول الله ﷺ على أن الحق لغيرهم فى ذلك .

---

(١٧) فى (أ) : قريش وهو تحريف .

(١٨) فهر بن مالك بن النضر من كنانة من عدنان ، جد جاهلى ممن يتصل بهم النسب النبوى كنيته أبو غالب ، كان رئيس الناس بمكة ، وكان قائد كنانة ومن انضم إليه من مضر فى قتالهم لحسان بن عبد كلال الحميرى حين أغار على الحجاز بجيش من اليمن يريد نقل حجر الكعبة إلى اليمن لتحويل الحج إلى بلاده فظهر فهر وهزمت حمير . (راجع تاريخ الطبرى حـ ٢ ص ١٨٦) .

(١٩) الحديث رواه أحمد بن حنبل فى مسنده حـ ٣ ص ١٢٩ ، ص ١٨٣ حـ ٤ ص ٤٢١ وذكر الإمام مسلم هذا الحديث بلفظ آخر فى كتاب الامارة : الناس تبع لقريش ، وفى رواية : لا يزال هذا الأمر فى قريش من الناس إثنان .

(٢٠) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم البخارى الأنصارى أبو ثمامة صاحب رسول الله – ﷺ – وخادمه ، روى عنه رجال الحديث ٢٢٨٦ حديثا ولد فى المدينة سنة ١٠ ق . هـ ومات بالبصرة سنة ٩٣ هـ وهو آخر من مات من الصحابة . (طبقات ابن سعد حـ ٧ ص ١٠) .

(٢١) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجى الأنصارى السلمى صحابى من المكثرين فى الرواية عن النبى – ﷺ ، غزا تسع عشرة غزوة ، وكانت له فى آخر أيامه حلقة فى المسجد النبوى يؤخذ عنه العلم روى له البخارى ومسلم وغيرهما ١٥٤٠ حديثًا . (الاصابة حـ ١ ص ٢١٣) .

(٢٢) جابر بن سمرة بن جنادة السوائى صحابى ، كان حليف بنى زهرة له ولأبيه صحبة ، نزل الكوفة وابتنى بها دارًا وتوفى فى ولاية بشر على العراق روى له البخارى ومسلم وغيرهما ١٤٦ حديثًا . (تهذيب التهذيب حـ ٢ ص ٣٩) .

(٢٣) عبادة بن الصامت بن قيس الأنصارى الخزرجى ، أبو الوليد ، صحابى من الموصوفين بالورع ، شهد العقبة ، كان أحد النقباء وبدرًا وسائر المشاهد ، حضر فتح مصر ، وولى القضاء بفلسطين ، ومات بالرحلة سنة ٣٤ هـ روى ١٨١ حديثًا . (تهذيب التهذيب حـ ٥ ص ١١١) .

فإن قال قائل إن قول رسول الله ﷺ : « الأئمة من قريش » يدخل فى ذلك الحليف والمولى ، وابن الأخت ، لقول رسول الله ﷺ : « مَوَلَى الْقَوْمِ مِنْهُمْ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وابْنِ أُخْتِ الْقَوْمِ مِنْهُمْ[٢٤]» .

فالجواب وبالله تعالى التوفيق :

إن الإجماع قد تيقن وصح على أن حكم الحليف والمولى وابن الأخت كحكم من ليس له حليف ولا مولى ولا ابن اخت ، فمن أجاز الإمامة فى غير هؤلاء جوزها فى هؤلاء . ومن منعها من غير قريش منعها من الحليف والمولى ، وابن الأخت ، فإذا صح البرهان بأن لا يكون إلا فى قريش لا فيمن ليس قرشيًا صح بالاجماع أن حليف قريش ومولاهم وابن أختهم [لا حق لهم فى الخلافة لاجماع الأمة كلها على أن حكمهم][٢٥] كحكم من ليس قرشيا وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : وقال قوم إن اسم الامامة قد يقع على الفقيه العالم وعلى متولى الصلاة بأهل مسجد ما ، قلنا : نعم . لا يقع على هؤلاء إلا بالاضافة لا بالإطلاق ، فيقال فلان إمام فى الدين ، وإمام بنى فلان ، فلا يطلق لأحدهم اسم الإمامة بلا خلاف من أحد من الأمة إلا على المتولى لأمور أهل الإسلام .

فإن قال قائل فإن اسم الإمارة[٢٦] واقع بلا خلاف على من ولى جهة من جهات المسلمين ، وقد سمى بالإمارة كل من ولاه رسول الله ﷺ جهة من الجهات ، أو سرية ، أو جيشًا ، وهؤلاء مؤمنون ، فما المانع من أن يوقع على كل واحد اسم أمير المؤمنين ؟ فجوابنا وبالله تعالى التوفيق .

إن الكذب محرم بلا خلاف ، وكل من ذكرنا فإنما هو أمير لبعض المؤمنين لا لكلهم ، فلو سمى أمير المؤمنين لكان مسميه بذلك كاذبًا لأن هذه اللفظة تقتضى عموم المؤمنين ، وهو ليس كذلك وإنما هو أمير بعض المؤمنين فصح أنه ليس يجوز ألبتة أن يوقع اسم الإمامة مطلقا ، ولا اسم أمير المؤمنين إلا على القرشى المتولى لجميع أمور المؤمنين كلهم ، أو الواجب له ذلك ، وإن عصاه كثير من المؤمنين ، وخرجوا عن الواجب عليهم ، من طاعته والمفترض عليهم من بيعته ، فكانوا بذلك فئة باغية ، حلالا قتالهم وحربهم ، وكذلك اسم الخلافة باطلاق لا يجوز أيضا إلا لمن هذه صفته ، وبالله التوفيق .

---

(٢٤) الحديث رواه البخارى فى المناقب ١٤ ، والفرائض ٢٤ ، ورواه أبو داود فى الزكاة ٢٩ ، والترمذى فى الزكاة ٢٥ ، والنسائى ٩٧ والدارمى فى السير ٨٢ ، وأحمد بن حنبل حـ ٣ ص ٤٤٨ ، حـ ٤ ، ٢٥ ، ٣٤ ولفظه عند الترمذى موالى القوم من أنفسهم .

(٢٥) سقط من (أ) ما بين القوسين .

(٢٦) فى (أ) : الإمامة .

واختلف القائلون بأن الإمامة لا تجوز إلا فى صلبة قريش ، فقالت طائفة : هى جائزة فى جميع ولد فهر بن مالك . فقط ، وهذا قول أهل السنة ، وجمهور المرجئة ، وبعض المعتزلة . وقالت طائفة : لا تجوز الخلافة إلا فى ولد العَبَّاس بن عبد المطلب(٢٧) وهو قول الراوندية(٢٨)، وقالت طائفة لا تجوز الخلافة إلا فى ولد على بن أبى طالب [وقالت طائفة لا تجوز الخلافة إلا فى ولد جعفر ابن أبى طالب](٢٩) ثم قصورها على عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب(٣٠).

وبلغنا عن بعض بنى الحارث بن عبد المطلب أنه كان يقول : لا تجوز الخلافة إلا فى بنى عبد المطلب خاصة ويراها فى جميع ولد عبد المطلب وهم أبو طالب(٣١)، وأبو لهب(٣٢)، والحارث ، والعباس .

وبلغنا عن رجل كان بالأردن يقول : لا تجوز الخلافة إلا فى بنى أمية بن عبد شمس(٣٣)، وكان له فى ذلك تأليف مجموع ، وروينا كتابا مؤلفًا لرجل من ولد عمر بن الخطاب رضى الله عنه يحتج فيه بأن الخلافة لا تجوز إلا لولد أبى بكر ، وعمر رضى الله عنهما .

قال أبو محمد : فأما هذه الفرق الأربع فما وجدنا لهم شبهة يستحق أن يشتغل بها إلا دعاوى كاذبة لا وجه لها .

وأما الكلام مع الذين يرون الأمر لولد العباس أو لولد على فقط لكثرة عددهم .

قال أبو محمد : احتج من ذهب إلى أن الخلافة لا تجوز إلا فى ولد العباس فقط على أن

---

(٢٧) العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، أبو الفضل ، من أكابر قريش فى الجاهلية والإسلام ، وجد الخلفاء العباسيين ، كانت له سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام ، أسلم قبل الهجرة وكتم إسلامه ، وهاجر إلى المدينة ، وشهد وقعة حنين ، وشهد فتح مكة كانت وفاته بالمدينة عن عشرة أولاد ذكور سوى الإناث وله فى كتب الحديث ٣٥ حديثًا . (طبقات بن سعد حـ ٤ ص ٥) .

(٢٨) الروandية : شيعة لبنى العباس من أهل خراسان ، زعموا أن أحق الناس بالخلافة هو العباس . وقالوا بالتناسخ والحلول فقاتلهم المنصور الخليفة العباسى حتى أبادهم على آخرهم ، وينسبون إلى رئيسهم ابن أبى الحسين الراوندى الذى عاش فى القرن العاشر الميلادى الثانى الهجرى ، وكان فى بدء أمره من المعتزلة ثم خرج عليهم وألف كتابه « فضيخة المعتزلة » .

(٢٩) ما بين القوسين سقط من (أ) .

(٣٠) عبد الله بن جعفر بن أبى طالب بن عبد المطلب الهاشمى ، صحابى ، ولد بأرض الحبشة وهو أول من ولد بها من المسلمين ، وأتى البصرة والكوفة والشام وكان كريمًا يسمى بحر الجود وكان أجود الأمراء فى جيش على يوم صفين ، ومات بالمدينة سنة ٨٠ هـ . (الاصابة ت ٤٥٨٢) .

(٣١) أبو طالب بن عبد المطلب : يسمى عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم من قريش ، أبو طالب والد على – رضى الله عنه ، كان من أبطال بنى هاشم ورؤسائهم ، نشأ النبى – ﷺ فى بيته ، وسافر معه إلى الشام ووقف بجواره فى الدعوة إلى الإسلام ولكنه لم يسلم – وفى الحديث : ما نالت قريش منى شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب – توفى سنة ٣ . ق . هـ . (طبقات بن سعد حـ ١ ص ٧٥) .

(٣٢) أبو لهب بن عبد المطلب : يسمى عبد العزى بن عبد المطلب حـ ١ ص ٧٥ عم رسول الله – ﷺ – ومن أشد الناس عداوة للمسلمين وكان أحمر الوجه فلقب فى الجاهلية بأبى لهب ، ومات بعد وقعة بدر بأيام ولم يشهدها سنة ٢ هـ . (ابن الأثير حـ ٢ ص ٢٥) .

(٣٣) أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قص جد الأمويين بالشام والأندلس جاهلى ، كان من سكان مكة ، وكانت له قيادة الحرب فى قرسش ، وعاش إلى ما بعد مولى النبى – ﷺ وكان هو وابن عمه عبد المطلب فيمن وفد على سيف بن ذى يزن فى قصره بصنعاء وكان له عبد يسمى ذكوان . (الاعلام حـ ٢ ص ١٣)

الخلفاء من ولده ، وكل من له حظ من علم من غير الخلفاء منهم لا يرضون بهذا ولا يقولون به لكن تلك الطائفة قالت كان العباس عاصب[٣٤] رسول الله ﷺ ووارثه ، فإذا كان ذلك كذلك فقد ورث مكانه .

قال أبو محمد : وهذا ليس بشيء ، لأن ميراث العباس رضى الله عنه لو وجب له لكان ذلك فى المال خاصة ، وأما المرتبة فما جاء قط فى الديانات أنها تورث .

فبطل هذا التمويه جملة ولله الحمد .

ولو جاز أن تورث المراتب لكان من ولاه رسول الله ﷺ مكانا ما إذ مات وجب أن يرث تلك الولاية عاصبه ، ووارثه ، وهذا ما لا يقولونه فكيف وقد صح باجماع جميع أهل القبلة حاشا الروافض أن رسول الله ﷺ قال « لَا نُورَثُ مَا تَرَكْنَاهُ صَدَقَةٌ[٣٥] » ..؟

فإن اعترض معترض بقول الله عز وجل « وورث سليمان داود[٣٦] » وبقوله تعالى حاكيا عن زكريا عليه السلام أنه قال : « فهب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا[٣٧] » .

قال أبو محمد : وهذا لا حجة فيه لأن الرواة وحملة الأخبار وجميع التواريخ القديمة كلها وكواف بنى إسرائيل ينقلون بلا خلاف نقلًا يوجب العلم أن داود عليه السلام كان له بنون جماعة[٣٨] غير سليمان عليه السلام فصح أنه ورث النبوة .

وبرهان ذلك أنهم كلهم مجموعون على أنه عليه السلام ولى مكان أبيه عليهما السلام وليس له إلا اثنتى عشرة سنة ، ولداود أربعة وعشرون إبنًا كبارًا وصغارًا ، وهكذا القول فى ميراث يحيى ابن زكريا عليهما السلام .

وبرهان ذلك من نص الآية نفسها قوله عليه السلام يرثنى ويرث من آل يعقوب وهم مئوا ألوف[٣٩] [لكل سبط من أسباطهم عصاب عظيمة فصح أنه إنما رغب ولدًا][٤٠] يرث عنه النبوة فقط .

---

(٣٤) فى (أ) : عصب .

(٣٥) الحديث رواه البخارى فى فضائل النبى – ﷺ ، وفى الفرائض ٣ ورواه مسلم فى الجهاد ، ٤٩ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٦ ، وأبو داود فى الامارة ١٩ ، والترمذى فى السير ٤٤ ، والنسائى فى الفىء ٩ ، ١٦ والموطأ فى الكلام ٢٧ ، وأحمد بن حنبل فى المسند حـ ١ ص ٤ ، ٦ ، ٩ .

(٣٦) سورة النمل آية رقم ١٦

(٣٧) سورة مريم آية رقم ٥ ، ٦

(٣٨) سقط من (أ) (جماعة) .

(٣٩) سقط من (أ) ما بين القوسين .

(٤٠) يقصد بذلك مئات الألوف ، عصاب عظيمة : أى عصبة .

وأيضا فمن المحال أن يرغب زكريا عليه السلام فى ولد يحجب عصبته عن ميراثه إذ إنما يرغب فى هذه الخطة ذو الحرص على الدنيا وحطامها ، وقد نزه الله عز وجل [عن ذلك أنبياءه عليهم الصلاة والسلام وبرهان ذلك أنه عليه السلام إنما طلب الولد إذ يرى أن ما اتاه الله عز وجل][٤١] مريم عليها السلام التى كانت فى كفالته من المعجزات ، قال تعالى : « كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنّى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب – إلى قوله : إنك سميع الدعاء[٤٢] » .

وعلى هذا المعنى دعا فقال : « هب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا » .

وأما من اغتر بقوله تعالى حاكيا عنه عليه السلام أنه قال « وإنى خفت الموالى من ورائى[٤٣] » .

قيل له بطلان هذا الظن أن الله تعالى لم يعطه ولدًا يكون له عقب فيتصل الميراث لهم بل أعطاه ولدًا حصورًا لا يقرب النساء قال تعالى : « وسيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين[٤٤] » .

فصح ضرورة أنه عليه السلام إنما طلب ولدًا نبيًا لا ولدًا يرث المال ، وأيضا فلم يكن العباس محيطا بميراث النبى ﷺ وإنما كان يكون له ثلاثة أثمان فقط وأما ميراث المكانة فقد كان العباس رضى الله عنه حيا قائما إذ مات النبى ﷺ فما ادعى العباس لنفسه قط فى ذلك حقا ، لا حينئذ ولا بعد ذلك ، وجاءت الشورى فما ذكر فيها ولا أنكر هو ولا غيره ترك ذكره فيها ، فصح أنه رأى محدث فاسد لا وجه للاشتغال به ، والخلفاء من ولده والأفاضل منهم من غير الخلفاء لا يرضون[٤٥] لأنفسهم بهذه الدعوى ترفعًا عن سقوطها ووهنها ، وبالله تعالى التوفيق .

وأما القائلون بأن الإمامة لا تكون إلا فى ولد على رضى الله عنه فإنهم انقسموا قسمين .

فطائفة قالت : إن رسول الله ﷺ نص على على بن أبى طالب أنه الخليفة بعده ، وأن الصحابة بعده عليه السلام اتفقوا على ظلمه ، وعلى كتمان نص النبى ﷺ ، وهؤلاء المسلمون: الروافض ، وطائفة قالت لم ينص النبى ﷺ على علىّ لكنه كان أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ

---

(٤١) ما بين القوسين سقط من (أ) .
(٤٢) سورة آل عمران آية رقم ٣٨
(٤٣) سورة مريم آية رقم ٥
(٤٤) سورة آل عمران آية رقم ٣٩
(٤٥) فى (أ) : لا يرون .

وأحقهم بالأمر ، وهؤلاء هم الزيدية[٤٦] نسبوا إلى زيد[٤٧] بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب .

ثم اختلفت الزيدية فرقا ، فقالت طائفة : إن الصحابة ظلموه ، وكفروا ، من خالفه من الصحابة ، وهم الجارودية[٤٨] وقالت أخرى : إن الصحابة رضى الله عنهم لم يظلموه لكنه طابت نفسه بتسليم حقه إلى أبى بكر ، وعمر رضى الله عنهما ، وإنهما إماما هدى ، ووقف بعضهم فى عثمان رضى الله عنه وتولاه بعضهم ، وذكرت طائفة : إن هذا كان مذهب الفقيه الحسن بن صالح ابن حى الهمدانى[٤٩].

قال أبو محمد : وهذا خطأ وقد رأيت لهشام بن الحكم الرافضى الكوفى[٥٠] فى كتابه المعروف بالميزان ، وقد ذكر الحسن بن حى ، وأن مذهبه كان أن الإمامة فى جميع ولد فِهْر ابن مالك .

قال أبو محمد : وهذا الذى لا يليق بالحسن بن حى غيره ، فإنه كان أحد أئمة الدين ، وهشام بن الحكم أعلم به ممن نسب إليه غير ذلك ، لأن هشاما كان جاره بالكوفة وأعرف الناس به وأدركه وشاهده ، والحسن بن حى رحمه الله يحتج بمعاوية رضى الله عنه ، وبابن الزبير رضى الله عنهما وهذا مشهور عنه فى كتبه وروايات من روى عنه وجميع الزيدية لا يختلفون فى أن الإمامة فى جميع ولد على ابن أبى طالب ، من خرج منهم يدعو إلى الكتاب والسنة وجب سل السيف معه .

وقالت الروافض : الإمامة فى على وحده بالنص عليه ثم فى الحسن ثم فى الحسين ، وادعوا

---

(٤٦) الزيدية : أتباع زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب وهم ثلاث فرق ، وهى الجارودية والسليمانية وقد يقال الجريرية والبُتْرية وهذه الفرق الثلاثة يجمعها القول بإمامة زيد فى أيام خروجه ، وكان ذلك فى زمن هشام بن عبد الملك . (الفرق بين الفرق ص ٢٢ ، ٢٣) .

(٤٧) زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب يقال له زيد الشهيد ولد سنة ٧٩ هـ قال أبو حنيفة ما رأيت فى زمانه أفقه منه ولا أسرع جوابًا ولا أبين قولًا ، كانت اقامته بالكوفة وقرأ على واصل بن عطاء ، رحل إلى الشام فضيق عليه هشام بن عبد الملك وحبسه خمسة شهور وعاد إلى العراق والمدينة وعاد إلى الكوفة ١٢٠ هـ فبايعه أربعون ألفًا على الدعوة إلى الكتاب والسنة فقاتله الحكم بن الصلت وقتله سنة ١٢٢ هـ . (تاريخ الطبرى حـ ٨ ص ٢٦٠) .

(٤٨) الجارودية من الزيدية أتباع أبى الجارود زياد بن أبى زياد وأبو الجارود هو الذى سماه الإمام الباقر سرخوبًا ، وفسره بأنه شيطان يسكن البحر . قال عبد الله بن أحمد عن أبيه متروك الحديث ، وضعفه جدًا ، وقال معاوية بن صالح عن يحيى بن معين كذاب عدو الله ليس يسوى فلسًا وقال أبو حاتم كان رافضيًا يضع الحديث وافترقت الجارودية فرقتين فرقة قالت : إن عليًا نص على إمامة ابنه الحسن ثم نص الحسن على إمامة أخيه الحسين بعده وزعمت الثانية منهم أن النبى - ﷺ هو الذى نص على إمامة الحسن بعد على وإمامة الحسين بعد الحسن . (الفرق بين الفرق ص ٣٠ ، ٣١) .

(٤٩) الحسن بن صالح بن حى الهمدانى الثورى الكوفى ، أبو عبد الله من زعماء الفرقة البترية من الزيدية ، كان فقيهًا مجتهدًا متكلمًا أصله من ثغور همدان وتوفى مختفياً فى الكوفة سنة ١٦٨ هـ له كتب منها « التوحيد ، وإمامة ولد على من فاطمة ، والجامع فى الفقه . (تهذيب التهذيب حـ ٢ ص ٢٨٥) .

(٥٠) هشام بن الحكم الشيبانى بالولاء الكوفى أبو محمد ، متكلم مناظرا ، كان شيخ الإمامية فى وقته ، ولد بالكوفة ، ونشأ بواسط ، وسكن بغداد وانقطع إلى يحيى بن خالد البرمكى . صنف كتبا منها « الامامة » و« القدر » والشيخ والغلام ، والرد على المعتزلة ، والرد على الزنادقة ، والرد على من قال بامامة المفضول . توفى سنة ١٩٠ هـ . (لسان الميزان حـ ٦ ص ١٩٤) .

نصا آخر من النبى ﷺ عليهما بعد أبيهما ثم على بن الحسين لقول الله عز وجل : « وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله[٥١] » .

قالوا : فولد الحسين أحق من أخيه ، ثم محمد بن على بن الحسين ، ثم جعفر بن محمد ابن على بن الحسين – وهذا مذهب جميع متكلميهم كهشام بن الحكم ، وهشام الجواليقى[٥٢] وداود الحوارى ، وداود الرقى وعلى بن منصور ، وعلى بن هيثم ، وأبى على السكاك تلميذ هشام ابن الحكم ومحمد بن جعفر بن النعمان شيطان الطاق[٥٣] وأبى ملك الحضرمى وغيرهم . ثم افترقت الرافضة بعد موت هؤلاء المذكورين وموت جعفر بن محمد .

فقالت طائفة : بإمامة ابنه اسماعيل بن جعفر .

وقالت طائفة : بإمامة ابنه محمد بن جعفر وهم قليل .

وقالت طائفة : جعفر حى لم يمت .

وقال جمهور الرافضة بإمامة ابنه موسى بن جعفر ، ثم على بن موسى ، ثم محمد بن على ابن موسى ، ثم على بن محمد بن على بن موسى ، ثم الحسن بن على ، ثم مات الحسن عن غير عقب فافترقوا فرقا وثبت جمهورهم على أنه ولد للحسن بن على ولد فأخفاه ، وقيل بل ولد له بعد موته من جارية له اسمها صقيل وهو الأشهر ، وقال بعضهم بل من جارية له اسمها نرجس ، وقال بعضهم بل من جارية له اسمها سوسن والأظهر عندهم[٥٤] أنها اسمها صقيل ، لأن صقيل هذه ادعت الحمل بعد موت[٥٥] الحسن بن على سيدها فوقف ميراثه لذلك سبع سنين ونازعها فى ذلك أخوه جعفر ابن على وتعصب لها جماعة من أرباب الدولة ، وتعصب لجعفر آخرون ، ثم انفش ذلك الحمل وبطل وأخذ الميراث جعفر أخوه ، وكان موت الحسن هذا سنة ستين ومائتين ، وزادت فتنة الروافض بصقيل هذه ودعواها إلى أن حبسها المعتضد بعد نيف وعشرين سنة من موت سيدها ، وقد عير عمر[٥٦] بها أنها فى منزل الحسن بن جعفر النوبختى الكاتب فوجدت فيه ، وحملت إلى قصر المعتضد فبقيت هنالك إلى أن ماتت فى القصر ، فى أيام المقتدر ، فهم إلى اليوم ينتظرون ضالة منذ مائة عام وثمانين عاما .

---

(٥١) سورة الأنفال آية رقم ٧٥

(٥٢) لم نعثر له على ترجمة .

(٥٣) شيطان الطاق لقب لقبوا به أبا جعفر محمد بن النعمان ، الأحول والشيعة تلقبه « مؤمن الطاق ، وإضافته إلى سوق فى طاق المحامل فى الكوفة ، كان يجلس فيه للصرف . انظر فهرست النديم ص ٢٦٤ .

(٥٤) سقط من (أ) عندهم .

(٥٥) سقط من (أ) (موت) .

(٥٦) فى (خ) : (عمر) وهو تحريف .

وكانت طائفة قديمة قد بادت كان رئيسهم المختار بن أبى عبيد[٥٧] وكيسان أبا عمرة[٥٨] وغيرهما يذهبون إلى أن الامام بعد الحسين ، محمد أخوه المعروف بابن الحنفية ، ومن هذه الطائفة كان السيد الحميرى[٥٩] وكثير عزة[٦٠] الشاعران وكانوا يقولون : إن محمدا ابن الحنفية حى بجبل رضوى ولهم من التخليط ما تضيق عنه الصحف .

قال أبو محمد : وعمدة هذه الطوائف كلها فى الاحتجاج أحاديث موضوعة مكذوبة لا يعجز عن توليد مثلها من لا دين له ولا حياء .

قال أبو محمد : لا معنى لاحتجاجنا عليهم برواياتنا فهم لا يصدقونها ولا معنى لاحتجاجهم علينا برواياتهم[٦١] فنحن لا نصدقها ، وإنما يجب أن يحتج الخصوم بعضهم على بعض بما يصدقه الذى تقام عليه الحجة به سواء صدقه المحتج أو لم يصدقه ، لأن من صدق بشىء لزمه القول به أو بما يوجبه العلم الضرورى فيصير حينئذ[٦٢] مكابرًا منقطعًا إن ثبت على ما كان عليه إلا أن بعض ما يشغبون به أحاديث صحاح نوافقهم على صحتها ، منها قول رسول الله ﷺ لعلى رضى الله عنه « أَنْتَ مِنِى بِمَنْزِلِةِ هَارَونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِى بَعْدِى[٦٣]» .

قال أبو محمد : وهذا لا يوجب له فضلا على من سواه ولا استحقاق الإمامة بعده عليه السلام ، لأن هارون لم يل أمر بنى إسرائيل بعد موسى عليهما السلام ، وإنما ولى الأمر بعد موسى عليه السلام يوشع بن نون ، فتى موسى وصاحبه الذى سافر معه فى طلب الخضر عليهما السلام ، كما ولى الأمر بعد رسول الله ﷺ صاحبه فى الغار الذى سافر معه إلى المدينة .

وإذا لم يكن على نبيا كما كان هارون نبيا ، ولا كان هارون خليفة ، بعد موت موسى على بنى إسرائيل ، فصح أن كونه رضى الله عنه من رسول الله ﷺ بمنزلة هارون من موسى إنما هو فى القرابة فقط ، وأيضا فإنما قال له رسول الله ﷺ هذا القول إذ استخلفه على المدينة فى غزوة تبوك

---

(٥٧) المختار بن أبى عبيد بن مسعود الثقفى من زعماء الثائرين على بنى أمية من أهل الطائف طالب بثأر الحسين وقتل شمر بن ذى الجوش الذى باشر قتل الحسين - شاعت أخبار أنه ادعى النبوة قتله جيش مصعب بن الزبير عام ٦٧ هـ . (الاصابة ت ٨٥٤٧) .

(٥٨) لم نعثر له على ترجمة .

(٥٩) محمد بن وهب الحميرى أبو جعفر شاعر مكثر من شعراء الدولة العباسية ، أصله من البصرة ، عاش فى بغداد وكان ينكسب بالمديح وثبت وعهد إليه بتأديب الفتح بن خاقان واختص بالحسن ابن سهل ومدح المأمون والمعتصم توفى سنة ٢٢٥ هـ . (معاهد التنصيص حـ ١ ص ٢٢٠) .

(٦٠) كثير عزة بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر الخزاعى أبو صخر شاعر ، من أهل المدينة ، اكثر إقامته فى مصر ، كان من غلاة الشيعة ، وينسبون إليه القول بالتناسخ ، أخباره مع عزة بنت جميل الضميرة كثيرة له ديوان شعر مطبوع . (الوفيات حـ ١ ص ٤٣٣) .

(٦١) سقط من (أ) (برواياتهم) .

(٦٢) فى (أ) : يومئذ .

(٦٣) الحديث رواه مسلم رقم ٢٤٠٤ فى فضائل الصحابة ، باب من فضائل على بن أبى طالب ، والترمذى رقم ٣٧٢٦ فى المناقب ، باب مناقب على بن أبى طالب رضى الله عنه ، ولفظه عند الترمذى : أن النبى - ﷺ قال لعلى : أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى .

فقال المنافقون : استقله فخلّفه فلحق على برسول الله ﷺ فشكى ذلك إليه فقال له رسول الله ﷺ حينئذ : أنت منى بمنزلة هارون من موسى[٦٤]» يريد عليه السلام انه استخلفه على المدينة مختارًا لاستخلافه كما استخلف موسى عليه السلام هارون عليه السلام أيضا مختارا لاستخلافه ، ثم قد استخلف عليه السلام قبل تبوك وبعد تبوك على المدينة ، فى أسفاره رجالا سوى على رضى الله عنه فصح أن هذا الاستخلاف لا يوجب لعلى فضلا على غيره ، ولا ولاية الأمر بعده ، كما لم يوجب ذلك لغيره من المستخلفين .

قال أبو محمد : وعمدة ما احتجت به الإمامية[٦٥] أن قالوا : لابد من أن يكون إمام معصوم ، عنده جميع علم الشريعة ، يرجع الناس إليه فى أحكام الدين ، ليكونوا مما تعبدوا به على يقين .

قال أبو محمد : هذا لا شك فيه ، وذلك معروف ببراهينه الواضحة ، وأعلامه المعجزة ، وآياته الباهرة ، وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب رسول الله ﷺ إلينا تبيان دينه الذى ألزمناه إياه ﷺ فإن كلامه وعهوده وما بلغ من كلام الله تعالى حجة نافذة معصومة من كل آفة ، إلى من بحضرته وإلى من كان فى حياته غائبا عن حضرته ، وإلى كل من يأتى بعد موته ﷺ ، إلى يوم القيامة من جن ، وإنس .

قال الله عز وجل : « اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء[٦٦]» فهذا نص ما قلنا ، وإبطال اتباع أحد دون رسول الله ﷺ وإنما الحاجة إلى فرض الإمامة لينفذ الإمام عهود الله تعالى الواردة إلينا على من عبد[٦٧] فقط لا لأن يأتى الناس بما لا يشاؤنه فى معرفته من الدين الذى أتاهم به رسول الله ﷺ ، ووجدنا عليًا رضى الله عنه إذ دعى إلى التحاكم إلى القرآن أجاب ، وأخبر بأن التحاكم إلى القرآن حق فإن كان علىٌّ أصاب فى ذلك فهو قولنا ، وإن كان أجاب إلى الباطل فهذه غير صفته رضى الله عنه ، ولو كان التحاكم إلى القرآن لا يجوز بحضرة الإمام لقال على حينئذ كيف تطلبون تحكيم القرآن ، وأنا الإمام المبلغ عن رسول الله ﷺ ؟ فإن قالوا : إذ مات رسول الله ﷺ فلابد من إمام يبلغ الدين . قلنا : هذا باطل ودعوى بلا برهان ، وقول لا دليل على صحته ، وإنما الذى يحتاج إليه أهل الأرض من رسول الله ﷺ بيانه وتبليغه فقط ، سواء فى ذلك من كان بحضرته ، ومن غاب عنه ، ومن جاء بعده إذ ليس فى شخصه ﷺ إذا لم يتكلم

---

(٦٤) سبق تخريج هذا الحديث .
(٦٥) فى (خ) : (الأماميان) .
(٦٦) سورة الأعراف آية رقم ٣
(٦٧) فى النسختين عند وهو تحريف .

بيان عن شيء من الدين فالمراد منه عليه السلام كلام(٦٨) باق أبدًا مبلغ إلى كل من فى الأرض ، وأيضا فلو كان ما قالوا من الحاجة إلى إمام موجود أبدًا لا ننقض ذلك عليهم بمن كان غائبًا عن حضرة الإمام فى أقطار الأرض ، إذ لا سبيل إلى أن يشاهد الإمام جميع أهل الأرض الذين فى المشرق والمغرب من فقير وضعيف وامرأة ومريض ومشغول بمعاشه الذى يضيع ان اغفله ، فلابد من التبليغ [فإذ لابد من التبليغ](٦٩) عن الإمام فالتبليغ عن رسول الله ﷺ أولى بالاتباع من التبليغ عمن هو دونه ، وهذا ما لا انفكاك لهم منه .

قال أبو محمد : لاسيما وجميع أئمتهم الذين يدعون بعد على والحسن والحسين رضى الله عنهم ما أمروا قط فى غير منازل سكناهم ، ولا حكموا على قرية فما فوقها بحكم ، فما الحاجة إليهم ..؟ لاسيما مذ مائة عام وثمانين(٧٠) عاما فإنهم يدعون إمامًا ضاله لم يخلق كعنقاء مغرب(٧١)، وهم أولو فحش ، وقحة ، وبهتان ، ودعوى كاذبة لا يعجز عن مثلها أحد ، وأيضا فإن الإمام المعصوم لا يعرف أنه معصوم إلا بمعجزة ظاهرة عليه ، أو بنص ينقله من يوجب نقله العلم(٧٢) عن النبى ﷺ ، على كل إمام بعينه ، واسمه ، ونسبه ، وإلا فهى دعوى لا يعجز عن مثلها أحد لنفسه أو لمن شاء ، ولقد يلزم كل ذى عقل سليم أن يرغب بنفسه عن اعتقاد هذا الجهل ، الغث ، البارد ، السخيف ، الذى ترتفع عقول الصبيان عنه ، وما توفيقنا إلا بالله عز وجل .

وبرهان آخر ضرورى وهو أن رسول الله ﷺ مات وجمهور الصحابة رضى الله عنهم حاشا من كان منهم فى النواحى يعلم الناس الدين ، فما منهم أحد أشار إلى على بكلمة يذكر فيها أن رسول الله ﷺ نص عليه ، ولا ادعى ذلك على قط لا فى ذلك الوقت ولا بعده ، ولا ادعاه له أحد فى ذلك الوقت ، ومن المحال الممتنع الذى لا يمكن البتة ولا يجوز اتفاق أكثر(٧٣) من عشرين ألف إنسان متنابذى الهمم ، والنيات ، والأنساب ، أكثرهم موتور من صاحبه ، فى الدماء من الجاهلية على طى عهد عهده رسول الله ﷺ إليهم ، وما وجدنا قط رواية عن أحد فى النص المدعى إلا رواية واهية عن مجهولين ، إلى مجهول يكنى أبا الحمراء لا يعرف من هو فى الخلق . ووجدنا عليًا رضى الله عنه قد توقف عن(٧٤) البيعة لأبى بكر رضى الله عنه(٧٥) ستة أشهر ،

---

(٦٨) سقط من (خ) (كلام) .
(٦٩) سقط من (أ) ما بين القوسين .
(٧٠) هذا التاريخ منذ حياة ابن حزم .
(٧١) هذا مثل يضرب للمستحيل من الأمر .
(٧٢) ما بين القوسين سقط من (أ) .
(٧٣) فى (خ) : (أزيد) .
(٧٤) فى (أ) : قد تأخر .
(٧٥) سقط من (أ) لأبى بكر رضى الله عنه .

فما أكرهه أبو بكر على البيعة حتى بايع طائعا ، مراجعا ، غير مكره ، فكيف حل لعلى رضى الله عنه عند هؤلاء النوكى أن يبايع طائعا رجلًا إما كافرا ، وإما فاسقا جاحدا ، لنص رسول الله ﷺ ويعينه على أمره ويجالسه فى مجالسه[٧٦] ويواليه إلى أن مات ..؟ ، ثم بايع بعده عمر بن الخطاب مبادرًا غير متردد ساعة فما فوقها غير مكره ، بل طائعا وصحبه وأعانه على أمره وأنكحه من ابنته فاطمة[٧٧] رضى الله عنها ، ثم أقبل ادخاله فى الشورى أحد ستة رجال ، فكيف حل لعلى عند هؤلاء الجهال أن يشارك بنفسه فى شورى ضالة ، وكفر ، ويغر الأمة هذا الغرور ؟ وهذا الأمر أدى أبا كامل إلى تكفير على بن أبى طالب رضى الله عنه ، لأنه فى[٧٨] زعمه أعان الكفار على كفرهم ، وأيدهم على كتمان الديانة ، وعلى ما لا يتم الدين إلا به .

قال أبو محمد : ولا يجوز أن يظن بعلى رضى الله عنه أنه أمسك عن ذكر النص عليه خوف الموت ، وهو الأسد شجاعة ، قد عرض نفسه للموت بين يدى رسول الله ﷺ مرات ثم يوم الجمل ، وصفين ، فما الذى جبنه بين هاتين الحالتين ؟ وما الذى ألف بين بصائر الناس على كتمان حق على ، ومنعه ما هو أحق به مذ مات رسول الله ﷺ إلى أن قتل عثمان رضى الله عنه ؟ ثم ما الذى جلى بصائرهم فى عونه ، إذ دعا إلى نفسه فقامت معه طوائف من المسلمين عظيمة ، وبذلوا دماءهم دونه ، ورأوه حينئذ صاحب الأمر ، والأولى بالحق ممن نازعه ؟ فما الذى منعه ومنعهم من الكلام واظهار النص الذى يدعيه الكذابون إذ مات عمر رضى الله عنه ، وبقى الناس بلا رأس ثلاثة أيام أو يوم السقيفة ؟ وأظرف من هذا كله بقاؤه ممسكا عن بيعة أبى بكر رضى الله عنه ستة أشهر ، فما سألها ولا أجبر عليها ولا كلفها ، وهو متصرف بينهم فى أموره فلولا أنه رأى الحق فيها واستدرك أمره فبايع طالبا حظ نفسه فى دينه ، راجعا إلى الحق لما بايع .

فإن قالت الروافض : إنه بعد ستة أشهر رأى الرجوع إلى الباطل فهذا هو الباطل حقًا ، لا ما فعل على رضى الله عنه ، ثم ولى على رضى الله عنه فما غير حكمًا من أحكام أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، ولا أبطل عهدًا من عهودهم ، ولو كان ذلك عنده باطلا لما كان فى سعة من أن يمضى الباطل وينفذه ، وقد ارتفعت التقية عنه وأيضا فقد نازع الأنصار رضى الله عنهم أبا بكر رضى الله عنه ودعوا إلى بيعة سعد بن عبادة[٧٩] رضى الله عنه ، ودعا المهاجرون إلى بيعة أبى بكر

---

(٧٦) فى (خ) : مجلسه .

(٧٧) هى فاطمة الزهراء بنت رسول الله - ﷺ ، وزوج الإمام على - رضى الله عنه . وام الحسن والحسين - رضى الله عنهما . (راجع ترجمة وافية لها فى طبقات بن سعد حـ ٨) .

(٧٨) فى (خ) : عنده .

(٧٩) سعد بن عبادة : الخزرجى أبو ثابت صحابى من أهل المدينة ، كان سيد الخزرج وأحد الأمراء الأشراف فى الجاهلية والإسلام ، وكان يلقب فى الجاهلية بالكامل لمعرفته الكتابة والرمى والسباحة ، وشهد العقبة وأحد والخندق وغيرها وكان أحد النقباء الاثنى عشر ولما توفى رسول الله طمع فى الخلافة خرج إلى الشام مهاجرًا فمات بحوران عام ١٤ هـ (الاصابة الترجمة ٣١٦٧) .

رضى الله عن جميعهم ، وقعد على رضى الله عنه فى بيته لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، ليس معه أحد غير الزبير ابن العوام[٨٠] ثم استبان الحق للزبير رضى الله عنه فبايع سريعا ، وبقى على وحده لا يرقب عليه ولا يمنع من لقاء الناس ولا يمنع أحد من لقائه ، فلا يخلو رجوع الأنصار كلهم إلى بيعة أبى بكر من أن يكون عن غلبة أو عن ظهور حقه إليهم فأوجب ذلك الانقياد لبيعته ، أو فعلوا ذلك مطارفة لغير معنى ولا سبيل إلى قسم رابع بوجه من الوجوه .

فإن قالوا بايعوه بغلبة كذبوا لأنه لم يكن هنالك قتال ولا تضارب ولا سباب ولا تهديد ولا وقت طويل ينفع للوعيد ولا سلاح مأخوذ ، ومحال أن يترك أزيد من ألفى فارس أمجاد أبطال كلهم عشيرة واحدة ، قد ظهر من شجاعتهم ما لا مرمى وراءه ، وهو أنهم بقوا ثمانية أعوام متصلة محاربين لجميع العرب فى أقطار بلادهم موطنين على الموت متعرضين مع ذلك لحرب قيصر والروم بمؤته[٨١] وغيرها ولكسرى والفرس تنصرهم من يخاطبهم يدعو لهم ويدعوه[٨٢] إلى اتباعه وأن يكون كأحد من بين يديه ، هذه صفة الأنصار التى لا ينكرها إلا رقيع مجاهر بالكذب فمن المحال الممتنع أن يرهبوا أبا بكر ورجلين أتيا معه فقط ، لا يرجع إلى عشيرة كثيرة ، ولا إلى موال ، ولا إلى عصبة ولا مال ، فرجعوا إليه ، وهو عندهم مبطل ، وبايعوه بلا تردد ولا تطويل ، وكذلك يبطل أن يرجعوا عن قولهم ، وما كانوا قد رأوه من أن الحق حقهم ، وعن بيعة ابن عمهم مطارفة بلا خوف ولا ظهور الحق إليهم ، فمن المحال اتفاق أهواء هذا العدد العظيم على ما يعرفون أنه باطل دون خوف ، يضطرهم إلى ذلك ودون طمع يتعجلونه من مال أو جاه ، بل فيما فيه ترك العز والدنيا والرياسة وتسليم كل ذلك إلى رجل أجنبى[٨٣] لا عشيرة له ولا منعة ، ولا حاجب ولا حرس ، على بابه ، ولا قصر ممتنع فيه ، ولا موالى ولا مال ، فأين كان على وهو الذى لا نظير له فى الشجاعة ..؟ ومعه جماعة بنى هاشم ، وبنى المطلب ، من قتل هذا الشيخ لا دافع دونه ، لو كان عنده ظالما وعن منعه وزجره ، بل قد علم والله على رضى الله عنه أن أبا بكر رضى الله عنه على الحق وأن من خالفه على الباطل ، فأذعن للحق بعد أن عرضت له فيه كبوة ذلك الأنصار رضى الله عنهم ، وإذ قد بطل كل هذا فلم يبق إلا أن عليًا والأنصار رضى الله عنهم إنما رجعوا إلى بيعة أبى بكر رضى الله عنه لبرهان حق صح عندهم عن النبى ﷺ ، لا لاجتهاد كاجتهادهم ، ولا لظن كظنونهم ، فإذ قد بطل أن يكون الأمر فى الأنصار . وزالت الرياسة عنهم فما الذى حملهم كلهم أولهم عن آخرهم على أن يتفقوا على جحد نص النبى ﷺ على إمامة على ؟ ومن

---

(٨٠) راجع ترجمته ص ٧٩ من هذا الجزء .

(٨١) غزوة مؤته كانت بالبلقاء من أرض الشام وفيها قتل زيد بن حارثة وجعفر بن أبى طالب ، وعبد الله بن رواحة – رضى الله عنهم – وأخذ القيادة خالد بن الوليد : ففتح الله عليهم وكان ذلك عام ٨ هـ .

(٨٢) سقط من (أ) (ويدعوه) .

(٨٣) فى (أ) : سقط كلمة : (أجنبى) .

المحال أن تتفق آراؤهم كلهم على معونة من ظلمهم وغصبهم حقهم . إلا أن تدعى الروافض أنهم كلهم اتفق لهم نسيان ذلك العهد ، فهذه أعجوبة من المحال غير ممكنة ثم لو أمكنت لجاز لكل أحد أن يدعى فيما شاء من المحال أنه قد كان ، وأن الناس كلهم نسوه ، وفى هذا إبطال الحقائق كلها . وأيضا فإن كان جميع أصحاب رسول الله ﷺ اتفقوا على جحد ذلك النص وكتمانه أو اتفقت طبائعهم كلهم على نسيانه فمن أين وقع إلى الروافض أمره ومن بلغه إليهم ..؟

وكل هذا هوس ومحال ، فبطل أمر النص على علىّ رضى الله عنه بيقين لا إشكال فيه ، والحمد لله رب العالمين .

فإن قال قائل : إن على بن أبى طالب رضى الله عنه كان قد قتل الأقارب من[٨٤] بين يدى رسول الله ﷺ فتولد له بذلك حقد فى قلوب جماعة من الصحابة فلذلك انحرفوا عنه .

قيل لهم : هذا تمويه ضعيف كاذب ، لأنه إن ساغ لكم ذلك فى بنى عبد شمس وبنى مخزوم ، وبنى عبد الدار ، وبنى عامر ، لأنه قتل من كل قبيلة من هذه القبائل رجلًا أو رجالا ، فقتل من بنى عامر ابن لؤى رجلا واحدًا وهو عمرو بن عبد ود[٨٥]، وقتل من بنى مخزوم وبنى عبد الدار رجالا ، وقتل من بنى عبد شمس الوليد بن عتبة[٨٦] والعاص بن سعيد بن العاص[٨٧] بلا شك وشارك فى قتل عتبة بن ربيعة[٨٨]، وقيل قتل عقبة بن أبى معيط[٨٩] وقيل قتله غيره وهو عاصم بن ثابت الأنصارى[٩٠] ولا مزيد فقد علم كل من له أقل علم بالأخبار أنه لم يكن لهذه القبائل ولا لأحد منها يوم السقيفة حل ولا عقد ، ولا رأى ولا أمر ، اللهم إلا أن أبا سفيان

---

(٨٤) سقط من (أ) كلمة (من) .

(٨٥) عمرو بن عبدود العامرى ، من بنى لؤى من قريش : فارس قريش وشجاعها فى الجاهلية أدرك الإسلام ولم يسلم ، وعاش إلى أن كانت واقعة الخندق فحضرها وقد تجاوز الثمانين فقتله على بن أبى طالب . عام ٥ هـ . (الروض الأنف حـ ٢ ص ١٩١) .

(٨٦) الوليد بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، كان والده كبير قريش وأحد ساداتها فى الجاهلية ، شهد هو وأبيه عتبه وعمه شيبه بن ربيعة غزوة بدر وطلبوا المبارزة فخرج لهم عبيدة بن الحرث وحمزة بن عبد المطلب وعلى بن أبى طالب فبارز عبيدة عتبة بن ربيعة وبارز حمزة شيبة بن ربيعة وبارز على الوليد بن عتبة فقتل حمزة شيبه وقتل على الوليد وكر حمزة وعلى مع عبيده على عتبه فقتلوه . (راجع سيرة بن هشام حـ ٢ ص ٢٦٥) .

(٨٧) العاص بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس ، قتله الزبير بن العوام عندما خرج مع كفار قريش لحرب المسلمين فى غزوة بدر فقتل فى هذه الموقعة عام ٢ هـ . (راجع سيرة ابن هشام حـ ٢ ص ٣٥٦) .

(٨٨) عتبة بن ربيعة : بن عبد شمس ، أبو الوليد كبير قريش وأحد ساداتها فى الجاهلية ، توسط للصلح فى حرب الفيجار بين هوزان وكنافة ، وقد رضى الفريقان حكمه وانقضت الحرب على يده ، أدرك الإسلام وطغى فشهد بدرًا مع المشركين وكان ضخم الجثة ، وقاتل قتالًا شديدًا فأحاط به على بن أبى طالب والحمزة وعبيدة بن الحارث فقتلوه . (الروض الأنف حـ ١ ص ١٢١) .

(٨٩) عقبة بن أبان بن ذكوان بن أمية بن عبد شمس ، من مقدمى قريش فى الجاهلية كنيته أبو الوليد ، وكنية أبيه أبو معيط كان شديد الأذى للمسلمين عند ظهور الدعوة فأسروه يوم بدر وقتلوه ثم صلبوه ، وهو أول مصلوب فى الإسلام عام ٢ هـ . (الروض الأنف حـ ٢ ص ٧٦) .

(٩٠) عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح قيس بن عصمة الأنصارى الأوس أبو سليمان ، صحابى من السابقين الأولين من الأنصار ، شهد بدرًا وأحدًا مع رسول الله – واستشهد يوم الرجيع ، ورثاه حسان بن ثابت عام ٤ هـ . (الاصابة ت ٤٣٤٠) .

ابن حرب[٩١] بن أمية كان مائلا إلى على فى ذلك الوقت عصبيا للقرابة لا تدينا ، وكان ابنه يزيد[٩٢] وخالد بن سعيد بن العاص[٩٣] والحارث بن هشام[٩٤] بن المغيرة المخزومى ، مائلين إلى الأنصار تدينا والأنصار قتلوا أبا جهل بن هشام[٩٥] أخاه وقد كان محمد بن أبى حذيفة[٩٦] بن عتبه بن ربيعة شديد الميل إلى على حين قصة عثمان وبعدها حتى قتله معاوية على ذلك . فعرفونا من قتل على من بنى تيم بن مرة أو من بنى عدى بن كعب ، حتى يظن أهل القحة أنهما حقدا عليه ؟

ثم أخبرونا من قتل من[٩٧] الأنصار ؟ أو من جرح منهم ؟ أو من أوذى منهم ؟ ألم يكونوا معه فى تلك المشاهد كلها بعضهم متقدم وبعضهم مساوٍ له وبعضهم متأخر عنه ؟ فأى حقد كان له فى قلوب الأنصار حتى يتفقوا كلهم على جحد النص عليه ؟ وعلى ابطال حقه ؟ وعلى ترك ذكرا اسمه جملة ؟ وإيثار سعد بن عبادة عليه ثم على ايثار أبى بكر وعمر عليه والمسارعة إلى بيعهم[٩٨] بالخلافة دونه وهو معهم وبين أظهرهم يرونه غدوا وعشيا لا يحول بينهم وبينه أحد ، ثم أخبرونا من قتل على من أقارب أولاد المهاجرين من العرب من مضر ، وربيعة ، واليمن ، وقضاعة ، حتى يصفقوا كلهم على كراهية ولايته ، ويتفقوا كلهم على جحد النص عليه .

إن هذه عجائب لا يمكن اتفاق مثلها فى العالم أصلا .

---

(٩١) أبو سفيان بن حرب : صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف صحابى من سادات قريش فى الجاهلية وهو والد معاوية رأس الدولة الأموية ، قاد قريشًا وكنانة يوم أحد والخندق ، اسلم يوم فتح مكة وشهد حنينا والطائف ، توفى بالمدينة عام ٣١ هـ . (الاستيعاب حـ ٤ ص ١٦٧٧) .

(٩٢) يزيد بن صخر (أبى سفيان) بن حرب الأموى أبو خالد أمير صحابى من رجالات بنى أمية شجاعة وحزمًا أسلم يوم فتح مكة واستعمله النبى – ﷺ على صدقات بنى فراس ، ثم استعمله أبو بكر على جيش وسيره إلى الشام ، وولاه عمر فلسطين ثم دمشق ، توفى فى دمشق بالطاعون وهو على الولاية عام ١٨ هـ . (الاصابة : ت ٩٢٦٧) .

(٩٣) خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس ، صحابى من الولاة الغزاة قديم الإسلام ، هاجر إلى الحبشة فاقام بضع عشرة سنة وعاد سنة ٧ هـ حضر فتح مكة ثم وقعه تبوك ، وكان يكتب للنبى – ﷺ – بمكة والمدينة ، شهد فتح أجنادين وقتل فى موقعة مرج الصفر (قرب دمشق) عام ١٤ هـ . (طبقات ابن سعد حـ ٤ ص ٦٧) .

(٩٤) الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومى أبو عبد الرحمن صحابى كان شريفًا فى الجاهلية والإسلام بضرب المثل بيناته فى الحسن والشرف وغلاء المهر ، مدحه كعب بن الأشرف ، وأسلم يوم فتح مكة وخرج فى أيام عمر باهله وماله إلى الشام فلم يزل مجاهدًا إلى أن مات فى طاعون عمواس سنة ١٨ هـ . (الاستيعاب حـ ١ ص ٣٠١) .

(٩٥) أبو جهل : عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومى القرشى أشد الناس عداوة للنبى – ﷺ – كان يقال له أبو الحكم فدعاه المسلمون أبا جهل . قتل فى موقعه بدر ٢ هـ . راجع ترجمة وافية له فى ابن الأثير حـ ١ ص ٢٣ ، ٢٥ .

(٩٦) محمد بن أبى حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف ، صحابى من الأمراء ، ولد بأرض الحبشة فى عهد النبوة واستشهد أبوه يوم اليمامة فرباه عثمان بن عفان ، أقره على فى امارة مصر قبض عليه معاوية وسجنه فى دمشق ثم قتل فى السجن عام ٣٦ هـ . (الاصابة ت ٧٧٦٩) .

(٩٧) فى (أ) : سقطت (من) .

(٩٨) فى (أ) : (بيعته) .

ولقد كان لطلحة[٩٩]، والزبير ، وسعد بن أبى[١٠٠] وقاص ، من القتل فى المشركين كالذى كان لعلى ، فما الذى خصه باعتقاد الأحقاد له دونهم ؟ لو كان للروافض حياء أو عقل .

ولقد كان لأبى بكر رحمه الله ورضى عنه فى مضادة قريش فى الدعاء إلى الإسلام ما لم يكن لعلى ، فما منعهم ذلك من بيعته وهو أسوأ الناس أثرا عند كفارهم .

ولقد كان لعمر بن الخطاب ، رضى الله عنه من مغالبة كفار قريش واعلانه الإسلام على زعمهم ما لم يكن لعلى رضى الله عنه ، فليت شعرى ما الذى أوجب أن ينسى آثار هؤلاء كلهم ، ويعادوا عليا من بينهم كلهم ..؟ لولا قلة حياء الروافض وصفاقة وجوههم ، حتى بلغ الأمر بهم إلى أن عدوا على سعد ابن أبى وقاص وابن عمر وأسامة بن زيد[١٠١] مولى رسول الله ﷺ ورافع ابن خديج الأنصارى[١٠٢] ومحمد بن مسلمة[١٠٣] الأنصارى وزيد بن ثابت الأنصارى[١٠٤] وأبى هريرة[١٠٥] وأبى الدرداء[١٠٦] وجماعة غير هؤلاء[١٠٧] المهاجرين أنهم لم يبايعوا عليا إذ ولى الخلافة ثم بايعوا معاوية ، ويزيد ابنه من أدركه منهم[١٠٨] وادعوا أن تلك الأحقاد حملتهم على ذلك .

قال أبو محمد : حمق الرافضة ، وشدة ظلمة جهلهم ، وقلة حيائهم ، هورهم فى الدمار ، والبوار ، والعار ، والنار ، وقلة المبالاة بالفضائح ، وليت شعرى أى حماسة وأى كلمة حسنة كانت

---

(٩٩) راجع ترجمته ص ٢١١ من هذا الجزء . (طبقات ابن سعد حـ ٣ ص ١٥٣) .

(١٠٠) سعد بن أبى وقاص : مالك بن أهيب بن عبد مناف القرشى أبو اسحاق ، الصحابى فاتح العراق ، ومدائن كسرى ، وأحد الستة الذين عينهم عمر للخلافة ، وأول من رمى بسهم فى سبيل الله ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، أسلم وهو ابن ١٧ سنة وشهد بدرًا وافتتح القادسية له فى كتب الحديث ٢٧١ حديثًا . (طبقات بن سعد حـ ٦ ص ٦) .

(١٠١) أسامة بن زيد حارثة ، من كنانة عوف ، أبو محمد ، صحابى جليل ولد بمكة ، ونشأ على الإسلام ، وكان رسول الله - ﷺ - يحبه حبًا جمًا وهاجر معه إلى المدينة ، ولما توفى رسول الله رحل إسامة إلى وادى القرى فسكنه ثم انتقل إلى دمشق فسكن المزة وعاد بعد إلى المدينة فأقام إلى أن مات بالجرف فى آخر خلافة معاوية سنة ٥٤ هـ له فى كتب الحديث ١٢٨ حديثًا . (طبقات بن سعد حـ ٤ ص ٤٢) .

(١٠٢) رافع بن خديج الأنصارى الأوسى الحارثى ، صحابى كان عريف قومه بالمدينة ، وشهد أحدًا والخندق توفى بالمدينة متأجرًا من جراحة عام ٧٤ هـ له ٧٨ حديثًا . (تهذيب التهذيب حـ ٣ ص ٢٢٩) .

(١٠٣) محمد بن مسلمة الأوسى الأنصارى الحارثى أبو عبد الرحمن ، صحابى من الأمراء من أهل المدينة ، شهد بدرًا وما بعدها إلا غزوة تبوك واستخلفه النبى على المدينة فى بعض غزواته وولاه عمر على صدقات جهينه واعتزل الفتنة فى أيام على فلم يشهد الجمل ولا صفين ، ومات بالمدينة عام ٤٣ هـ . (الاصابة ت ٧٨٠٨) .

(١٠٤) زيد بن ثابت الأنصارى الخزرجى أبو خارجة صحابى من أكابرهم ، كان كاتب الوحى ، ولد فى المدينة ونشأ بمكة وهاجر مع النبى وهو ابن ١١ سنة وتعلم وتفقه فى الدين فكان رأسًا بالمدينة فى القضاء والفتوى والقراءة والفرائض وكان عمر يستخلفه على المدينة إذا سافر ، أحد الذين جمعوا القرآن فى عهد النبى - ﷺ - له فى كتب الحديث ٩٢ حديثًا توفى سنة ٤٥ هـ . (الاصابة ت ٢٨٨٠) .

(١٠٥) أبو هريرة الدوسى صاحب رسول الله - ﷺ - يقال اسمه عبد الله بن عامر ويقال سكين بن دومة وقال أحمد بن حنبل اسم أبى هريرة عبد الله بن عبد شمس وقال عن نفسه كان اسمى فى الجاهلية عبد شمس فسميت فى الإسلام عبد الرحمن أسلم عام فتح خيبر ، توفى سنة ثمان وخمسين بالعقيق وصلى عليه الوليد بن عقبة . (الاستيعاب حـ ٤ ص ١٧٦٨ - ١٧٧٣) .

(١٠٦) أبو الدرداء : اسمه عويمر بن مالك بن زيد ، تأخر اسلامه قليلًا وكان فقهيًا عاقلًا حكيمًا شهد ما بعد أحد من المشاهد وولى القضاء لمعاوية فى خلافة عثمان وتوفى بالشام سنة ٣٣ هـ . (الاستيعاب حـ ٤ ص ١٦٤٦ وما بعدها) .

(١٠٧) فى (أ) : بزيادة (من) .

(١٠٨) سقط من (أ) كلمة (منهم) .

بين على وبين هؤلاء ؟ أو أحد منهم ؟ وإنما كان هؤلاء ومن جرى مجراهم لا يرون بيعة فى فرقة فلما أصفق المسلمون على ما أصفقوا عليه كائنا من كان دخلوا فى الجماعة ، وهكذا فعل من أدرك من هؤلاء ابن الزبير[١٠٩] رضى الله عنه ومروان[١١٠] فإنهم قعدوا عنهما فلما انفرد عبد الملك[١١١] ابن مروان بايعه من أدركه منهم لا رضا عنه ولا عداوة لابن الزبير ، ولا تفضيلا لعبد الملك على ابن الزبير لكن لما ذكرنا .

وهكذا كان أمرهم فى على ومعاوية ولا مزيد[١١٢] فلاحت نوكة هؤلاء المجانين ، والحمد لله رب العالمين .

قال أبو محمد : وهذا زيد بن حارثة[١١٣] قتل يوم بدر حنظلة بن أبى سفيان[١١٤] وهذا الزبير ابن العوام قتل يوم بدر أيضا عبيدة بن سعيد بن العاص[١١٥] وهذا عمر بن الخطاب قتل يومئذ العاص بن هشام[١١٦] بن المغيرة فهلا عاداهم أهل هؤلاء المقتولين ، وما الذى خص عليا بعداوة[١١٧] أولياء من قتل دون سائر من ذكرنا[١١٨] لولا جنون الرافضة وعدم الحياء من وجوههم .

ثم لو كان ما ذكروه حقا فما الذى كان دعا عمر إلى ادخاله فى الشورى مع من أدخله فيها ، ولو أخرجه منها كما أخرج سعيد بن زيد[١١٩]، أو قصد إلى رجل غيره فولاه ما اعترض عليه

---

(١٠٩) عبد الله بن الزبير بن العوام القرشى الأسدى ، أبو بكر فارس قريش فى زمنه ، وأول مولود فى المدينة بعد الهجرة ، شهد فتح أفريقيا زمن عثمان وبويع بالخلافة سنة ٦٤ هـ عقيب موت يزيد بن معاوية ، قتل بمكة عام ٧٣ هـ . (راجع ترجمة له وافية فى ابن الأثير جـ ٤ ص ١٣٥) .

(١١٠) مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أميه بن عبد شمس بن عبد مناف ، خليفة أموى وإليه ينسب بنو مروان ، ولد بمكة ونشأ بالطائف وسكن المدينة شهد صفين مع معاوية ، توفى بالطاعون ، وقيل قتلته زوجته أم خالد مدة حكمة تسعة أشهر و ١٨ يومًا وهو أول من ضرب الدنانير الشامية وكتب عليها (قل هو الله أحد) . (الاصابة ت ٨٣٢٠) .

(١١١) عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموى القرشى أبو الوليد ، نشأ فى المدينة فقيهًا واسع العلم متعبدًا ناسكًا وشهد يوم الدار مع أبيه واستعمله معاوية على المدينة وهو ابن ١٦ سنة وانتقلت إليه الخلافة بموت أبيه سنة ٦٥ هـ ونقش خاتمه (آمنت بالله مخلصًا) توفى فى دمشق سنة ٨٦ هـ . (ابن الأثير جـ ٤ ص ١٩٨) .

(١١٢) سقط من (أ) كلمة (ولا مزيد) .

(١١٣) راجع ترجمة زيد بن حارثه ص ٥٦ من هذا الجزء .

(١١٤) حنظلة بن أبى سفيان صخر بن حرب الأموى القرشى : جاهلى من الشجعان الأشداء القساة ، أدرك الإسلام وكان شديد الأذى للمسلمين واشترك فى غزوة بدر ضد المسلمين فقتل فيها عام ٢ هـ . (الروض الأنف : ٢ : ٢٤١) .

(١١٥) عبيده بن سعيد بن العاص بن أميه أحد المشركين الذين وقفوا فى وجه الدعوة الإسلامية واشتركوا فى غزوة بدر وقتل فيها عام ٢ هـ . (راجع سيرة بن هشام فى غزوة بدر) .

(١١٦) العاص (أبو العاص) بن هشام بن المغيرة المخزومى : أخو أبو جهل ، كان ينادمه فى الجاهلية العاص بن سعيد بن العاص بن أمية ، ويقال لهما (أحمقا قريش) وقتلا يوم بدر على الشرك قتل الأول عمر بن الخطاب والثانى على بن أبى طالب عام ٢ ه .

(١١٧) سقط من (أ) (بعداوة) .

(١١٨) فى (أ) : من قلنا .

(١١٩) سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوى القرشى أبو الأعور صحابى من خيارهم ، هاجر إلى المدينة وشهد المشاهد كلها إلا بدرًا وكان غائبًا فى مهمة أرسله بها النبى - ﷺ - وهو أحد العشرة المبشرين ، وكان من ذوى الرأى والبسالة وشهد اليرموك وحصار دمشق توفى بالمدينة عام ٥١ هـ وله فى كتب الحديث ٤٨ حديثًا .

أحد فى ذلك بكلمة ، فصح ضرورة بكل ما ذكرنا أن القوم أنزلوه منزلته غير عالين ولا مقصرين رضى الله عنهم أجمعين ، وأنهم قدموا الأحق ، فالأحق ، والأفضل ، فالأفضل وساووه بنظرائه منهم ، ثم أوضح برهان وأبين بيان فى بطلان أكاذيب الرافضة أن عليا رضى الله عنه إذ[١٢٠] دعى إلى نفسه بعد قتل عثمان رضى الله عنه سارعت طوائف من[١٢١] المهاجرين والأنصار إلى بيعته ، فهل ذكر أحد من الناس أن أحدا منهم اعتذر إليه مما سلف من بيعتهم لأبى بكر وعمر وعثمان ، أو هل تاب أحد منهم من جحدهم للنص على إمامته ، أو قال أحد منهم : لقد ذكرت هذا النص الذى كنت انسيته فى أمر هذا الرجل ان عقولا خفى عليها هذا الظاهر اللائح لعقول مخذولة لم يرد الله أن يهديها ثم مات عمر رضى الله عنه وترك الأمر شورى بين ستة من الصحابة ، علىّ أحدهم ولم يكن فى تلك الأيام الثلاثة سلطان يُخاف ولا رئيس يتوقى ولا مخافة من أحد ، ولا جند معد للتغلب أفترى لو كان لعلى رضى الله عنه حق ظاهر يختص به من نص عليه من رسول الله ﷺ أو من فضل بائن على من معه ينفرد به عنهم أما كان الواجب على على أن يقول أيها الناس كم هذا الظلم لى وكم هذا الكتمان بحقى ؟ وكم هذا الجحد لنص رسول الله ﷺ ..؟ وكم هذا الإعراض عن فضلى البائن على هؤلاء المقرونين لى ؟ فإذ لم يفعل لا ندرى لماذا ..؟

أما كان فى بنى هاشم أحد له دين يقول هذا الكلام ..؟ أما العباس عمه وجميع العاملين على توقيره وتعظيمه حتى إن عمر توسل به إلى الله تعالى بحضرة الناس فى الاستسقاء .

وأما أحد بنيه ، وأما عقيل أخوه ، وأما أحد بنى جعفر أخيه ، أو غيرهم ، فإذ لم يكن فى بنى هاشم أحد يتقى الله عز وجل ، ولا يأخذه فى قول الحق مداهنة .

أما كان فى جميع أهل الإسلام من المهاجرين ، والأنصار وغيرهم واحد يقول : يا معشر المسلمين قد زالت الرقبة وهذا على له حق واجب بالنص وله بائن ظاهر لا يمترى فيه فبايعوه فأمره بين ان اصفاق جميع الأمة أولها عن آخرها من برقة[١٢٢] إلى أول[١٢٣] خراسان ، ومن الجزيرة إلى أقصى اليمن ، إذ بلغهم الخبر على السكوت عن حق هذا الرجل ، واتفاقهم على ظلمه ومنعه من حقه ، وليس هناك شىء يخافونه لاحدى عجائب المحال الممتنع ، وفيهم الذين بايعوه بعد ذلك ، إذ صار الحق حقه ، وقتلوا أنفسهم دونه ، فأين كانوا عن إظهار ما تنبهت له الروافض الإنذال ؟ ثم العجب إذ كان غيظهم عليه هذا الغيظ ، واتفاقهم على جحده حقه هذا الاتفاق ، كيف تورعوا عن قتله ليستريحوا منه ؟ أم كيف اكرموه وبروه وأدخلوه فى الشورى .؟

---

(١٢٠) فى (أ) : لما .
(١٢١) سقط من (أ) (من) .
(١٢٢) إقليم من أقاليم ليبيا الآن وعاصمتها (بنغازى) .
(١٢٣) سقط من (أ) أول .

وقال هشام بن الحكم : كيف يحسن الظن بالصحابة أن لا يكتموا النص على علىّ وهم قد اقتتلوا وقتل بعضهم بعضا فهل يحسن بهم الظن فى هذا .

قال أبو محمد : لو علم الفاسق أن هذا القول منه[١٢٤] أعظم حجة عليه لم ينطق بهذا السخف ، لأن على بن أبى طالب رضى الله عنه أول من قاتل حيث[١٢٥] افترق الناس ، فكل ما لحق المقتتلين منهم من حسن الظن بهم أو من سوء الظن بهم فهو لاحق بعلى فى قتاله ، ولا فرق بينه وبين سائر الصحابة فى ذلك كله – وبالله تعالى التوفيق .

فإن خصه متحكمًا كان كمن خص غيره منهم متحكما ولا فرق .

وأيضا فإن قتالهم[١٢٦] رضى الله عنهم أوكد برهان على أنهم لم يغاروا على ما رأوه باطلا ، بل قاتل كل فريق منهم على ما رآه حقا ، ورضى بالموت دون الصبر على خلاف ما عنده ، وطائفة منهم قعدت إذا لم تر الحق فى القتال فدل ذلك[١٢٧] على أنه لو كان عندهم نص على علىّ أو عند واحد منهم لأظهروه ، أو لأظهره كما أظهروا ما رأوا أن يبذلوا أنفسهم للقتال والموت دونه .

فإن قالوا : قد أقررتم أنه لابد من إمام فبأى شىء يعرف الإمام ..؟ لاسيما وأنتم خاصة معشر أهل الظاهر [الذين لا يقولون][١٢٨] الا بنص قرآن ، أو خبر صحيح ، وهذا أيضا مما سألنا عنه أصحاب القياس والرأى .

قال أبو محمد : فجوابنا وبالله تعالى التوفيق : أن رسول الله ﷺ نص على وجوب الإمامة ، وأنه لا يحل بقاء ليلة دون بيعة ، وافترض علينا بنص قوله : « الْطَّاعَةُ لِلْقُرَشِى إِمَامًا وَاحِدًا لا يُنَازَع إِذَا قَادَنَا بِكِتَابِ الله عَزَّ وَجَلَّ[١٢٩] » .

فصح من هذه النصوص النص على صفة الإمام الواجب طاعته ، كما صح النص على صفة الشهود فى الأحكام ، وصفة المساكين والفقراء ، الواجب لهم الزكاة ، وصفة من يؤم فى الصلاة ، وصفة من يجوز نكاحها من النساء ، وكذلك سائر الشريعة كلها ، ولا يحتاج إلى ذكر الأسماء ، إذ لم يكلفنا الله عز وجل ذلك فكل قرشى بالغ عاقل بادر إثر موت الإمام الذى لم يعهد إلى أحد فبايعه واحد فصاعدا فهو الإمام الواجب طاعته ما قادنا بكتاب الله تعالى وبسنة رسول الله ﷺ ،

---

(١٢٤) سقط من (أ) (منه) .

(١٢٥) فى (أ) : حين .

(١٢٦) فى (خ) : قتالهم .

(١٢٧) سقط من (أ) كلمة ذلك .

(١٢٨) سقط من (أ) ما بين القوسين .

(١٢٩) يراجع مسلم فى الأمارة ٣٦ والنسائى فى البيعة ، وأحمد بن حنبل فى المسند حـ ٤ ص ٦٩ ، حـ ٥ ، ٢٨١ ، حـ ٦ ، ٤٠٢ ، ولفظه عند مسلم : ولو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله فاسمعوا له وأطيعوا . ولا يوجد ذكر للقرشى .

الذى أمر الكتاب باتباعها فإن زاغ عن شيء منهما منع من ذلك وأقيم عليه الحد ، والحق فإن لم يؤمن أذاه إلا بخلعه خلع وولى غيره منهم .

فإن قالوا : قد اختلف الناس فى تأويل القران والسنة [قلنا نعم وقد أمرنا الله تعالى بالرجوع عند التنازع إلى ظاهر القرآن والسنة](١٣٠) ومنع من تأويلهما بغير نص آخر .

قلنا : إن التأويل الذى لم يقع عليه برهان تحريف للكلم عن مواضعه ، وقد جاء النص بالمنع من ذلك وليس الاختلاف حجة ، وإنما الحجة فى نص القرآن والسنن ، وما اقتضاه لفظهما العربى الذى خوطبنا به ، وبه ألزمتنا الشريعة .

قال أبو محمد : ثم نسألهم فنقول لهم : إن عمدة احتجاجكم فى إيجاب امامتكم التى تدعيها جميع فرقكم إنما هى وجهان فقط ، أحدهما : النص عليه بإسمه والثانى : شدة الفاقة إليه فى بيان الشريعة إذ علمها عنده لا عند غيره ولا مزيد ، فأخبرونى بأى شيء صار محمد بن على ابن الحسين أولى بالإمامة من اخوته زيد وعمرو وعبد الله وعلى والحسين ؟ فإن ادعوا نصا من أبيهم عليه أو من النبى ﷺ أنه الباقر(١٣١) لم يكن ذلك ببدع من كذبهم ، ولم يكونوا أولى بتلك الدعوى من الكيسانية . فى دعواهم النص على ابن الحنفية(١٣٢)، وإن ادعوا أنه كان أفضل من اخوته كانت أيضا دعوى بلا برهان والفضل لا يقطع على ما عند الله عز وجل فيه بما يبدو من الإنسان ، فقد يكون باطنه خلاف ظاهره ، وكذلك يسألون أيضا ما الذى جعل موسى بن جعفر إولى بالإمامة من أخيه محمد أو إسحاق أو على ؟ فلا يجدون إلى غير الدعوى سبيلا ، وكذلك أيضا يسألون ما الذى خص على بن موسى بالإمامة دون اخوته وهم سبعة عشر ذكرًا ! فلا يجدون شيئا غير الدعوى وكذلك يسألون ما الذى جعل محمد بن على بن موسى أولى بالإمامة من أخيه على ابن على ؟ وما الذى جعل على بن محمد أولى بالإمامة من أخيه موسى بن محمد ؟ وما الذى جعل الحسن بن على بن محمد بن على بن موسى أحق بالإمامة من أخيه جعفر بن على ؟ فهل هاهنا شيء غير الدعوى الكاذبة التى(١٣٣) لا حياء لصاحبها والتى لو ادعى مثلها مدع للحسن بن الحسن أو لعبد الله بن الحسن ، أو لأخيه الحسن بن الحسن ، أو لابن أخيه على بن الحسن أو لمحمد

---

(١٣٠) ما بين القوسين سقط من (أ) .

(١٣١) محمد بن على زين العابدين بن الحسين الطالبى القرشى ، أبو جعفر الباقر ، خامس الأئمة الاثنى عشر عند الإمامية له فى العلم وتفسير القرآن آراء وأقوال . ولد بالمدينة وتوفى بالحميمة عام ١١٤ هـ حلية الأولياء حـ ٣ ص ١٨٠

(١٣٢) محمد بن على بن أبى طالب أبو القاسم المعروف بابن الحنفية أحد الأبطال الأشداء فى صدر الإسلام وهو أخو الحسن والحسين ، أمه خوله بنت جعفر الحنفية كانت الكيسانية تزعم أنه لم يمت وأنه مقيم برضوى مولده بالمدينة توفى سنة ٨١ هـ (طبقات ابن سعد حـ ٣ ص ٥٧ – ٦٦) .

(١٣٣) فى (أ) : الذى .

ابن عبد الله القائم بالمدينة ، أو لأخيه ابراهيم أو لرجل من ولد العباس ، أو من بنى أميه ، أو من أى قوم من الناس كان ، لساواهم فى الحماقة ، ومثل هذا لا يشتغل به من له مسكة من عقل ، أو منحة من دين ، ولو قلّت : أو رقعة من الحياء ، فبطل وجه النص ، وأما وجه الحاجة إليه فى بيان الشريعة فما ظهر قط من أكثر أئمتهم بيان لشىء مما اختلف فيه الناس ، وما بأيديهم من ذلك شىء ، الا دعاوى مفتعلة قد اختلفوا أيضا فيها كما اختلف غيرهم من الفرق سواء سواء ، إلا أنهم أسوأ حالا من غيرهم لأن كل من قلد انسانا كأصحاب أبى حنيفة لأبى حنيفة ، وأصحاب مالك[١٣٤] لمالك ، وأصحاب الشافعى للشافعى ، وأصحاب أحمد لأحمد . فإن هؤلاء المذكورين أصحابًا مشاهير نقلت عنهم أقوال صاحبهم ، ونقلوها هم عنه ، ولا سبيل إلى اتصال خبر عندهم ظاهر مكشوف يضطر الخصم إلى أن هذا قول موسى بن جعفر ، ولا أنه قول على ابن موسى ، ولا أنه قول محمد بن على بن موسى ، ولا أنه قول على بن محمد ولا أنه قول الحسن ابن على ، وأما من بعد الحسن بن على فعدم بالكلية وحماقة ظاهرة ، وأما من قبل موسى ابن جعفر ، فلو جمع كل ما روى فى الفقه عن الحسن ، والحسين رضى الله عنهما [وعن على ابن الحسين وعن محمد بن على وعن جعفر بن محمد رضى الله عنهم][١٣٥] لما بلغ عشر أوراق .

فما ترى المصلحة التى يدعونها فى إمامهم ظهرت ولا نفع الله تعالى بها قط فى علم ولا عمل ، ولا عندهم ولا عند غيرهم ، ولا ظهر منهم بعد الحسين رضى الله عنه من هؤلاء الذين سموا أحدًا ولا أمر منهم أحد قط بمعروف معلن ، وقد قرأنا صفة هؤلاء المخاذيل المنتمين إلى الإمامية القائلين بأن الدين عند أئمتهم ، فما رأينا إلا دعاوى باردة ، وآراء فاسدة ، كأسخف ما يكون من الأقوال ، ولا يخلو هؤلاء الأئمة الذين يذكرون من أن يكونوا مأمورين بالسكوت ، أو مفسوحًا لهم فيه ، فإن يكونوا مأمورين بالسكوت فقد أبيح للناس البقاء فى الضلال ، وسقطت الحجة فى الديانة عن جميع الناس ، وبطل الدين ، ولم يلزم فرض الإسلام ، وهذا كفر مجرد .

وهم لا يقولون بهذا .

أو يكونوا مأمورين بالكلام والبيان ، فقد عصوا الله إذ سكتوا وبطلت إمامتهم .

وقد لجأ بعضهم إذ سئلوا عن صحة دعواهم فى الأئمة إلى أن ادعوا الالهام فى ذلك ، فإذ قد صاروا إلى هذا الشغب فإنه لا يضيق عن أحد من الناس ولا يعجز خصومهم عن أن يدعوا أنهم ألهموا بطلان دعواهم .

---

(١٣٤) مالك بن أنس بن مالك الأصبحى الحميرى ، أبو عبد الله ، إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة ، وإليه تنسب المالكية مولده سنة ٩٣ هـ ووفاته بالمدينة ١٧٩ هـ من مصنفاته الموطأ ، ورسالة فى الرد على القدرية . (راجع الوفيات حـ ١ ص ٤٣٩) .
(١٣٥) ما بين القوسين سقط من (أ) .

قال هشام بن الحكم : لابد أن يكون فى إخوة الإمام آفات يبين بها أنهم لا يستحقون الإمامة .

قال أبو محمد : وهذه دعوى مردودة تزيد فى الحماقة ، ولا ندرى فى زيد ، وعمرو ، وعبد الله ، والحسن ، وعلى بن على بن الحسين ، آفات تمنع إلا أن الحسن أخا زيد ومحمد كان أعرج وما علمنا أن العرج عيب يمنع من الإمامة ، إنما هو عيب فى العبيد المتخذين للمشى ، وما يعجز خصومهم أن يدعوا فى محمد بن على وفى جعفر بن محمد وفى سائر أئمتهم تلك الآفات التى ادعاها هشام لاخوتهم ، ثم إن بعض أئمتهم المذكورين مات أبوه وهو ابن ثلاث سنين . فنسألهم من أين علم هذا الصغير جميع علوم[١٣٦] الشريعة ؟ وقد عدم توقيف أبيه له عليها لصغره ؟ فلم يبق إلا أن يدعوا له الوحى فهذه نبوة ، وكفر صريح ، وهم لا يبلغون إلى أن يدعوا له النبوة وأن يدعوا له معجزة تصحح قوله .

فهذه دعوى باطلة ، ما ظهر منها قط شيء ، أو يدعوا له الالهام فما يعجز أحد عن هذه الدعوى .

قال أبو محمد : ولو لم يكن من الحجة على أن الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء ويزين لكل أمة عملها إلا وجود من يعتقد هذه الأقوال السخيفة لكان أقوى حجة وأوضح برهان ، وإلا فما خلق الله عز وجل[١٣٧] عقلا يسع فيه مثل هذه الحماقات ، والحمد لله على عظيم منته علينا ، وهو المسئول منه دوامها بمنه آمين .

قال أبو محمد : وأيضا فلو كان الأمر فى الإمامة على ما يقول هؤلاء السخفاء لما كان الحسن رضى الله عنه فى سعة من أن يسلمها إلى[١٣٨] معاوية رضى الله عنه فيعينه على الضلال ، وعلى ابطال الحق ، وهدم الدين ، فيكون شريكه فى كل مظلمة ، ويبطل عهد رسول الله ﷺ ويوافقه على ذلك الحسين أخوه رضى الله عنهما ، فما نقض قط بيعة معاوية إلى أن مات ، فكيف استحل الحسن والحسين رضى الله عنهما إبطال عهد رسول الله ﷺ اليهما طائعين غير مكرهين ؟ فلما مات معاوية قام الحسين يطلب حقه إذ رأى أنها بيعة ضلالة ، فلولا أنه رأى بيعة معاوية حقًّا لما سلمها له ، ولفعل كما فعل بيزيد ، إذ ولى يزيد هذا ما لا يمترى فيه ذو إنصاف هذا ومع الحسن أزيد من مائة ألف عنان يموتون دونه ، فتالله لولا أن الحسن رضى الله عنه علم أنه فى سعة من

---

(١٣٦) فى (أ) : علم .
(١٣٧) سقط من (أ) عز وجل .
(١٣٨) سقط من (أ) (إلى) .

اسلامها إلى معاوية ، وفى سعة من أن لا يسلمها لما جمع بين الأمرين فأمسكها ستة أشهر لنفسه وهى حقه ، وسلمها بعد ذلك لغير ضرورة وذلك له مباح ، بل هو الأفضل بلا شك ، لأن جده رسول الله ﷺ قد خطب بذلك على المنبر [بحضرة المسلمين وأراهم الحسن معه على المنبر][١٣٩] وقال : « إِنَّ ابْنِى هَذَا سَيِّد وَلَعَلَّ الله أَنْ يُصْلِحَ بَهِ بين طائِفَتَيْن عَظِيَمتينَ مِنْ الْمُسْلِمينَ » رويناه من طريق البخارى[١٤٠].

حدثنا صدقة ، أنبأنا ابن عينيه ، أنا الحسن ، سمع أبا بكر يقول إنه سمع ذلك وشهده من رسول الله ﷺ وهذا من إعلامه ﷺ وإنذاره بالغيوب التى لا تعلم البتة إلا بالوحى .

وقد امتنع زياد[١٤١] وهو فقعة القاع لا عشيرة ولا نسب ولا سابقة ولا قدم فما أطاقه معاوية إلا بالمدارة وحتى أرضاه وولاه .

فإن ادعوا أنه قد كان فى ذلك عند الحسن عهد فقد كفروا لأن رسول الله ﷺ لا يأمر أحدًا بالعون على إطفاء نور الإسلام بالكفر ، وعلى نقض عهود الله تعالى بالباطل عن غير ضرورة ولا اكراه ، وهذه صفة الحسن والحسين رضى الله عنهما ، عند الروافض .

واحتج بعض الإمامية وجميع الزيدية بأن عليا كان أحق الناس بالإمامة لبينونة فضله على جميعهم ، ولكثرة فضائله دونهم .

قال أبو محمد : وهذا يقع الكلام فيه إن شاء الله تعالى فى الكلام فى المفاضلة بين أصحاب رسول الله ﷺ ، وإنما الكلام هاهنا فى الإمامة فقط ، فنقول : وبالله تعالى التوفيق .

هبكم أنكم وجدتم لعلى رضى الله عنه فضائل معلومة ، كالسبق إلى الإسلام والجهاد مع رسول الله ﷺ ، وسعة العلم ، والزهد ، فهل وجدتم مثل ذلك للحسن والحسين رضى الله عنهما ؟ حتى أوجبتم لهما بذلك فضلا فى شىء مما ذكرنا على سعد بن أبى وقاص ، وسعيد بن زيد وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن العباس ؟ هذا ما لا يقدر أحد على أن يدعى لهما فيه كلمة فما فوقها يعنى مما يكونان به فوق من قد ذكرنا فى شىء من هذه الفضائل ، فلم يبق إلا دعوى النص عليهما ، وهذا ما لا يعجز عن مثله أحد ، ولو استجازت الخوارج التوقح بالكذب فى

---

(١٣٩) فى (أ) : سقط ما بين القوسين .

(١٤٠) الحديث رواه البخارى فى الصلح ٩ وفى فضائل أصحاب النبى – ٢٣ والفتن ٣٠ والمناقب ٣٥ وأبو داود فى السنة ١٢ والمهدى ٨ والترمذى فى المناقب ٣٠ والنسائى ٢٧ ولفظه عند أبى داود : إن ابنى هذا سيدا وإنى أرجو أن يصلح الله به بين فئتين من أمتى .

(١٤١) زياد بن أبيه أمير من الدهاة القادة الفاتحين الولاة ، من أهل الطائف اختلفوا فى اسم أبيه ، فقيل عبيد الثقفى وقيل أبو سفين ولدته اسمه سمية جارية الحارث بن كلدة الثقفى . أسلم فى عهد أبى بكر الصديق وكان كاتبًا للمغيرة بن شعبة ولاه على بن أبى طالب امرة فارس ولما مات على استرضاه معاوية وألحقه بأبيه سنة ٤٤ هـ وولاه البصرة والكوفة وسائر العراق مات سنة ٥٣ هـ . (تاريخ الطبرى حـ ٦ ص ١٦٢) .

دعوى النص على عبد الله بن وهب الراسبى(١٤٢)، لما كانوا إلا مثل الرافضة فى ذلك سواء بسواء ، ولو استحلت الأموية أن تجاهر بالكذب فى دعوى النص على معاوية لكان أمرهم فى ذلك أقوى من أمر الرافضة ، لقوله تعالى : ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل إنه كان منصورا(١٤٣)» ولكن كل أمة ما عدا الرافضة والنصارى فإنها تستحى وتصون أنفسها عما لا تصون النصارى والروافض أنفسهم عنه من الكذب الفاضح(١٤٤) البارد وقلة الحياء ، فيما يأتون به . ونعوذ بالله من الخذلان .

قال أبو محمد : وكذلك لا يجدون لعلى بن الحسين بسوقا فى علم ، ولا فى عمل على سعيد ابن المسيب(١٤٥)، والقاسم بن محمد(١٤٦)، وسالم بن عبد الله بن عمر(١٤٧)، وعروة بن الزبير(١٤٨)، ولا على أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام(١٤٩)، ولا على ابن عمه الحسن بن الحسن ، وكذلك لا يجدون لمحمد بن على بن الحسين بسوقا فى علم ولا فى عمل ولا ورع على عبد الرحمن ابن القاسم بن محمد(١٥٠)، ولا على محمد بن عمرو بن أبى بكر بن المنكدر(١٥١)، ولا على أبى سلمة ابن عبد الرحمن بن عوف(١٥٢)، ولا على أخيه زيد بن على ، ولا على عبد الله الحسن بن الحسن ابن على ولا على عمر بن عبد العزيز ، وكذلك لا يجدون لجعفر بن محمد بسوقا فى علم ولا فى دين

---

(١٤٢) عبد الله بن وهب الراسبى من الأزد من أئمة الأباضية ، كان ذا علم وارى وفصاحة وشجاعة ، أدرك النبى - ﷺ - وشهد فتح العراق مع سعد بن أبى وقاص ثم كان مع على فى حروبه ، ولما وقع التحكيم أنكره جماعة منهم الراسبى ، قتل فى موقعة النهروان عام ٣٨ هـ . (الكامل للمبرد حـ ٢ ص ١٩) .

(١٤٣) سورة الإسراء آية رقم ٣٣

(١٤٤) سقط من (خ) (الفاضح) .

(١٤٥) سعيد بن المسيب راجع ترجمته فى طبقات ابن سعد حـ ٥ ص ٨٨ .

(١٤٦) القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق أبو محمد أحد الفقهاء السبعة فى المدينة ، ولد فيها وتوفى بقديد (بين مكة والمدينة) عام ١٠٧ هـ حاجًا أو معتمرًا وكان صالحًا ثقة من سادات التابعين عمى فى أواخر أيامه ، قال ابن عيينه : كان القاسم أفضل أهل زمانه . (حلية الأولياء حـ ٢ ص ١٨٣) .

(١٤٧) سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشى العدوى ، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، ومن سادات التابعين وعلمائهم وثقاتهم دخل على سليمان بن عبد الملك فمازال سليمان يرحب به ويرفعه حتى أقعده معه على سريره توفى بالمدينة سنة ١٠٦ هـ . (تهذيب التهذيب حـ ٣ ص ٤٣٦) .

(١٤٨) عروة بن الزبير بن العوام الأسدى القرشى أبو عبد الله أحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، كان عالمًا بالدين ، صالحًا كريمًا لم يدخل فى شىء من الفتن وانتقل إلى البصرة ، ثم إلى مصر فتزوج وأقام بها سبع سنين ، وعاد إلى المدينة فتوفى بها عام ٩٣ هـ . (وفيات الأعيان حـ ١ ص ٣١٦) .

(١٤٩) أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومى القرشى ، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، كان من سادات التابعين ويلقب براهب قريش توفى بالمدينة وكان مكفوفًا ، ولد فى خلافة عمر وتوفى ٩٤ هـ . (وفيات الأعيان حـ ١ ص ٩٢) .

(١٥٠) عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق التيمى القرشى أبو محمد من سادات أهل المدينة فقهًا وحلمًا وأدبًا وحفظًا للحديث توفى بالشام عام ١٢٦ هـ . (تهذيب التهذيب حـ ٦ ص ٢٥٥) .

(١٥١) هو محمد بن عمر بن أبى بكر بن المنكدر بن عبد الله من تيم بن مرة .

(١٥٢) أبو سلمة عبد الرحمن بن عوف ، أمه تماضر بنت الاصنع بن عمرو روى عن أبيه ، وعن زيد بن ثابت وابى قتاده وجابر بن عبد الله وعائشة وأم سلمة ، وكان ثقة فقهيًا كثير الحديث وتوفى بالمدينة سنة ٩٤ هـ فى خلافة الوليد بن عبد الملك وهو ابن ٧٢ سنة . (طبقات بن سعد حـ ٥ ص ١٥٥) .

ولا فى عمل على محمد بن مسلم الزهرى(١٥٣)، ولا على ابن أبى ذؤيب(١٥٤)، ولا على عبد الله ابن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر(١٥٥)، ولا على عبيد الله بن عمرو بن حفص بن عاصم ابن عمر(١٥٦)، ولا على ابنى عمه محمد بن عبد العزيز بن الحسن بن الحسن ، وعلى بن الحسن ابن الحسن بل كل من ذكرنا فوقه فى العلم والزهد ، وكلهم أرفع محلا فى الفتيا والحديث لا يمنع أحد منهم من شىء من ذلك وهذا ابن عباس رضى الله عنه قد جمع فقهه فى عشرين كتابا ، ويبلغ حديثه نحو ذلك إذا تقصى ولا تبلغ فتيا الحسن والحسين ورقتين ، ويبلغ حديثهما ورقة أو ورقتين ، وكذلك على بن الحسين إلا أن محمد بن على يبلغ حديثه وفتياه جزءً صغيرا ، وكذلك جعفر ابن محمد وهم يقولون إن الإمام عنده جميع علم الشريعة ، فما بال من ذكرنا أظهروا بعض ذلك وهو الأقل الأنقص(١٥٧)، وكتموا سائره وهو الأكثر الأعظم ، فإن كان فرضهم الكتمان فقد خالفوا الحق إذا أعلنوا ما أعلنوا ، وإن كان فرضهم البيان فقد خالفوا الحق إذ كتموا ما كتموا ، وأما من بعد جعفر بن محمد فما عرفنا لهم علما أصلا لا من رواية ولا من فتيا على قرب عهدهم منا ، ولو كان عندهم من ذلك شىء لعرف كما عرف عن محمد بن على وابنه جعفر وعن غيره منهم ممن حدث الناس عنه فبطلت دعواهم الظاهرة الكاذبة اللائحة السخيفة ، التى هى من خرافات السمر ، ومضاحك السخفاء ، فإن رجعوا إلى ادعاء المعجزات لهم قلنا لهم : إن المعجزات لا تثبت إلا بنقل التواتر لا بنقل الآحاد الثقات فكيف بتولد الوقحاء الكذابين الذين لا يُدرى من هم ، وقد وجدنا من يروى لبشر الحافى(١٥٨) وشيبان الراعى(١٥٩) ورابعة العدوية(١٦٠) أضعاف ما يدعونه من الكذب لأئمتهم وأظهر وأفشى ، وكل ذلك حماقة لا يشتغل ذو دين ولا ذو عقل بها ونحمد الله على السلامة ، فإذ قد بطل كل ما يدعونه ولله تعالى الحمد فلنقل على الإمامة بعد رسول الله ﷺ بالبرهان وبالله تعالى نتأيد .

---

(١٥٣) محمد بن مسلم الزهرى من بنى زهرة بن كلاب من قريش أول من دون الحديث وأحد كبار الحفاظ والفقهاء تابعى من أهل المدينة قال عمر بن عبد العزيز عليكم بابن شهاب فانكم لا تجدون أحدًا أعلم بالسنة الماضية منه مات بشغب آخر حد للحجاز وأول حد فلسطين سنة ١٢٤ هـ . (تذكرة الحفاظ حـ ١ ص ١٠٢) .

(١٥٤) هو ابن أبى ذؤيب الشاعر المخضرم الذى أسلم ، وخرج مع عبد الله بن أبى سرح لفتح أفريقية سنة ٦٤٧ م ، فى زمن عثمان .

(١٥٥) هو عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب روى عن النبى – ﷺ – مرسلًا قال النسائى ثقة ، وذكره ابن حيان فى الثقات توفى سنة ١٨٤ هـ (تهذيب التهذيب ٣٠٢/٥ وما بعدها بتصرف) .

(١٥٦) عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم ابن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب العدوى المدنى ، أبو عثمان أحد الفقهاء السبعة والعلماء الأثبات بالمدينة ، كان من ساداتها ومن أشرف قريش توفى بالمدينة سنة ١٤٧ هـ . (تذكرة الحفاظ حـ ١ ص ١٥١) .

(١٥٧) فى (خ) : الأنقه .

(١٥٨) بشر الحافى بن الحارث بن على بن عبد الرحمن المروزى أبو نصر من كبار الصالحين له فى الزهد والورع أخبار من أهل مرو سكن بغداد وتوفى بها سنة ٢٢٧ هـ . (وفيات الأعيان حـ ١ ص ٩٠) .

(١٥٩) شيبان الراعى .

(١٦٠) رابعة العدوية : رابعة بنت إسماعيل ، أم الخير مولاة آل عتيك البصرية ، صالحة مشهورة من أهل البصرة لها أخبار فى العبادة والنسك ولها شعر وفاتها سنة ١٣٥ هـ . (وفيات الأعيان حـ ١ ص ١٨٢) .

« الإمامة بعد الرسول »

قال أبو محمد : قد اختلف الناس فى هذا فقالت طائفة إن النبى ﷺ لم يستخلف أحدًا ، ثم اختلفوا . فقال بعضهم : لكن لما استخلف أبا بكر رضى الله عنه على الصلاة كان ذلك دليلًا على أنه أولاهم بالإمامة ، والخلافة على الأمور ، وقال بعضهم : لا . ولكن كان أبينهم فضلا فقدموه لذلك ، وقالت طائفة : بل نص رسول الله ﷺ على استخلاف أبى بكر بعده على أمور الناس نصا جليا .

قال أبو محمد : وبهذا نقول لبراهين أحدها : إطباق الناس كلهم وهم الذين قال الله تعالى فيهم : للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون[١٦١]» فقد أصفق هؤلاء الذين شهد الله لهم بالصدق وجميع إخوانهم من الأنصار رضى الله عنهم على أن سموه خليفة رسول الله ﷺ ومعنى الخليفة فى اللغة هو الذى يستخلفه المرء[١٦٢] لا الذى يخلفه دون أن يستخلفه هو ، لا يجوز غير هذا البتة فى اللغة بلا خلاف .

تقول استخلف فلان فلانا يستخلفه فهو خليفه ، ومستخلفه فإن قام مكانه دون أن يستخلفه هو لم يقل إلا خلف فلان فلانا يخلفه فهو خالف ، ومحال أن يعنوا بذلك الاستخلاف على الصلاة لوجهين ضروريين أحدهما : أنه لم يستحق أبو بكر [رضى الله عنه قط][١٦٣] هذا الاسم على الإطلاق فى حياة رسول الله ﷺ ، وهو حينئذ خليفته على الصلاة ، فصح يقينا أن خلافته المسمى هو بها هى غير خلافته على الصلاة .

والثانى : أن كل من استخلفه رسول الله ﷺ فى حياته كعلى فى غزوة تبوك ، وابن أم مكتوم[١٦٤] فى غزوة الخندق ، وعثمان بن عفان فى غزوة ذات الرقاع[١٦٥]، وسائر من استخلفه على

---

(١٦١) سورة الحشر آية رقم ٨

(١٦٢) سقط من (أ) كلمة : المرء .

(١٦٣) ما بين القوسين سقط من (أ) .

(١٦٤) ابن أم مكتوم : اسمه عبد الله وأهل العراق يقولون اسمه عمرو ، وامه عاتكة وهى ام مكتوم بنت عبد الله بن عنكشة ، اسلم بمكة قديمًا وكان ضرير البصر ، وقدم المدينة مهاجرًا بعد بدر بيسير وكان يؤذن للنبى - ﷺ - بالمدينة مع بلال ، اشترك فى معركة القادسية ومات بالمدينة . (طبقات بن سعد حـ ٤ ص ٢٠٥ - ٢١٢) .

(١٦٥) غزوة ذات الرقاع ، كانت على رأس سبعة وأربعين شهرًا من مُهاجره وكان من خبرها أن قدم إلى المدينة قادم وأخبر أصحاب رسول الله ﷺ أن أنمارًا وثعلبه قد جمعوا لهم الجموع فبلغ ذلك رسول الله - ﷺ - فاستخلف على المدينة عثمان بن عفان وخرج فى أربعمائة أصحابه فمضى حتى أتى محالهم بذات الرقاع فهربوا إلى رءوس الجبال وفيها صلى المسلمون صلاة الخوف ، ورجع الرسول إلى المدينة . (راجع التفاصيل لهذه الغزوة كاملة فى طبقات بن سعد حـ ٢ ص ٦١) .

البلاد باليمن والبحرين والطائف وغيرها ، لم يستحق أحد منهم قط بلا خلاف من أحد من الأمة أن يسمى خليفة رسول الله ﷺ على الإطلاق .

فصح يقينا بالضرورة التى لا محيد عنها أنها للخلافة بعده على أمته ومن الممتنع أن يجمعوا على ذلك ، وهو عليه السلام لم يستخلفه نصا ولو لم يكن هاهنا إلا استخلافه إياه على الصلاة ما كان أبو بكر أولى بهذه التسمية من غيره ممن ذكرنا ، وهذا برهان ضرورى نعارض به جميع الخصوم ، و أيضا فإن الرواية قد صحت بأن امرأة قالت : يا رسول الله أرأيت إن رجعت ولم أجدك كأنها تريد الموت قال فأت أبا بكر(١٦٦)» وهذا نص جلى على استخلاف أبى بكر .

وأيضا فإن الخبر قد جاء من الطرق الثابتة أن رسول الله ﷺ قال لعائشة رضى الله عنها فى مرضه الذى توفى فيه عليه السلام : لقد هممت أن أبعث إلى أبيك وأخيك فاكتب كتابا وأعهد عهدا لكى لا يقول قائل أنا أحق أو يتمنى متمنى ، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر .

وروى أيضا . ويأبى الله والنبيون إلا أبا بكر(١٦٧).

فهذا نص جلى على استخلافه عليه الصلاة والسلام أبا بكر على ولاية الأمة بعده .

قال أبو محمد : ولو أننا نستجيز التدليس والأمر الذى لو ظفر به خصومنا طاروا به فرحا ، أو أبلسوا أسفا لاحتججنا فى ذلك(١٦٨) بما روى : اقتدوا بالذين من بعدى أبى بكر وعمر .

قال أبو محمد : ولكنه لم يصح ويعيذنا الله من الاحتجاج بما لا يصح .

قال أبو محمد : واحتج من قال لم يستخلف رسول الله ﷺ بالخبر المأثور عن عبد الله ابن عمر عن أبيه أنه قال : إن استخلف فقد استخلف من هو خير منى – يعنى أبا بكر – وإن لا استخلف فلم يستخلف من هو خير منى – يعنى رسول الله ﷺ – وبما روى عن عائشة رضى الله عنها : إذ سئلت(١٦٩) من كان رسول الله ﷺ مستخلفا لو استخلف . فمن المحال أن يعارض اجماع الصحابة الذى ذكرنا ، والأثران الصحيحان المسندان إلى رسول الله ﷺ من لفظه بمثل هذين الأثرين الموقوفين على عمر وعائشة رضى الله عنهما مما لا يقوم به حجة مما له وجه ظاهر

---

(١٦٦) الحديث ذكره ابن سعد فى طبقاته حـ ٣ ص ١٧٨ قال : أخبرنا يزيد بن هارون قال أخبرنا إبراهيم بن سعد عن أبيه عن ابن جبير ابن مطعم عن أبيه وذكر الحديث وقال : أخبرنا سليمان أبو داود الطيالس وعبد العزيز بن عبد الله قالا أخبرنا إبراهيم بن سعد عن أبيه عن محمد ابن جبير بن مطعم عن أبيه أن أمرأة أتت النبى – ﷺ – فى شيء فقال لها رسول الله ارجعى إلىَّ قالت يا رسول الله فإن لم أرَك ، تعنى الموت فإلى مَنْ ..؟ قال إلى أبى بكر .

(١٦٧) الحديث رواه الإمام مسلم فى فضائل الصحابة ١١ ، وأبو داود فى السنة ١١ وأحمد بن حنبل حـ ٤ ص ٥٣ ، ٢٨٢ : ولفظه عند مسلم : اذْعى لى أبا بكر ، وأخاك ، حتى اكتب كتابات ، فإنى أخاف أن يتمنى مُتمنٍّ ، ويقول قائل : أنا أولى . ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر .

(١٦٨) فى (أ) : سقط (فى ذلك) .

(١٦٩) فى (أ) : سقط (إذ سئلت) .

من أن هذا الأثر خفى على عمر رضى الله عنه كما خفى عليه كثير من أمر رسول الله ﷺ كالاستئذان وغيره ، أو أنه اراد استخلافا بعهد مكتوب ونحن نقر أن استخلاف أبى بكر لم يكن بكتاب مكتوب ، وأما الخبر فى ذلك عن عائشة فكذلك نصا ، وقد يخرج كلامها على سؤال سائل وإنما الحجة فى روايتها لا فى قولها ، وأما من ادعى انه انما قدم قياسا على تقديمه إلى الصلاة فباطل بيقين ، لأنه ليس كل من استحق الإمامة فى الصلاة يستحق إمامة الخلافة(١٧٠)، إذ قد يستحق الإمامة فى الصلاة أقرأ القوم ، وإن كان أعجميا أو عربيا ، ولا يستحق الخلافة إلا قرشى فكيف والقياس كله باطل ؟

قال أبو محمد : فى نص القرآن دليل على صحة خلافة أبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم ، وعلى وجوب الطاعة لهم ، وهو أن الله تعالى قال مخاطبا لنبيه ﷺ فى الأعراب .

« فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معى أبدا ولن تقاتلوا معى عدوا(١٧١)» .

وكان نزول سورة براءة التى فيها هذا الحكم بعد غزوة تبوك بلا شك التى تخلف فيها الثلاثة المعذورون الذين تاب الله عليهم ، فى سورة براءة ولم يغز عليه السلام بعد غزوة تبوك إلى أن مات ﷺ وقال تعالى أيضا : « سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلك قال الله من قبل(١٧٢)» .

فبين أن العرب لا يغزون مع رسول الله ﷺ بعد تبوك ابدًا(١٧٣) ثم عطف سبحانه وتعالى عليهم إثر منعه إياهم من الغزو مع رسول الله ﷺ وغلق لهم(١٧٤) باب التوبة فقال تعالى : « قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون ، فإن تطيعوا يؤتكم الله أجرًا حسنًا وإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا أليما(١٧٥)» .

فأخبر تعالى أنه سيدعوهم غير النبى ﷺ إلى قوم يقاتلونهم أو يسلمون ، ووعدهم على طاعة من دعاهم إلى ذلك بجزيل الأجر العظيم ، وتوعدهم على عصيان الداعى لهم إلى ذلك العذاب الأليم .

قال أبو محمد : وما دعا أولئك الأعراب أحد بعد رسول الله ﷺ إلى قوم يقاتلونهم

(١٧٠) فى (أ) : الإمامة فى الخلافة .
(١٧١) سورة التوبة آية رقم ٨٣
(١٧٢) سورة الفتح آية رقم ١٥
(١٧٣) فى (أ) : لهذا .
(١٧٤) سقط من (أ) لهم .
(١٧٥) سورة الفتح آية رقم ١٦

أو يسلمون الا أبو بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم ، فإن أبا بكر رضى الله عنه دعاهم إلى قتال مرتدى العرب بنى حنيفة[١٧٦] وأصحاب الأسود[١٧٧] وسجاح[١٧٨] وطليحة[١٧٩] والروم والفرس وغيرهم ، ودعاهم عمر إلى قتال الروم والفرس وعثمان دعاهم إلى قتال الروم والفرس والترك فوجبت طاعة أبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم بنص القرآن الذى لا يحتمل تأويلا ، وإذ قد وجبت طاعتهم فرضا فقد صحت إمامتهم وخلافتهم رضى الله عنهم ، وليس هذا بموجب تقليدهم فى غير ما أمر الله تعالى بطاعتهم فيه لأن الله تعالى لم يأمر بذلك إلا فى دعائهم إلى قتال هؤلاء القوم ، وفيما يجب الطاعة فيه للأئمة جملة ، وبالله تعالى التوفيق .

وأما ما أفتوا به باجتهادهم فما أوجبوا هم قط اتباع أقوالهم فيه ، فكيف أن يوجب ذلك غيرهم ؟ وبالله تعالى التوفيق .

وأيضا فإن هذا اجماع الأمة[١٨٠] كلها إذ ليس أحد من أهل العلم إلا وقد خالف بعض فتاوى هؤلاء الأئمة الثلاثة رضى الله عنهم ، فصح ما ذكرنا والحمد لله رب العالمين .

« فصـــل »

عدم جواز إمامة امرأة أو صبي

قال أبو محمد : وجميع فرق أهل القبلة ليس منهم أحد يجيز امامه امرأة ، ولا إمامه صبى لم يبلغ ، إلا الرافضة فإنها تجيز إمامه الصغير الذى لم يبلغ ، والحمل فى بطن أمه ، وهذا خطأ لأن من لم يبلغ فهو غير مخاطب ، والإمام مخاطب بإقامة الدين ، وبالله تعالى التوفيق .

قال الباقلانى : واجب أن يكون الإمام أفضل الأمة .

قال أبو محمد : وهذا خطأ متيقن لبرهانين ، أحدهما : أنه لا يمكن أن يعرف الأفضل إلا بالظن فى ظاهر أمره ، وقد قال تعالى إن الظن لا يغنى عن الحق شيئا[١٨١]، والثانى : أن قريشا

---

(١٧٦) بنو حنيفة : الذين تنبأ فيهم مسليمة الكذاب ، وارتد بعضهم عن الإسلام وتابع مسليمة فيما دعا إليه ، وانتصر المسلمون عليهم فى معركة اليمامة .

(١٧٧) الأسود العنس : عبهلة بن كعب راجع ترجمته فى الجزء الثانى من هذا الكتاب ص ٢١٤ .

(١٧٨) سجاح بنت الحارث راجع ترجمتها فى الجزء الثانى من هذا الكتاب ص ٢١٥ .

(١٧٩) طليحة بن خويلد الأسدى من أسد خزيمة يقال له : طليحة الكذاب ، قدم على النبى – ﷺ – فى وفد بنى أسد سنة ٩ هـ وأسلموا ولما رجعوا ارتد طليحة ، وادعى النبوة وكثر أتباعه ، وطمع فى امتلاك المدينة فأرسل إليه أبو بكر خالد بن الوليد فهزمه ففر إلى الشام ، ثم أسلم بعد أن أسلمت أسد وغطفان ووفد على عمر فبايعه فى المدينة واستشهد بنهاوند سنة ٢١ هـ . (الإصابة ت ٤٢٨٣) .

(١٨٠) فى (أ) : الأئمة .

(١٨١) سورة يونس آية رقم ٣٦

قد كثرت وطبقت الأرض من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب ، ومن الجنوب إلى الشمال ، ولا سبيل أن يعرف الأفضل من قوم هذا مبلغ عددهم بوجه من الوجوه ، ولا يمكن ذلك أصلًا ثم يكفى من بطلان هذا القول اجماع الأمة على بطلانه ، فإن جميع من أدرك من الصحابة رضى الله عنهم من جميع المسلمين فى ذلك العصر قد أجمعوا على صحة[١٨٢] امامة الحسن ، أو معاوية ، وقد كان فى الناس أفضل منهم بلا شك كسعد بن أبى وقاص ، وسعيد بن زيد ، وابن عمر وغيرهم .

فلو كان ما قاله الباقلانى حقا لكانت إمامة الحسن ومعاوية باطلة وحاشا لله عز وجل من ذلك .

وأيضا فإن هذا القول الذى قاله هذا المذكور دعوى فاسدة لا دليل على صحتها . لا من قرآن ولا من سنة صحيحة ، ولا سقيمة ، ولا من قول صاحب ، ولا من قياس ، والعجب كله أن يقول إنه جائز أن يكون فى هذه الأمة من هو أفضل من رسول الله ﷺ من حيث بعث إلى أن مات ، ثم لا يجيز أن يكون أحد أفضل من الإمام .

قال أبو محمد : وهذا القول منه فى النبى ﷺ كفر مجرد لا خفاء به ، وفيه خلاف لأهل الإسلام وإنما يجب أن يكون الإمام قرشيًا بالغا ذكرًا مميزًا بريئًا من المعاصى الظاهرة ، حاكما بالقرآن والسنة فقط . ولا يجوز خلعه مادام يمكن منعه من الظلم فإن لم يمكن ذلك[١٨٣] الا بازالته ففرض أن يقام كل ما يوصل به إلى دفع الظلم ، لقول الله تعالى « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان[١٨٤]» وبالله تعالى التوفيق .

---

(١٨٢) سقط من (أ) (صحة) .
(١٨٣) سقط من (أ) (ذلك) .
(١٨٤) سورة المائدة آية رقم ٢

الكلام في وجوه الفضل والمفاضلة بين الصحابة

قال أبو محمد : اختلف المسلمون فيمن هو أفضل الناس بعد الأنبياء عليهم السلام . فذهب بعض أهل السنة ، وبعض المعتزلة ، وبعض المرجئة ، وجميع الشيعة ، إلى أن أفضل الأمة بعد رسول الله ﷺ على ابن أبي طالب – رضى الله عنه – وقد روينا هذا القول نصا عن بعض الصحابة رضى الله عنهم وعن جماعة من التابعين ، والفقهاء .

وذهبت الخوارج كلها ، وبعض أهل السنة ، وبعض المعتزلة ، وبعض المرجئة ، إلى أن أفضل الصحابة بعد رسول الله – ﷺ – أبو بكر ، ثم عمر . وروينا عن أبى هريرة رضى الله عنه أن أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ جعفر بن أبى طالب ، وبهذا قال أبو عاصم النبيل ، وهو الضحاك ابن مخلد(1)، وعيسى بن حاضر(2). قال عيسى : وبعد جعفر حمزة ، رضى الله عنه .

وروينا عن نحو عشرين من الصحابة أن أكرم الناس على رسول لله ﷺ على بن أبى طالب ، والزبير بن العوام .

وروينا عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها مات رسول الله ﷺ وثلاثة رجال لا يعد أحد(3) عليهم بفضل سَعْد بن مُعَاذ(4) وأُسَيْد بن حُضَيْر(5) وعَبَّاد بن بِشْر(6).

---

(1) هو الضحاك بن مخلد بن الضحاك بن مسلم الشيبانى البصرى المعروف بالنبيل ، شيخ حفاظ الحديث فى عصره ، ولد بمكة ١٢٢ هـ وتحول إلى البصرة فسكنها وتوفى بها عام ٢١٢ هـ . (تهذيب التهذيب حـ ٤ ص ٤٥٠) .

(2) لم نعثر له على ترجمة .

(3) سقط من (أ) كلمة (أحد) .

(4) سعد بن معاذ : بن النعمان بن امرىء القيس ، الأوسى الأنصارى ، صحابى من الأبطال من أهل المدينة ، كانت له سيادة الأوس ، وحمل لواءهم يوم بدر ، وشهد أحدًا ، فكان ممن ثبت فيها ، ورمى بسهم يوم الخندق فمات من أثر جرحه ودفن بالبقيع عام ٩ هـ وحزن النبى – ﷺ – وفى الحديث : اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ » . (طبقات بن سعد حـ ٣ ص ٢) .

(5) أسيد بن حضير بن سماك بن عتيل الأوسى ، أبو يحيى ، صحابى ، كان شريفًا فى الجاهلية والإسلام ، مقدمًا فى قبيلته الأوس ، من أهل المدينة يعد من عقلاء العرب وذوى الرأى فيهم وكان يسمى الكامل ، شهد العقبة الثانية ، وكان أحد النقباء الاثنى عشر وشهد أحدًا والخندق والمشاهد كلها وفى الحديث نعم الرجل أسيد بن الحضير ، توفى بالمدينة عام ٢٠ وله ١٨ حديثًا . (طبقات بن سعد حـ ٣ ص ١٣٥) .

(6) عباد بن بشر بن وقش الأشهلى الخزرجى الأنصارى : صحابى ، من أبطالهم أسلم فى المدينة ، وشهد المشاهد كلها ، وكان رسول الله – ﷺ – يبعثه إلى القبايل يصدقها (يجمع الصدقات) واستعمله على حرسه بتبوك استشهد يوم اليمامة عام ١٢ هـ . (طبقات بن سعد حـ ٣ ص ١٧) .

وروينا عن أُمّ سَلَمَة[٧] أم المؤمنين رضى الله عنها أنها تذكرت الفضل ومن هو خير فقالت : ومن هو خير من أبى سلمة[٨] أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ .

وروينا عن مَسْروق بن الأَجْدَع[٩] وتميم بن حَزلم[١٠] وإبراهيم النَّخَعِى[١١] وغيرهم أن أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ عبد الله بن مسعود ، قال تميم وهو من كبار التابعين رأيت أبا بكر وعمر فما رأيت مثل عبد الله بن مسعود .

وروينا عن بعض من أدرك النبى ﷺ : إن أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب وأنه أفضل من أبى بكر رضى الله عنهما وبلغنى عن محمد بن عبد الله الحاكم النيسابورى[١٢] أنه كان يذهب إلى هذا القول . قال داود بن على الفقيه[١٣] رضى الله عنه أفضل الناس بعد الأنبياء أصحاب رسول الله ﷺ وأفضل الصحابة الأولون من المهاجرين ، ثم الأولون من الأنصار ، ثم من بعدهم منهم ولانقطع على إنسان منهم بعينه أنه أفضل من آخر من طبقته ، ولقد رأينا من متقدمى أهل العلم ممن يذهب إلى هذا القول .

وقال لى يوسف بن عبد الله بن عبد البر النميرى[١٤] غير ما مرة إن هذا هو قوله ومعتقده .

---

(٧) أم سلمة : هند بنت سهيل المعروف بأبى أمية من زوجات النبى - ﷺ - تزوجها فى السنة الرابعة للهجرة ، وكانت من أكمل النساء عقلًا وخلقا وهى قديمة الإسلام هاجرت مع زوجها الأول أبى سلمة بن عبد الأسد إلى الحبشة وولدت له ابنه سلمة - تزوجها الرسول - ﷺ - بعد وفاة زوجها لها ٣٧٨ حديثا وتوفيت عام ٦٢ هـ . (طبقات بن سعد حـ ٨ ص ٦٧) .

(٨) أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن مخزوم المخزومى أحد السابقين إلى الإسلام هاجر إلى الحبشة مع زوجته أم مسلمة وعاد إلى المدينة فاصيب بجراح ومات رحمه الله . (الاصابة ت ٥٥٩ حـ ٤ ص ٩٣) .

(٩) مسروق بن الأجدع بن مالك الهمدانى الوادعى أبو عائشة ، تابعى ثقة من أهل اليمن قدم المدينة فى أيام أبى بكر وسكن الكوفة ، وشهد حروب على وكان أعلم بالفتيا من شريح ، وشريح أبصر منه بالقضاء توفى سنة ٦٣ هـ . (الاصابة ت ٨٤٠٨) .

(١٠) تميم بن حذلم الصبى أبو سلمة الكوفى من أصحاب ابن مسعود وادرك أبا بكر وعمر رضى الله عنهما ، روى عنه ابراهيم النخعى وسماك ابن سلمة الصبى وغيرهم قال تميم بن حذلم قرأت القرآن على عبد الله بن مسعود وانا غلام فمررت بسجدة فقال عبد الله انت امامنا فيها قال ابن سعد كان ثقة قليل الحديث وذكره ابن حبان فى الثقات . (تهذيب التهذيب حـ ١ ص ٥١٢) .

(١١) ابراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود أبو عمران النخعى من مذحج من أكابر التابعين صلاحًا وصدق رواية وحفظا للحديث من أهل الكوفة مات مختفيًا من الحجاج . قال فيه الصلاح الصفدى . فقيه العراق : كان إمامًا مجتهدًا له مذهب مات سنة ٩٦ هـ . (طبقات ابن سعد حـ ٦ ص ١٨٨ - ١٩٩) .

(١٢) داود بن على الفقيه بن خلف الأصبهانى الملقب بالظاهرى أحد الأئمة المجتهدين فى الإسلام تنسب إليه الطائفة الظاهرية وهو أصبهانى الأصل من أهل قاشان ، ولد فى الكوفة عام ٢٠١ هـ وسكن بغداد وله تصانيف كثيرة توفى فى بغداد عام ٢٧٠ هـ . (وفيات الأعيان حـ ١ ص ١٧٥) .

(١٣) وهذا الرأى الذى ارتآه داود بن على هو ما عليه الجمهور ، ولعله قد نظر فى هذا إلى قوله تعالى (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه ، وأعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبدًا ذلك الفوز العظيم) (التوبة : ١٠٠) .

(١٤) يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر أبو عمر من كبار حفاظ الحديث ، يقال له حافظ المغرب ، ولد بقرطبة عام ٣٦٨ هـ وولى قضاء لشبونة وتوفى بشاطبه عام ٤٦٣ هـ .

قال الفقيه(١٥) أبو محمد رحمه الله : والذى نقول به وندين الله تعالى عليه ، ونقطع على أنه الحق عند الله عز وجل أن أفضل الناس بعد الأنبياء عليهم السلام نساء رسول الله ﷺ ثم أبو بكر رضى الله عنه ، ولا خلاف بين أحد من المسلمين فى أن أمة محمد ﷺ أفضل الأمم ، لقول الله عز وجل : « كنتم خير أمة أخرجت للناس(١٦) » ..

وأن هذه قاضية على قوله تعالى لبنى إسرائيل وأنى فضلتكم على العالمين(١٧) » وأنها مبينة لأن مراد الله تعالى من ذلك عالم الأمم حاشا هذه الأمة .

قال أبو محمد : ثم نقول وبالله تعالى التوفيق : إن الكلام المهمل دون تحقيق المعنى المراد بذلك الكلام فإنه طمس للمعانى ، وصد عن ادراك الصواب ، وتعريج عن الحق ، وإبعاد عن الفهم [وتخليط وعمى](١٨) فلنبدأ بعون الله تعالى وتأييده بتقسيم وجوه الفضل التى بها يستحق التفاضل وتفسيرها(١٩) فإذا استبان معنى الفضل وعلى ماذا تقع هذه اللفظة ، فبالضرورة نعلم حينئذ أن من وجدت فيه هذه الصفات أكثر فهو أفضل بلا شك ، فنقول ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

إن الفضل ينقسم إلى قسمين لا ثالث لهما : فضل اختصاص من الله عز وجل بلا عمل ، وفضل مجازاة من الله تعالى بعمل .

فأما فضل الاختصاص دون عمل فإنه يشترك فيه جميع المخلوقين من الحيوان الناطق والحيوان(٢٠) غير الناطق والجمادات والأعراض كفضل الملائكة فى ابتداء خلقهم على سائر الخلق وكفضل الأنبياء فى ابتداء خلقهم على سائر الجن والإنس ، وكفضل إبراهيم ابن النبى(٢١) ﷺ على سائر الأطفال ، وكفضل ناقة صالح عليه السلام على سائر النوق .

وكفضل ذبيحة(٢٢) إبراهيم عليه السلام على سائر الذبائح .

(وكفضل مكة على سائر البلاد ، وكفضل المدينة بعد مكة على غيرها من البلاد وكفضل المساجد على سائر البقاع ، وكفضل الحجر الأسود على سائر الحجارة ، وكفضل شهر رمضان على سائر الشهور ، وكفضل يوم الجمعة وعرفة وعاشوراء والعشر على سائر الأيام

(١٥) فى (أ) : سقطت كلمة (الفقيه) .
(١٦) سورة آل عمران آية رقم ١١٠
(١٧) سورة البقرة آية رقم ٤٧ ، و ١٢٢ وقد جاءت هذه الآية محرفة حيث ذكر « وفضلناكم » .
(١٨) سقط من (خ) (وتخليط وعمى) .
(١٩) سقط من (أ) (وتفسيرها) .
(٢٠) سقط من (أ) (والحيوان) .
(٢١) فى (خ) : ابن رسول الله .
(٢٢) فى (خ) : ذبح .

وكفضل ليلة القدر على سائر الليالى ، وكفضل صلاة الفرض على النافلة ، وكفضل صلاة العصر وصلاة الصبح على سائر الصلوات ، وكفضل السجود على القعود ، وكفضل بعض الذكر على بعض فهذا هو فضل الاختصاص المجرد بلا عمل .

فأما فضل المجازاة بالعمل فلا يكون البتة إلا للحى الناطق من الملائكة ، والإنس ، والجن فقط ، وهذا هو القسم الذى تنازع الناس فيه فى هذا الباب الذى نتكلم فيه الآن من أحق به فوجب أن ننظر أيضا فى أقسام هذا القسم التى بها يستحق الفضل فيه والتقدم فنحصرها ونذكرها بحول الله تعالى وقوته ، ثم ننظر حينئذ من هو أحق به وأسعد(٢٣) بالبسوق فيه ، فيكون بلا شك أفضل ممن هو أقل حظا فيها بلا شك . وبالله تعالى التوفيق .

فنقول وبالله تعالى نستعين :

إن العامل يفضل العامل فى عملهما بسبعة أوجه لا ثامن لها :

وهى المائية : وهى عين العمل وذاته ، والكمية : وهى العرض فى العمل والكيفية(٢٤)، والكم ، والزمان ، والمكان ، والإضافة ، فأما المائية فهى أن تكون الفروض من أعمال أحدهما موفاة كلها ويكون الآخر يضيع بعض فروضه(٢٥) وله نوافل ، أو يكون كلاهما يوفّى جميع فرضه ، ويعملان نوافل زائدة إلا أن نوافل أحدهما أفضل من نوافل الآخر ، كأن يكون أحدهما يكثر الذكر فى الصلاة ، والآخر يكثر الذكر فى حال جلوسه ، وما أشبه هذا ، وكإنسانين قاتل أحدهما فى المعركة ، والموضع المخوف ، وقاتل الآخر فى الرد . أو جاهد أحدهما واشتغل الآخر بصيام ، وصلاة تطوع . أو يجتهدان فيصادف أحدهما الحق(٢٦) ويحرمه الآخر فيفضل أحدهما الآخر فى هذه الوجوه بنفس عمله ، أو بأن ذات عمله أفضل من ذات عمل الآخر ، فهذا هو التفاضل فى المائية من العمل(٢٧).

وأما الكمية : وهى العرض فأن يكون أحدهما يقصد بعمله وجه الله تعالى لا يمزج به شيئا البتة ، ويكون الآخر يساويه فى جميع عمله ، إلا أنه ربما مزج بعمله شيئا من حب البر فى الدنيا ، وأن يستدفع بذلك الأذى عن نفسه ، وربما مزجه بشىء من الرياء ففضله الأول بعرضه فى عمله ، وأما الكيفية فأن يكون أحدهما يوفى عمله جميع حقوقه . ورتبه لا منتقصًا ولا متزايدًا ويكون الآخر

---

(٢٣) فى (خ) : (من هو احظى به) .
(٢٤) فى (خ) : (الكيف) .
(٢٥) فى (خ) : (الفرض) .
(٢٦) سقط من (أ) (الحق) .
(٢٧) فى (خ) : (فى العمل) .

ربما انتقص بعض رتب ذلك العمل وسننه ، وإن لم يعطل منه فرضًا أو يكون أحدهما يصفى عمله من الكبائر ، وربما أتى الآخر ببعض الكبائر ففضله الآخر بكيفية عمله .

وأما الكم : فأن يستويا فى أداء الفرض ، ويكون أحدهما أكثر نوافل ففضله هذا بكثرة عدد نوافله ، كما روى فى رجلين أسلما وهاجرا أيام رسول الله ﷺ ثم استشهد أحدهما وعاش الآخر بعده سنة ثم مات على فراشه فرأى بعض أصحاب النبى ﷺ أحدهما فى النوم وهو آخرهما موتًا فى أفضل من حال الشهيد فسأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال عليه السلام « كلاما معناه فأين صلاته وصيامه بعده[٢٨] » .

ففضل أحدهما الآخر بالزيادة التى زادها عليه فى عدد أعماله . وأما الزمان فكمن عمل فى صدر الإسلام أو فى عام المجاعة ، أو فى وقت نازلة بالمسلمين وعمل غيره بعد قوة الإسلام ، وفى زمن رخاء وأمن ، فإن الكلمة فى أول الإسلام والتمرة والصبر حينئذ وركعة فى ذلك الوقت تعدل اجتهاد الأزمان الطوال ، وجهادها ، وبذل الأموال الجسام بعد ذلك ، ولذلك قال رسول الله ﷺ : « دَعُوا لِىَ أَصْحَابِى فَلَوْ كَانَ لِأَحَدِكُمْ مثل أُحُدٍ ذَهَبًا ، فَأَنْفَقَهُ مَا بَلَغَ مُدّ أَحَدِهِمْ ، وَلَا نَصِيفَهُ[٢٩] » .

فكان نصف مد شعير أو تمر فى ذلك الوقت أفضل من جبل أحد ذهبا ننفقه نحن فى سبيل الله عز وجل بعد ذلك ، قال الله تعالى : « لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى[٣٠] » .

قال أبو محمد : هذا فى الصحابة فيما بينهم فكيف بمن بعدهم معهم رضى الله عنهم أجمعين .

قال أبو محمد : وهذا يكذب قول أبى هاشم محمد بن على الجبائى ، وقول محمد بن الطيب الباقلانى ، فإن الجبائى قال : جائز إن طال عمر امرىء أن يعمل ما يوازى عمل نبى من الأنبياء .

وقال الباقلانى : جائز أن يكون فى الناس من هو أفضل من رسول الله ﷺ من حين[٣١] بعث بالنبوة إلى أن مات .

---

(٢٨) لم نعثر على هذا الحديث .

(٢٩) الحديث رواه البخارى ٧ ، ٢٧ ، ٢٨ فى فضائل الصحابة ، ومسلم رقم ٢٥٤١ فى فضائل الصحابة باب تحريم سب الصحابة – رضى الله عنهم ، وأبو داود رقم ٤٦٥٨ ، فى السنة باب النهى عن سب أصحاب النبى – ﷺ – والترمذى رقم ٣٨٦٠ فى المناقب ، ولفظه عند مسلم : لا تسبوا أصحابى ، فوالذى نفسى بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه .

(٣٠) سورة الحديد آية رقم ١٠

(٣١) فى (أ) : (حيث) .

قال أبو محمد : وهذا كفر مجرد وردة صحيحة[٣٢] وخروج عن دين الإسلام بلا مرية وتكذيب لرسول الله ﷺ فى إخباره ، إنا لا ندرك أحدًا من أصحابه وفى إخباره عليه السلام عن أصحابه رضى الله عنهم بأنه ليس مثلهم ، وأنه أتقاهم لله وأعلمهم بما يأتى وما يذر ، وكذلك أيضا[٣٣] قالت الخوارج والشيعة فإن الشيعة يفضلون أنفسهم وهم شر خلق الله عز وجل على أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وطلحة ، والزبير ، وعائشة وجميع الصحابة رضى الله عنهم حاشا عليًا ، والحسن ، والحسين ، وعمار بن ياسر[٣٤]، والخوارج يفضلون أنفسهم وهم شر خلق الله عز وجل وكلاب النار على عثمان ، وعلى ، وطلحة ، والزبير ، ولقد خاب من خالف كلام الله تعالى وقضاء رسول الله ﷺ .

قال أبو محمد : وكذلك القليل من الجهاد والصدقة فى زمان الشدائد أفضل من كثيرهما فى وقت القوة والسعة ، وكذلك صدقة المرء بدرهم فى زمان فقره وصحته يرجو الحياة ويخاف الفقر أفضل من الكبير يتصدق به فى عرض غناه ، وفى وصيته بعد موته ، وقد صح عن رسول الله ﷺ سبق درهم مائة ألف ، وهو إنسان كان له درهمان تصدق بأحدهما ، والآخر عمد إلى عرض ماله فتصدق منه بمائة ألف ، وكذلك صبر المرء على أداء الفرائض فى حال خوفه ، ومرضه ، وقليل تنفله فى زمان مرضه وخوفه أفضل من عمله وكثير تنفله فى زمان صحته وأمنه ، ففضل من ذكرنا غيرهم بزمان عملهم وكذلك من وفق لعمل الخير فى زمان آخر أجله هو أفضل ممن خلط فى زمان آخر أجله ، وأما المكان فكصلاة فى المسجد الحرام [ومسجد المدينة فهما أفضل من ألف صلاة فيما عداهما ، وتفضل الصلاة فى المسجد الحرام][٣٥] على صلاة فى مسجد رسول الله ﷺ بمائة درجة ، وكصيام فى بلد العدو ، وفى الجهاد على صيام فى غير الجهاد ففضل من عمل فى المكان الفاضل غيره ممن عمل فى غير ذلك المكان بمكان عمله ، وإن تساوى العملان .

وأما الإضافة فركعة من نبى أو ركعة مع نبى أو صدقة من نبى أو صدقة معه أو ذكر منه أو ذكر معه وسائر أعمال البر منه أو معه فقليل ذلك معه[٣٦] أفضل من كثير الأعمال بعده ، ويبين ذلك ما قد ذكرنا آنفا من قول الله عز وجل : « لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل[٣٧]» .

---

(٣٢) سقط من (أ) كلمة : (صحيحه) .
(٣٣) فى (أ) : سقطت كلمة (أيضا) .
(٣٤) عمار بن ياسر بن عامر الكنانى صحابى وهو أحد السابقين إلى الإسلام والجهر به ، هاجر إلى المدينة وشهد بدرًا وأحدًا والخندق ، وبيعه الرضوان ولاه عمر الكوفة ، وشهد الجمل وصفين مع على وقتل فى الثانية سنة ٣٧ هـ له ٦٢ حديثًا . (الاصابة ت ٥٧٠٦) .
(٣٥) ما بين القوسين سقط من (أ) .
(٣٦) سقط من (أ) كلمة (معه) .
(٣٧) سورة الحديد آية رقم ١٠

وأخباره عليه السلام أن أحدنا لو أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ نصف مد من أحد من الصحابة رضى الله عنهم [فبهذا فضل الصحابة][(٣٨)] رضى الله عنهم من جاء بعدهم

قال أبو محمد : وبهذا قطعنا على أن كل عمل عمله الصحابة[(٣٩)] أنفسهم بعد موت النبى ﷺ لا يوازى شيئا من البر عمله ذلك الصاحب بنفسه مع النبى ﷺ ، ولا ما عمله غير ذلك الصاحب بعد النبى ﷺ ، ولو كان غير ما نقول لجاز أن يكون أنس ، وأبو أمامة الباهلى[(٤٠)]، وعبد الله بن أبى أوفى[(٤١)]، وعبد الله بن بسر[(٤٢)]، وعبد الله بن الحارث بن جزء[(٤٣)]، وسهل بن سعد الساعدى[(٤٤)]، رضى الله عنهم أفضل من أبى بكر وعمر وعثمان وعلى[(٤٥)] وأبى عبيدة وزيد ابن حارثة ، وجعفر بن أبى طالب ، ومصعب بن عمير ، وعبد الله بن جحش ، وسعد بن معاذ وعثمان بن مظعون ، وسائر السابقين ، من المهاجرين ، والأنصار المتقدمين ، رضى الله عنهم أجمعين ، لأن بعض أولئك عبدوا الله عز وجل بعد موت أولئك ، بعضهم بعد موت بعض بتسعين عاما فما بين ذلك إلى خمسين عاما وهذا ما لا يقوله أحد يعتد به .

قال أبو محمد : وبهذا قطعنا على[(٤٦)] أن من كان من الصحابة حين موت رسول الله ﷺ أفضل من آخر منهم فإن ذلك المفضول لا يلحق درجة الفاضل له حينئذ أبدا .

وإن طال عمر المفضول وتعجل موت الفاضل .

وبهذا أيضا لم نقطع على فضل أحد منهم رضى الله عنهم حاشا من ورد فيه النص من النبى ﷺ على[(٤٧)] من مات منهم فى حياة النبى ﷺ بل نقف فى هؤلاء على ما نبينه بعد هذا إن شاء الله تعالى .

---

(٣٨) ما بين القوسين سقط من (أ) .

(٣٩) سقط من (أ) كلمة (الصحابة) .

(٤٠) أبو إمامة الباهلى : هو : صدى بن عجلان بن وهب الباهلى صحابى كان مع على فى معركة « صفين » وسكن الشام فتوفى فى حمص ، وهو آخر من مات من الصحابة بالشام ، له فى الصحيحين ٢٥٠ حديثًا . (تهذيب التهذيب حـ ٤ ص ٤٢٠) .

(٤١) عبد الله بن أبى أوفى علقمة بن خالد بن الحارث بن أبى اسيد بن رفاعة بن ثعلبة ، شهد بيعة الرضوان ، وروى عن النبى – ﷺ – وعنه إبراهيم بن عبد الرحمن ، وإبراهيم بن مسلم الهجرى وإسماعيل بن أبى خالد وغيرهم ، قال يحيى بن بكير وغيره مات سنة ٨٦ هـ . (تهذيب التهذيب حـ ٥ ص ١٥٢) .

(٤٢) عبد الله بن بسر المازنى ، أبو صفوان ويقال أبو بسر ، من بنى مازن بن منصور ، صحابى ، كان ممن صلى القبلتين ، توفى بحمص عن ٩٥ عامًا وهو آخر الصحابة موتًا بالشام له ٥٠ حديثًا . (الاصابة ت ٤٥٥٥) .

(٤٣) عبد الله بن الحارث بن جزء بن عبد الله بن معدى كرب بن عمرو أبو الحارث نزيل مصر له صحبة ، روى عن النبى – ﷺ – وعنه عبيد الله بن المغيرة ، وسليمان بن زياد الحضرمى وغيرهم قال ابن يونس توفى سنة ٨٦ هـ وكان قد عمى وقال غيره سنة خمس وثمانين . وهو آخر من مات بمصر من الصحابة . (تهذيب التهذيب حـ ٥ ص ١٧٨) .

(٤٤) سهل بن سعد الخزرجى الأنصارى من بنى ساعدة ، صحابى من مشاهيرهم ، من أهل المدينة ، عاش نحو مائة سنة له فى كتب الأحاديث ١٨٨ حديثًا توفى سنة ٩١ هـ . (الاصابة ت ٣٥٢٦) .

(٤٥) سقط من (أ) كلمة (وعلى) .

(٤٦) سقط من (أ) (على) .

(٤٧) فى (أ) : سقط (على) .

قال أبو محمد : فهذه وجوه الفضائل بالأعمال[٤٨] التى لا يفضل ذو عمل ذا عمل فيما سواها البتة ، ثم نتيجة هذه الوجوه كلها وثمرتها ونتيجة فضل الاختصاص المجرد دون عمل أيضا لا ثالث لهما البتة .

أحدهما : إيجاب الله تعالى تعظيم الفاضل فى الدنيا على المفضول ، فهذا الوجه يشترك فيه كل فاضل بعمل أو باختصاص مجرد بلا عمل من عرض أو جماد ، أو حى ناطق أو غير ناطق ، قد أمرنا الله تعالى بتعظيم الكعبة والمساجد ، ويوم الجمعة والأشهر الحرم[٤٩]، وشهر رمضان ، وناقة صالح ، وإبراهيم ابن رسول الله ﷺ وذكر الله تعالى والملائكة والنبيين على جميعهم صلوات الله وسلامه ، والصحابة أكثر من تعظيمنا وتوقيرنا غير ما ذكرنا ، ومن ذكرنا من المواضع والأيام والنوق والأطفال والكلام والناس ، هذا ما لا شك فيه وهذه خاصة كل فاضل لا يخلو منها فاضل أصلا ولا يكون البتة إلا الفاضل .

والوجه الثانى هو إيجاب الله تعالى للفاضل درجة فى الجنة أعلى من درجة المفضول ، إذ لا يجوز عند أحد من خلق الله تعالى كلهم أن يأمر بإجلال المفضول أكثر من اجلال الفاضل ، ولا أن يكون المفضول أعلى درجة فى[٥٠] الجنة من الفاضل ، ولو جاز ذلك لبطل معنى الفضل جملة ، ولكان لفظا لا حقيقة له ولا معنى تحته ، وهذا الوجه الثانى الذى هو علو الدرجة فى الجنة هو خاصة كل فاضل بعمل فقط من الملائكة ، والإنس ، والجن . وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : فكل مأمور بتعظيمه فاضل ، وكل فاضل فمأمور بتعظيمه وليس الاحسان والبر والتوقير والتذلل المفترض فى الأبوين الكافرين من التعظيم فى شىء ، فقد يحسن المرء إلى من لا يعظم ولا يهين كإحسان المرء إلى جاره ، وغلامه ، وأجيره ، ولا يكون ذلك تعظيما ، وقد يبر الإنسان جاره والشيخ من أسرته ولا يسمى ذلك تعظيما ، وقد يوقر الإنسان من يخاف ضره ، ولا يسمى ذلك تعظيما ، وقد يتذلل المرء[٥١] للمتسلط الظالم ولا يسمى ذلك تعظيما ، وفرض على كل مسلم البراءة من أبويه الكافرين ، وعداوتهما فى الله عز وجل . قال الله عز وجل : لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه[٥٢]» .

وقال عز وجل : « قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء

---

(٤٨) فى (أ) : سقطت كلمة (الأعمال) .
(٤٩) فى (أ) : (الشهر الحرام) .
(٥٠) فى (خ) : سقطت (فى) .
(٥١) فى (أ) : الإنسان .
(٥٢) سورة المجادلة آية رقم ٢٢

منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوةُ والبغضاءُ أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده[٥٣]» .

وقال عز وجل : « وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو الله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم[٥٤]» .

فقد صح بيقين[٥٥] أن ما وجب للأبوين الكافرين من بر وإحسان وتذلل ليس هو التعظيم الواجب لمن فضله الله عز وجل [لأن التعظيم الواجب لمن فضله الله عز وجل][٥٦] هو مودة فى الله ومحبة فيه وولاية له ، وأما البر الواجب للأبوين الكافرين ، والتذلل لهما ، والاحسان إليهما ، فكل ذلك مرتبط بالعداوة لله تعالى وللبراءة منه ، واسقاط المودة كما قال الله تعالى فى نص القرآن وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : وقد يكون دخول الجنة اختصاصًا مجردًا دون عمل وذلك للأطفال كما ذكرنا قبل فإذا قد صح ما ذكرنا قبل يقينا بلا خلاف من أحد فى شيء منه فبيقين ندرى أنه لا تعظيم يستحقه أحد من الناس فى الدنيا بايجاب الله تعالى ذلك علينا بعد التعظيم الواجب علينا للأنبياء عليهم السلام أوجب ولا أوكد مما ألزمناه الله تعالى من التعظيم الواجب علينا لنساء النبى ﷺ بقول الله تعالى : « النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم[٥٧]» فأوجب الله لهن حكم الأمومة على كل مسلم هذا سوى حق إعظامهن بالصحبة لرسول[٥٨] الله ﷺ فلهن رضى الله تعالى عنهن مع ذلك[٥٩] حق الصحبة له كسائر الصحابة ، إلا أن لهن من الاختصاص فى الصحبة ووكيد الملازمة له عليه السلام ، ولطيف المنزلة عنده عليه السلام ، والقرب منه والحظوة لديه ، ما ليس لأحد من الصحابة رضى الله عنهم ، فهن أعلى درجة فى الصحبة من جميع الصحابة ، ثم فضل سائر الصحابة بحق زائد وهو حق الأمومة الواجبة لهن كلهن بنص القرآن ، فوجدنا الحق الذى به استحق الصحابة الفضل قد شاركنهم فيه وفضلنهم فيه أيضا ، ثم فضلنهم بحق زائد وهو حق الأمومية ثم وجدناهن لا عمل من الصلاة والصدقة والصيام والحج وحضور الجهاد يسبق فيه صاحب من الصحابة رضى الله عنهم إلا [ولهن فى ذلك مثل ما لغيرهم من الصحابة][٦٠] فقد

---

(٥٣) سورة الممتحنة آية رقم ٤

(٥٤) سورة التوبة آية رقم ١١٤

(٥٥) فى (خ) : (يقينا) .

(٥٦) ما بين القوسين سقط من (أ) .

(٥٧) سورة الأحزاب آية رقم ٦

(٥٨) فى (أ) : مع رسول الله .

(٥٩) فى (خ) : سقطت (مع ذلك) .

(٦٠) سقط من (أ) [ولهن فى ذلك مثل ما لغيرهم من الصحابة] .

كن يجهدن أنفسن فى ضيق عيشهن على الكد فى العمل بالصدقة والعتق ، ويشهدن الجهاد معه عليه السلام ، وفى هذا كفاية بينة فى أنهن أفضل من كل صاحب ، ثم لا شك عند كل مسلم وبشهادة نص القرآن إذ خيرهن الله عز وجل بين الدنيا وبين الدار الآخرة والله ورسوله فاخترن الله تعالى ورسوله ﷺ والدار الآخرة ، فهن أزواجه فى الآخرة بيقين فإذ[٦١] هن كذلك فهن معه ﷺ بلا شك فى درجة واحدة فى الجنة فى قصوره وعلى سرره ، إذ لا يمكن البتة أن يحال بينه وبينهن فى الجنة ولا أن ينحط عليه السلام إلى درجة يسفل فيها عن أحد من الصحابة ، هذا ما لا يظنه مسلم ، فإذ لا شك فى حصولهن على هذه المنزلة فبالنص والإجماع علمنا أنهن لم يؤتين ذلك اختصاصا مجردًا دون عمل بل باستحقاقهن لذلك باختيارهن الله ورسوله ، والدار الآخرة ، إذ أمره الله عز وجل أن يخيرهن [فقد حصل لهن أفضل الاختصاص أولًا بأن يخيرهن][٦٢] الله عز وجل لنبيه ﷺ وهو أفضل الناس ثم قد حصل لهن أفضل الأعمال من جميع الوجوه السبعة التى قدمنا آنفا والتى[٦٣] لا يكون التفاضل إلا بها فى الأعمال خاصة ، ثم قد حصل لهن على ذلك أوكد التعظيم فى الدنيا ثم قد حصل لهن أرفع الدرجات فى الآخرة فلا وجه من وجوه الفضل إلا ولهن فيه أعلى[٦٤] الحظوظ كلها بلا شك ، ومارية أم إبراهيم داخلة معهن فى ذلك لأنها معه عليه السلام فى الجنة ، ومع ابنها منه بلا شك ، فإذ قد ثبت كل ذلك على رغم الآبى فقد وجب ضرورة أن يشهد لهن كلهن بأنهن أفضل من جميع الخلق كله بعد الملائكة ، والنبيين عليهم السلام .

فكيف ومعنا نص من النبى ﷺ كما حدثنا أحمد بن محمد بن عبد الله الطلمنكى ، ثنا محمد بن أحمد بن مفرح ، ثنا محمد بن أيوب الرقى الصموت ، ثنا أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزاز ، ثنا أحمد بن عمر ، وحدثنا المعتمر بن سليمان اليتمى ، ثنا حميد الطويل ، عن أنس ابن مالك قال : قيل يا رسول الله : مَنْ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : عَائِشَةُ . قَالَ مِنْ الْرِجَالِ ؟ قَالَ : فأَبُوهَا إذن[٦٥].

حدثنا عبد الله بن يوسف بن نامى ، قال : حدثنا أحمد بن فتح ، حدثنا عبد الوهاب ابن قيس ، حدثنا أحمد بن محمد الأشقر ، حدثنا أحمد بن على القلانسى ، ثنا مسلم ابن الحجاج ، ثنا يحيى بن يحيى بن خالد بن عبد الله هو الطحان ، عن خالد الْحَذاءُ ، عن

(٦١) فى (خ) : فما ومن ذلك .
(٦٢) فى (أ) : سقط ما بين القوسين .
(٦٣) فى (أ) : (أنه) .
(٦٤) فى (أ) : (أولى) .
(٦٥) الحديث أخرجه الترمذى فى المناقب ، باب مناقب عائشة – رضى الله عنها – وهو حديث صحيح ولفظه عند الترمذى : قيل يا رسول الله من أحب الناس إليك ..؟ قال عائشة ، قيل من الرجال ..؟ قال : أبوها .

أبى عُثْمانَ النَّهْدِىَّ ، قال أخبرنى عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ بعثه إلى جيش ذَاتِ السَّلاسَلِ قال فأتيته فقلت : أى الناس أحب اليك ؟ فقال : عائشة قلت : من الرجال ؟ قال : أبوها ، قلت : ثم من ؟ قال : عمر . فعد رجالا .

فهذان عدلان أنس ، وعمرو ، يشهدان أن رسول الله ﷺ أخبر بأن عائشة أحب الناس إليه ثم أبوها ، وقد قال الله عز وجل عنه عليه السلام « وما ينطق عن الهوى » إن هو إلا وحى يوحى(٦٦)» .

فصح أن كلامه عليه السلام بأنها أحب الناس إليه وحى أوحاه الله تعالى إليه ليكون كذلك ويخبر بذلك لا عن هوى له ، ومن ظن ذلك فقد كذب الله تعالى لكن لاستحقاقها لذلك الفضل فى الدين والتقدم فيه على جميع الناس الموجب لأن يحبها رسول الله ﷺ أكثر من محبته لجميع الناس فقد فضلها رسول الله ﷺ على أبيها ، وعلى عمر ، وعلى على وفاطمة ، رضى الله عن جميعهم تفضيلا ظاهرا بلا شك .

فإن قال قائل : نقل أن إبراهيم ابن رسول الله ﷺ أفضل من أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، رضى الله عنهم أجمعين لكونه مع أبيه عليه السلام فى الجنة فى درجة واحدة ، قلنا له : وبالله تعالى التوفيق

إن إبراهيم ابن رسول الله ﷺ ، لم يستحق تلك المنزلة بعمل كان منه ، وإنما هو اختصاص مجرد ، وإنما تقع المفاضلة بين الفاضلين إذا كان فضلهما واحدا من وجه واحد فتفاضلا فيه ، وأما إذا كان الفضل من وجهين إثنين فلا سبيل إلى المفاضلة بينهما لأن معنى قول القائل : أى هذين أفضل ؟ إنما هو أى هذين أكثر أوصافا فى الباب الذى اشتركا فيه ؟ ألا ترى أنه لا يقال : أيهما أفضل : رمضان ، أو ناقة صالح ؟ ولا أيهما أفضل : الكعبة أو الصلاة ؟ بل نقول أيهما أفضل مكة أو المدينة ؟ وأيهما أفضل رمضان أو ذو الحجة ؟ وأيهما أفضل الزكاة أم الصلاة ؟ وأيهما أفضل ناقة صالح أو ناقة غيره من الأنبياء ؟ فقد صح أن التفاضل إنما يكون فى وجه اشترك فيه المسئول عنهما فسبق أحدهما فيه ، فاستحق أن يكون أفضل ، وفضل إبراهيم ليس على عمل أصلا ، وإنما هو اختصاص مجرد واكرام لأبيه ﷺ ، وأما نساؤه عليه السلام [فكونهن وكون سائر أصحابه عليهم السلام](٦٧) فى الجنة إنما هو جزاء لهن ولهم على أعمالهن وأعمالهم ، قال الله تعالى : « جزاءً بما كانوا يعملون(٦٨)» .

(٦٦) سورة النجم آية رقم ٣ ، ٤
(٦٧) سقط من (خ) ما بين القوسين .
(٦٨) سورة الأحقاف آية رقم ١٤

وقال بعد ذكر الصحابة : « وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما(٦٩) » .

وقال تعالى مخاطبا لنسائه عليه السلام : « ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين(٧٠) » وهذا نص قولنا ولله الحمد .

وقال تعالى : « وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون(٧١) » .

وقال تعالى : « غرف من فوقها غرف مبنية(٧٢) » .

وقال تعالى : « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى(٧٣) » .

فإن قال قائل : فكيف تقولون فى قوله عليه السلام : ؟ « لَنْ يَدْخَلَ الْجَنَّةَ أَحَدٌ بِعَمَلِه قِيلَ : وَلَا أَنْتَ يا رَسُولَ الله . قَالَ : وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِى الله بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفضْلٍ(٧٤) » قلنا : نعم هذا حق موافق للآيات المذكورة .

وهكذا نقول إنه لو عمل الإنسان دهره كله ما استحق على الله تعالى شيئا لأنه لا يجب على الله تعالى شيء إذ لا موجب للأشياء الواجبة غيره تعالى لأنه المبتدى لكل ما فى العالم والخالق له فلولا أن الله تعالى رحم عباده فحكم بأن طاعتهم له يعطيهم بها الجنة لما وجب ذلك عليه فصح أنه لا يدخل أحد الجنة بعمله مجردًا دون رحمة الله تعالى لكن يدخلها برحمة الله تعالى التى جعل بها الجنة جزاء على أعمالهم التى أطاعوه بها ، فاتفقت الآيات مع هذا الحديث والحمد لله رب العالمين .

قال أبو محمد : فإذ لا شك فى هذا كله فقد امتنع يقينًا أن يجازى بالأفضل من كان أنقصَ فضلًا ، وأن يجازى بالأنقص من كان أتم فضلا ، وصح ضرورة أنه لا يجزى أحد من أهل الأعمال فى الجنة إلا بما استحقه برحمة الله تعالى جزاء على أعماله [وأما من لم تكن الجنة له جزاء

---

(٦٩) سورة الفتح آية رقم ٢٩

(٧٠) سورة الأحزاب آية رقم ٣١

(٧١) سورة الزخرف آية رقم ٧٢ وقد جاءت هذه الآية محرفة فى (أ) : وفى (خ) : فى لم يذكر (الواو) وفى (أ) : لم يذكر (التى) .

(٧٢) سورة الزمر آية رقم ٢٠

(٧٣) سورة النجم آية رقم ٤١

(٧٤) الحديث رواه البخارى فى الرقاق ١٨ ، والمرض ١٩ ، ورواه مسلم فى المنافقين ٧١ - ٧٣ - ٧٥ - ٧٦ - ٧٨ وابن ماجه فى الزهد ٢٠ وأحمد بن حنبل فى المسند حـ ٢ ص ٢٣٥ ولفظه عند ابن ماجه : قال رسول الله - ﷺ - قاربوا وسددوا ، فإنه ليس أحدُ منكم بمنجيه عملُه قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا نا إلا أن يتغمدنى الله برحمة منه وفضل .

على عمله][٧٥] فـلله تعالى أن يتفضل على من شاء بما شاء وجائز أن يقدم على ذوى الأعمال الرفيعة .

قال تعالى : « يختص برحمته من يشاء[٧٦] » .

وقال تعالى : « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء[٧٧] » .

فلا يجوز خلاف هذه النصوص لأحد ، من خالفها كذب القرآن ، ولولا هذه النصوص لما أبعدنا أن يعذب الله تعالى على الطاعة له ، وأن ينعم على معصيته ، وأن يجازى الأفضل بالأنقص ، والأنقص بالأفضل ، لأن كل شيء ملكه وخلقه ، لا مالك لشيء سواه ولا معقب لحكمه ، ولا حق لأحد عليه ، لكن قد أمنا ذلك كله بأخبار الله تعالى أنه لا يجازى ذا عمل إلا بعمله ، وأنه يتفضل على من يشاء فلزم الاقرار بكل ذلك . وبالله تعالى التوفيق .

فلو قال قائل أيما أفضل فى الجنة وأعلى قدرًا مكان إبراهيم ابن رسول الله ﷺ أو مكان أبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم ؟ قلنا : مكان إبراهيم أعلى بلا شك ، ولكن ذلك المكان اختصاص مجرد لإبراهيم المذكور ، لم يستحقه بعمل ولا استحق أيضا أن يقصر به عنه ، ومواضيع هؤلاء المذكورين جزاء لهم على قدر فضلهم وسوابقهم وكذلك نساؤه ﷺ مكانهن جزاء لهن على قدر فضلهن وسوابقهن ، فلا يقال إن إبراهيم ابن رسول الله ﷺ أفضل من أبى بكر أو عمر ، ولا يقال أيضا إن أبا بكر وعمر أفضل من إبراهيم ، والمفاضلة واقعة بين الصحابة ، وبين نساء رسول الله ﷺ لأن أعمالهم وسوابقهم لها مراتب متناسبة بلا شك .

فإن قال قائل : إنهن لولا رسول الله ﷺ ما حصلن تلك الدرجة ، وإنما تلك الدرجة له عليه السلام .

قلنا : وبالله تعالى التوفيق .

نعم ولا شك أيضا فى أن جميع الصحابة لولا رسول الله ﷺ ما حصلوا أيضا على الدرج التى لهم فيها ، فإنما هى إذا على قولكم لرسول الله ﷺ كما قلتم ولا فرق ، وبقى الفضل والتقدم لهن كما كان فى كل ذلك ولا فرق .

قال أبو محمد : وأما فضلهن على بنات النبى ﷺ فبين بنص القرآن لا شك[٧٨] فيه . قال الله عز وجل : يا نساء النبى لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول[٧٩] » فهذا بيان

(٧٥) فى (أ) : سقط ما بين القوسين .
(٧٦) سورة البقرة آية رقم ١٠٥ وآل عمران آية رقم ٧٤
(٧٧) سورة الحديد آية رقم ٢١
(٧٨) فى (خ) : (لا إشكال) .
(٧٩) سورة الأحزاب آية رقم ٣٢

قاطع لا يسع أحدا جهله فإن عارضنا معارض بقول رسول الله ﷺ : « خَيْرُ نِسَائِهَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ[٨٠]» .

قلنا له وبالله تعالى التوفيق : فى هذا الحديث بيان جلى لما قلنا وهو أنه عليه السلام لم يقل خير النساء فاطمة ، وإنما قال : خير نسائها فخص ولم يعم ، وتفضيل الله عز وجل لنساء النبى ﷺ على النساء عموم لا خصوص ، لا يجوز أن يستثنى منه أحد إلا من استثناه نص آخر ، فصح أنه عليه السلام إنما فضل فاطمة على نساء المؤمنين بعد نسائه ﷺ فاتفقت الآية مع الحديث .

وقال رسول الله ﷺ : « فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ[٨١]» فهذا أيضا عموم موافق الآية ، ووجب أن يستثنى ما خصه ﷺ بقوله : نسائها من هذا العموم فصح أن نساءه عليه السلام أفضل النساء جملة حاشا اللواتى خصهن الله تعالى بالنبوة كأم اسحاق ، وأم موسى ، وأم عيسى ، عليهم السلام وقد نص الله تعالى على هذا بقوله الصادق : « يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين[٨٢]» ولا خلاف بين المسلمين فى أن جميع الأنبياء كل نبى منهم أفضل ممن ليس بنبى من سائر الناس ، ومن خالف هذا فقد كفر كذلك أخبر عليه السلام فاطمة أنها سيدة نساء المؤمنين ، ولم يدخل نفسه ﷺ فى هذه الجملة بل أخبر عمن سواه ، وبرهان آخر وهو قول الله تعالى مخاطبا لهن : « ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين[٨٣]» .

قال أبو محمد : فهذا فضل ظاهر وبيان لائح فى إنهن أفضل من جميع الصحابة رضى الله عنهم ، وصح[٨٤] بهذه الآية صحة متيقنة لا يمترى فيها مسلم أن أبا بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وفاطمة ، وسائر الصحابة رضى الله عنهم إذا عمل الواحد منهم عملا يستحق عليه مقدارًا ما من الأجر ، وعملت امرأة من نساء النبى ﷺ مثل ذلك العمل بعينه كان لها مثل ذلك المقدار من الأجر ، فإذا كان نصيب[٨٥] الصحابى وفاطمة رضى الله عنهم يفى بأكثر من مثل جبل أحد

---

(٨٠) الحديث رواه الترمذى رقم ٣٨٨٨ فى المناقب باب مناقب خديجة أم المؤمنين – رضى الله عنها ورواه أيضًا أحمد فى المسند وابن حبان رقم ٢٢٢٢ والحاكم ١٥٧/٣ وقال الترمذى هذا حديث حسن غريب ولفظه عند الترمذى : حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد – ﷺ ، وآسية امرأة فرعون .

(٨١) الحديث أخرجه البخارى ٧٣/٧ فى فضائل أصحاب النبى – ﷺ : باب فضل عائشة ، ومسلم رقم ٢٤٤٦ فى فضائل الصحابة باب فضل عائشة ، والترمذى رقم ٣٨٨١ فى المناقب باب مناقب عائشة رضى الله عنها ولفظه عند البخارى : فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام .

(٨٢) سورة آل عمران آية رقم ٤٢ ، ٤٣

(٨٣) سورة الأحزاب آية رقم ٣١

(٨٤) سقط من (أ) كلمة (وصح) .

(٨٥) فى (أ) : و (خ) نصيف وهو تحريف .

ذهبا ممن بعدهم كان للمرأة من نسائه عليه السلام فى نصيفها أكثر من مثلى جبلين إثنين ، مثل جبل أحد ذهبًا ، وهذه فضيلة ليست لأحد بعد الأنبياء عليهم السلام إلا لهن ، وقد صح عن النبى ﷺ أنه يُوعَكُ كَوَعْكِ رَجُلَيْن مِنْ أَصْحَابه لِأَنَّ لَهُ عَلى ذَلِكَ كِفْلَيْنِ مِنْ الأَجْرِ(٨٦)» .

[قال أبو محمد : وليس بعد هذا فى بيان فضلهن على كل أحد من الصحابة ، منكر(٨٧) إلا من أعمى الله قلبه عن الحق ، ونعوذ بالله من الخذلان](٨٨).

قال أبو محمد : وقد اعترض علينا بعض أصحابنا فى هذا المكان بقول الله تعالى عن أهل الكتاب إذ آمنوا : أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا(٨٩)» قال فيلزم أنهم أفضل منا فقلت له إن هذه الآية والخبر الذى فيه ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين . فذكر مؤمن أهل الكتاب والعبد الناصح ومعتق أمته(٩٠) ثم يتزوجها » .

فيهما بيان الوجه الذى أجروا به مرتين وهو الإيمان بالنبى ﷺ وبالنبى الأول المبعوث بالكتاب الأول ونحن نؤمن بهذا كله كما آمنوا فنحن شركاء ذلك المؤمن منهم فى ذينك الإيمانين ، وكذلك العبد الناصح يؤجر لطاعة سيده أجرًا ولطاعة الله أجرًا ثانيًا(٩١)، وكذلك معتق أمته ثم يتزوجها يؤجر على عتقه أجرا ثم على نكاحه إذا أراد به وجه الله تعالى أجرا ثانيًا ، فصح بالنص يقينا أن هؤلاء إنما يؤتون أجرهم مرتين فى خاص من أعمالهم لا فى جميع أعمالهم وليس فى هذا ما يمنع من أن يؤجر غيرهم فى غير هذه الأعمال أكثر من أجور هؤلاء ، وأيضا فإنما يضاعف لهؤلاء على ما عمله أهل طبقتهم وليست المضاعفة لأجور نساء النبى ﷺ مرتين من هذا فى ورد ولا صدر لأن المضاعفة لهن إنما هى فى كل عمل عملته بنص القرآن إذ يقول تعالى « ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين(٩٢)» فكل عمل عمله صاحب من الصحابة له فيه أجر ، فلكل امرأة منهن فى مثل ذلك العمل أجران ، والمضاعفة لهن إنما تكون على ما عمله طبقتهن من الصحابة ، وقد علمنا أن بين عمل الصاحب وعمل غيره أعظم مما بين أحد ذهبا ونصف مد شعير فيقع لكل واحدة منهن مثل ذلك مرتين ، وهذا لا يخفى على ذى حس سليم ، فبطلت المعارضة التى ذكرناها والحمد لله رب العالمين .

---

(٨٦) الحديث رواه البخارى فى المرض ٣ ، ١٣ ، ١٦ ورواه مسلم فى البر ٤٥ والدارمى فى الرقاق ٥٧ وأحمد بن حنبل جـ ١ ص ٣٨١ ولفظه عند مسلم عن عبد الله قال : دخلت على رسول الله - ﷺ وهو يُوعك فمسسته بيدى فقلت يا رسول الله إنك لتوعك وعكًا شديدًا فقال رسول الله - ﷺ أجل إنى أوعك كما يوعك رجلان منكم » .

(٨٧) فى (خ) : مؤمن ولا يستقيم المعنى بوجودها ولعل الأنسب « منكر » .

(٨٨) ما بين القوسين سقط من (أ) .

(٨٩) سورة القصص آية رقم ٥٤

(٩٠) فى (خ) : (أمة) .

(٩١) سقط من (أ) (ثانيًا) .

(٩٢) سورة الأحزاب آية رقم ٣١

قال أبو محمد : واعترض علينا أيضا بعض الناس فى الحديث الذى فيه أن عائشة أحب الناس إليه ، ومن الرجال أبوها بأن قال قد صح عن النبى ﷺ أنه قال لأسامة بن زيد : « إِنَّ أَبَاهَ كَانَ أَحَبَّ النَاسِ إِلىَّ وإِنَّ هَذَا أَحبُ النَّاسِ إِلَّى بَعْدَهُ(٩٣) وصح أنه عليه السلام قال للأنصار إِنَّكُمْ أَحَبُ النَاسِ إِلىَّ(٩٤) » .

قال أبو محمد : وأما هذا اللفظ الذى فى حديث أسامة بن زيد إنه أحب الناس إليه عليه السلام ، فقد روى من طريق حماد بن سلمة عن موسى بن عقبة ، عن سالم عن أبيه ، وأما الذى فيه ذكر أسامة وزيد رضى الله عنهما فإنما رواه عمر بن حمزة عن سالم بن عبد الله عن أبيه وعمر ابن حمزة هذا ضعيف ، والصحيح من هذا الخبر هو ما رواه عَبْدِ الله بنْ دِينَارٍ ، عن ابْنَ عُمَرَ عن النبى ﷺ باسناد لا مغمز فيه فذكر فيه أنه عليه السلام قال يعنى زيد بن حارثة وَأَيْمُ الله إِنْ كَانَ لَخَليقًا للإِمْرَةِ وَإِنْ كَانَ لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلىَّ وإِنَّ هَذَا لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلىَّ بَعْدَهُ(٩٥) » .

وهذا يقضى على حديث موسى بن عقبة عن سالم عن أبيه لأنه مختصر من حديث عبد الله ابن دينار ، وبهذا ينتفى التعارض بين الروايتين عن ابن عمر وعن أنس ، وعمرو ، وإلا فليس أحدهما أولى من الآخر .

وأما حديث الأنصار فرووه كما ذكره هشام بن زيد ، عن أنس ورواه عبد العزيز ابن صهيب ، عن أنس عن رسول الله ﷺ أنه قال أَنْتُمْ مِنْ أَحبِّ النَّاسَ إِلىَّ(٩٦) » .

وهو حديث واحد ، وزيادة العدل مقبولة ، فصح بزيادة من فى الحديث من طريق العدول أن الأنصار وزيدًا وأسامة رضى الله عنهم من جملة قوم هم أحب الناس إلى رسول الله ﷺ ، وهذا حق لا يشك فيه ، لأنهم من أصحابه ، وأصحابه أحب الناس إليه بلا شك ، وليس هكذا جوابه فى عائشة رضى الله عنها إذ سئل من أحب الناس إليك ؟ فقال : عائشة . فقيل من الرجال ؟ قال : أبوها ، لأن هذا قطع على بيان ما سأل عنه السائل من معرفة من المنفرد البائن عن الناس بمحبته عليه السلام .

واعترض أيضًا علينا بعض الأشعرية بأن قال : إن الله تعالى يقول : « إنك لا تهدى من

(٩٣) حديث أسامة رواه البخارى ومسلم .

(٩٤) الحديث رواه البخارى ٨٧/٧ فى فضائل أصحاب النبى – ﷺ – باب قول النبى – ﷺ للأنصار : أنتم أحب الناس إلى ، وفى النكاح ورواه مسلم رقم ٢٥٠٨ فى فضائل الصحابة : باب من فضائل الأنصار – رضى الله عنهم ولفظه عند البخارى : والذى نفسى بيده : إنكم لأحب الناس إلىَّ مرتين وفى رواية ثلاث مرات .

(٩٥) الحديث رواه البخارى ٦٩/٧ فى فضائل أصحاب النبى – ﷺ – باب مناقب زيد بن حارثه ، وفى المغازى باب غزوة زيد بن حارثة ومسلم رقم ٢٤٢٦ فى فضائل الصحابة باب فضائل زيد بن حارثة وأسامة بن زيد – رضى الله عنهما والترمذى رقم ٣٨١٩ فى المناقب باب مناقب أسامة بن زيد ولفظه عند البخارى إن تطعنوا فى امارته فقد كنتم تطعنون فى امارة أبيه من قبل ، وأيم الله إن كان لخليقا للامارة وإن كان لمن أحب الناس إلى ، وإن هذا لمن أحب الناس إلىَّ بعده » .

(٩٦) سبق تخريج هذا الحديث ص ٣٣٠ .

أحببت ولكن الله يهدى من يشاء[٩٧]» فصح أن محبته عليه السلام لمن أحب ليس فضلا ، لأنه قد أحب عمه وهو كافر !

قال أبو محمد : فقلنا إن هذه الآية ليست على ما ظن وإنما مراد الله تعالى : « إنك لا تهدى من أحببت أى أحببت هداه .

برهان ذلك قوله تعالى : « ولكن الله يهدى من يشاء » .

أى من يشاء هداه وفرض على النبى ﷺ وعلينا أن نحب الهدى لكل كافر ، لا أن نحب الكافر ، وأيضا : فلو صح أن معنى الآية من أحببته كما ظن هذا المعترض لما كان علينا بذلك حجة لأن هذه آية مكية نزلت فى أبى طالب ثم أنزل الله تعالى فى المدنية : لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم[٩٨]» وأنزل الله تعالى فى المدنية « قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده[٩٩]» .

وإن كان رسول الله ﷺ أحب أبا طالب فقد حرم الله تعالى عليه بعد ذلك ونهاه عن محبته ، وافترض عليه عداوته ، وبالضرورى يدرى كل ذى حس سليم أن العداوة والمحبة لا يجتمعان أصلا .

والمودة : هى المحبة فى اللغة التى بها نزل القرآن ، بلا خلاف من أحد من أهل اللغة . فقد بطل أن يحب النبى ﷺ أحدا غير مؤمن وقد صحت النصوص والاجماع على أن محبة الرسول ﷺ لمن احب فضيلة وكذلك كقوله عليه السلام لعلى : « لَأُعْطِيَنَّ الْرايةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُ الله وَرَسُولَه وَيُحبُّه الله وَرَسُولُه[١٠٠]» فإذ لا شك ولا خلاف فى أن محبة رسول الله ﷺ بخلاف ما قال أهل الجهل والكذب . فقد صح يقينا أن كل من كان أتم حظا فى الفضيلة فهو أفضل ممن هو أقل فى تلك الفضيلة هذا شىء يعلم ضرورة .

فإذا كانت عائشة أتم حظا فى المحبة التى هى أتم فضيلة فهى أفضل ممن حظه فى ذلك أقل من حظها ، وكذلك لما قيل له عليه السلام من الرجال قال أبوها ، ثم عمر ، فكان ذلك موجبا

---

(٩٧) سورة القصص آية رقم ٥٦

(٩٨) سورة المجادلة آية رقم ٢٢

(٩٩) سورة الممتحنة آية رقم ٤ وقد جاءت هذه الآية محرفة فى (خ) حيث قال (كان) وفى (أ) محرفة بزيادة (لـ) فى قد وفى (خ) أيضًا .

(١٠٠) الحديث رواه البخارى ٥٧/٧ و ٥٨ فى فضائل أصحاب النبى - ﷺ باب مناقب على بن أبى طالب - رضى الله عنه ، وفى الجهاد باب دعاء النبى - ﷺ إلى الإسلام والنبوة ومسلم رقم ٢٤٠٦ فى فضائل الصحابة باب من فضائل على بن أبى طالب - رضى الله عنه .

لفضل أبى بكر ثم عمر على سائر الصحابة رضى الله عنهم ، فالحكم بالباطل لا يجوز فى أن يكون يقدم أبو بكر ، ثم عمر فى الفضل من أجل تقدمهما فى المحبة عليهما ، وما نعلم نصا فى وجوب القول بتقديم أبى بكر ثم عمر على سائر الصحابة إلا هذا الخبر وحده .

قال أبو محمد : وقد نص النبى ﷺ على ما ينكح له النساء فذكر الحسب والمال والجمال والدين[١٠١] ونهى ﷺ عن كل ذلك بقوله « فَعَلَيْكَ بذاتِ الدِّين تَرِبَتْ يَدَاكَ[١٠٢]» .

فمن المحال الممتنع أن يكون عليه السلام يحض على نكاح النساء واختيارهن للدين فقط ثم يكون هو عليه السلام يخالف ذلك فيحب عائشة لغير الدين وكذلك قوله عليه السلام : فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام[١٠٣]» .

لا يحل لمسلم أن يظن فى ذلك شيئا غير الفضل عند الله تعالى فى الدين ، فوصف الرجل امرأته للرجال[١٠٤] لا يرضى به إلا خسيس نذل ساقط ولا يحل لمن له أدنى مسكة من عقل أن يمر هذا بباله عن فاضل من الناس فكيف عن المقدس ، المطهر ، البائن فضله على جميع الناس ، ﷺ .

قال أبو محمد : ولولا أنه بلغنا عن بعض من تصدر لنشر العلم من أهل[١٠٥] زماننا وهو المهلب بن أبى صفرة[١٠٦] التيمى ، صاحب عبد الله بن إبراهيم الأصيل ، أنه أشار إلى هذا المعنى القبيح وصرح به ما انطلق لنا بالايماء إليه لسان ، ولكن المنكر إذا ظهر وجب على المسلمين تغييره فرضا على حسب طاقتهم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

قال أبو محمد : وكذلك عَرْضُ الملك لها رضى الله عنها على رسول الله ﷺ قبل ولادتها فى سرقة من حرير يقول له هذه زوجتك فيقول عليه السلام : إن يكن من عند الله يمضه[١٠٧] فهل بعد هذا فى الفضل غاية .

---

(١٠١) سقط من (خ) (الدين) .

(١٠٢) الحديث رواه البخارى فى النكاح ١٥ ، ومسلم فى الرضاع ٤ ، ٦ ، ٨ ، ٥٣ ، ٥٤ والفتن ٨٦ ، ورواه أبو داود فى النكاح ٣ والترمذى فى النكاح ٤ وابن ماجه فى النكاح ٦ ، ٣٨

(١٠٣) سبق تخريج هذا الحديث .

(١٠٤) سقط من (أ) كلمة (الرجال) .

(١٠٥) سقط من (أ) كلمة (أهل) .

(١٠٦) المهلب بن أبى صفرة ظالم بن سراق الأزدى ، أمير بطاش قال فيه عبد الله بن الزبير : هذا سيد أهل العراق ، نشأ بالبصرة وقدم المدينة مع أبيه فى أيام عمر ، وولى امارة البصرة لمصعب بن الزبير ، وولاه عبد الملك بن مروان ولاية خراسان ، ومات فيها سنة ٨٣ هـ . (الاصابة : ت ٨٦٣٥) .

(١٠٧) الحديث رواه الترمذى فى أبواب المناقب من فضل عائشة – رضى الله عنها رقم ٩٦٧ ورواه الإمام مسلم فى كتاب فضائل الصحابة – باب فى فضل عائشة – رضى الله عنها ولفظه عند مسلم : قال رسول الله – ﷺ – أريتك فى المنام ثلاث ليال جاءنى بك الملك فى سَرَقَة « الشقق البيضاء من الحرير » من حرير فيقول هذه امرأتك ، فاكشف عن وجهك فإذا أنت هى ، فأقول : إن يك هذا من عند الله يمضه .

قال أبو محمد : واعترض علينا مكى بن أبى طالب المقرى(١٠٨)، بأن قال : يلزم على هذا أن تكون امرأة أبى بكر أفضل من على ، لأن امرأة أبى بكر مع أبى بكر فى الجنة فى درجة واحدة ، وهى أعلى من درجة على ، فمنزلة امرأة أبى بكر أعلى من منزلة على ، فهى أفضل من على .

قال أبو محمد : فأجبناه بأن قلنا له وبالله تعالى نتأيد ان هذا الاعتراض ليس بشىء لوجوه : أحدها : أن ما بين درجة أبى بكر ودرجة على فى الفضل الموجب لعلو درجته فى الجنة على درجة على ، ليست من التباين بحيث هو ما بين درجة النبى ﷺ وبين درجة أبى بكر فى الفضل الموجب لعلو درجته عليه السلام على درجات سائر الصحابة رضى الله عنهم ، بل قد أيقنا أن درجة أقل منا فى الفضل أقرب نسبة من أعلى درجة لأعلى رجل من الصحابة من نسبة درجة أفضل الصحابة إلى درجة النبى ﷺ ، وأيضا فليس بين أبى بكر وعلى فى المباينة فى الفضل ما يوجب أن تكون امرأة أبى بكر التابعة له أفضل من على بل منازل المهاجرين الأولين الذين أوذوا فى سبيل الله عز وجل متقاربة وإن تفاضلت ، ثم كذلك أهل السوابق مشهدا مشهدا ، درجهم فى الفضل متقاربة ، وإن تفاضلت ثم منازل الأنصار الأولين متقاربة وإن تفاضلت ثم كذلك أهل السوابق(١٠٩) بعد الهجرة مشهدًا مشهدًا درجهم متقاربة فى الفضل ثم كذلك من أسلم بعد الفتح أيضا ويزداد الأفضل فالأفضل من المشركين فى المشاهد جزاء على ذلك فنقول : إن امرأة أبى بكر المستحقة بعملها الكون معه فى درجته مثل أم رومان ، لسنا ندرى أهى أفضل أم على ..؟ لأنه لا نص معنا فى ذلك والتفضيل لا يعرف إلا بنص .

وقد قال عليه السلام : « خَيْرُكُمْ الْقَرْن الَّذِى بُعِثْتُ فِيه ثُمَّ الَّذِين يَلُونَهمْ ثُمَّ الْذِيَن يَلُونَهم – أو كما قال عليه السلام(١١٠) فجعلهم طبقات فى الخير والفضل فلا شك هم كذلك فى الجزاء فى الجنة وإلا فكان يكون الفضل لا معنى له .

وقال عز وجل : هل تجزون إلا ما كنتم تعملون(١١١)» .

وأيضا فلسنا نشك أن المهاجرات الأوليات من نساء الصحابة رضى الله عنهم يشاركن الصحابة فى الفضل ، ففاضلة ومفضولة وفاضل ومفضول ، ففيهن من يفضل كثيرًا من الرجال ،

---

(١٠٨) مكى بن أبى طالب حموش بن محمد بن مختار الأندلس القيسى أبو محمد مقرىء عالم بالتفسير والعربية ، من أهل القيروان ولد فيها ، وطاف فى بعض بلاد المشرق وسكن قرطبة ٣٩٣ هـ وتوفى فيها سنة ٤٢٧ هـ من كتبه « الهداية إلى بلوغ النهاية » و« التبصرة فى القرآت السبع » . (وفيات الأعيان حـ ٢ ص ١٢٠) .

(١٠٩) فى (أ) : السابق .

(١١٠) الحديث رواه البخارى فى الشهادات ٩ ، وفضائل أصحاب النبى ١ ورواه الترمذى فى الفتن ٤٥ والشهادات ٤ ومناقب ٥٦ ورواه ابن ماجه فى الأحكام ٢٧ واحمد بن حنبل فى المسند حـ ١ ص ٣٧٨ ، ٤١٧ ، ٤٣٤ ولفظه عند ابن ماجه : سئل رسول الله – ﷺ – أى الناس خير : قال قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجىء قوم تبدر شهادة أحدهم يمينه ، ويمينه شهادته .

(١١١) سورة النمل آية رقم ٩٠

وفى الرجال من يفضل كثيرا منهن ، وما ذكر الله تعالى منزلة من الفضل الا وقرن النساء مع الرجال فيها كقوله تعالى « إن المسلمين والمسلمات(١١٢)» الآية حاشا الجهاد فإنه فرض على الرجال دون النساء ، ولسنا ننكر أن يكون لأبى بكر رضى الله عنه قصور ومنازل مقدمة على جميع الصحابة ، ثم يكون لمن لم تستأهل من نسائه تلك المنزلة منازل فى الجنة دون منازل من هو أفضل منهن من الصحابة ، فقد نكح الصحابة رضى الله عنهم التابعيات ، بعد الصحابيات وعليهن فتكون تلك المنازل زائدة فى فضل أزواجهن من الصحابة فينزلون إليهن ثم ينصرفون إلى منازلهن العالية .

بل قد صح هذا عن النبى ﷺ وأنه قال كلاما معناه وأكثر نصه أنه عليه السلام : « زَعِيمُ بَيْتٍ فِى رَبَضِ الجَّنةَ وَفِى وَسَطِ الجَنَّةِ وَفِى أَعْلَى الْجنَّةِ لِمَنْ فَعَلَ كَذَا(١١٣)» أمرًا وصفه رسول الله ﷺ .

فصح نص ما قلنا من أن لمن دونه عليه السلام منازل عالية وأُخر سفلة عن تلك المنازل ينزلون إليها ثم يصعدون إلى الأعالى وهذا مبعد عن النبى ﷺ لوجهين أحدهما : أن جميع نسائه عليه السلام لهن حق الصحبة التى شركن(١١٤) فيها جميع الصحابة وتفضيلنهم فيها بقرب الخاصة فليس فى نسائه عليه السلام ولا واحدة يفضلها بالصحبة التى هى فضيلتهم التى بها بانوا عمن سواهم فقط وقد كفينا هذا(١١٥) الباب .

والوجه الثانى : أن تأخر بعض الصحابة عن بعضهم فى بعض الأماكن(١١٦) موجود وإن كان ذلك المتأخر(١١٧) فى بعض الأماكن متقدما فى مكان آخر فقد علمنا أن بلالا عذب فى الله عز وجل ما لم يعذب على ، وأن عليا قاتل ما لم يقاتل بلال ، وأن عثمان أنفق ما لم ينفق بلال ، ولا على فيكون المفضول منهم فى الجملة متقدمًا للذى فضله فى بعض فضائله ، ولا سبيل إلى(١١٨) أن يوجد هذا فيما بينهم وبين النبى ﷺ ، ولا يجوز أن يتقدمه أحد من ولد آدم فى شىء من الفضائل أولها عن آخرها ، ولا إلى أن يلحقه لا حق فى شىء من الفضائل من بنى آدم فلا سبيل إلى أن ينزل(١١٩) النبى ﷺ إلى درجة يوازيه فيها صاحب من الصحابة فكيف أن يعلو عليه

---

(١١٢) سورة الأحزاب آية رقم ٣٥

(١١٣) الحديث رواه أبو داود فى الأدب ٧ ، والترمذى فى البر ٥٨ والنسائى فى الجهاد ١٩ وابن ماجه فى المقدمة ٧ ولفظه عند ابن ماجة : قال رسول الله – ﷺ : « من ترك الكذب وهو باطل : بنى له قصر فى رَبَضِ الجنة ، ومن ترك المِراء وهو محق بُنى له فى وسطها . ومن حسن خلقه بُنى له فى أعلاها »

(١١٤) فى (أ) : يشتركن .

(١١٥) سقط من (أ) (هذا) .

(١١٦) سقط من (خ) الأماكن .

(١١٧) فى (خ) : التأخر .

(١١٨) سقط من (أ) إلى .

(١١٩) فى النسختين (أ) (و خ) ينسفل .

الصاحب ..؟ هذا أمر تقشعر منه جلود المؤمنين ، وقد استعظم أبو أيوب الأنصارى[١٢٠] رضى الله عنه أن يسكن فى غرفة على بيت يسكنه النبى ﷺ فكيف يظن بأن هذا يكون فى دار الجزاء فإذا كان العالى من الصحابة فى أكثر منازله ينسفل أيضا فى بعضها عن صاحب آخر قد علاه فى منازل أخر على قدر تفاضلهم فى أعمالهم كما ذكرنا آنفا فقد أخبر النبى ﷺ : « أَنَّ الْصَائِمينَ يُدْعَوْنَ مِنَ بَابَ الريَّانَ ، وَأَنَّ الْمجُاهِدينَ يُدْعَوْنَ مِنْ بَابِ الجِهَادِ ، وَأَنْ المُتَصَدِقين يُدْعَونَ مِنْ بَابِ الْصَدقَةَ وَأَنَّ أَبَا بَكْرٍ يَرْجُو لَهُ رَسُولِ الله ﷺ أَنْ يُدْعَى مِنْ جَميعِ تِلكَ الْأَبْوَابِ[١٢١]» وقد يجوز أن يفضل أبا بكر رضى الله عنه غيره من الصحابة فى بعض تلك الوجوه ممن انفرد بباب منها ولا يجوز أن يفضل أحد رسول الله ﷺ فى شىء من أبواب البر ، فبطل هذا الاعتراض جملة والحمد لله رب العالمين .

واعترض أيضا علينا مكى بن أبى طالب بأن قال إذا كان رسول الله ﷺ أفضل من موسى عليه السلام ، ومن كل واحد من الأنبياء عليهم السلام ، وكان عليه السلام أعلى درجة فى الجنة من جميع الأنبياء عليهم السلام ، وكان نساؤه عليه السلام معه فى درجته فى الجنة فدرجتهن فيها أعلى من درجة موسى عليه السلام ، ومن درج سائر الأنبياء عليهم السلام فهن على هذا الحكم أفضل من موسى وسائر الأنبياء . عليهم السلام .

قال أبو محمد : فأجبناه بأن هذا الاعتراض أيضًا لا يلزمنا ولله الحمد لأن الجنة دار ملك وطاعة وعلو منزلة ورياسة واتباع من التابع للمتبوع ، كما قال عز وجل . « وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكًا كبيرًا[١٢٢] » .

وقال تعالى عن موسى عليه السلام : « وكان عند الله وجيها[١٢٣]» .

وأخبر عز وجل عن جبريل ﷺ فقال : « ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثمَّ أمين[١٢٤]» .

فقد علمنا أن ملك الدنيا غرور ، وأن ملك الآخرة هو الحقيقة ، وقد أخبر عليه السلام أنه

---

(١٢٠) أبو أيوب الأنصارى : هو خالد بن زيد بن كليب من بنى البخار ، صحابى شهد العقبة وبدرًا وأحدًا وسائر المشاهد ، وكان شجاعًا وصابرًا تقيًا محبًا للغزو والجهاد ، عاش إلى أيام بنى أمية ، وكان يسكن المدينة فرحل إلى الشام ، وسار مع يزيد إلى غزو القسطنطينية فقتل عام ٥٢ هـ ودفن فى أصل حصن القسطنطينية كوصيته ، له ١٥٥ حديثًا . (طبقات ابن سعد حـ ٣ ص ٤٩) .

(١٢١) الحديث رواه البخارى فى الصوم ٤ ورواه الترمذى فى الصوم ٥٥ وفى المناقب ٦٠ والنسائى فى الزكاة (١) والصيام ٤٣ والموطأ فى الجهاد ٤٩ ولفظه عند الترمذى : « من أنفق زوجين فى سبيل الله نودى فى الجنة يا عبد الله هذا خير ، فمن كان من أهل الصلاة دُعى من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الصدقة ، ومن كان من أهل الصيام دُعى من باب الريان فقال أبو بكر : بأبى أنت وأمى ما على من دعى من هذه الأبواب من ضرورة فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها ..؟ قال : نعم وأرجوا أن تكون منهم .

(١٢٢) سورة الإنسان آية رقم ٢٠

(١٢٣) سورة الأحزاب آية رقم ٦٩

(١٢٤) سورة التكوير آية رقم ٢١

رأى الأنبياء عليهم السلام مع أتباعهم ، فالنبى معه الواحد والإثنان[١٢٥] والثلاثة ، والنفر والجماعة فأخبر عز وجل أن هنالك الملك الكبير ، والطاعة والوجاهة ، والأتباع والاستئمار ، وإنما عرض الله تعالى علينا فى الدنيا من الملك طرفا لنعلم به مقدار الملك الذى فى دار الجزاء ، كما عرض علينا من اللذات ، والحرير ، والديباج ، والخمر والذهب والفضة والمسك ، والجوارى ، والحلى ، وأعلمنا أن هذه كلها خالصة لنا هنالك ، وكما صح عن النبى ﷺ : أن آخر من يدخل الجنة يزكو على أعظم ملك عرفه فى الدنيا فيتمنى مثل ملكه فيعطيه الله تعالى مثل الدنيا عشر مرات[١٢٦]» .

قال أبو محمد : فلما صح ما ذكرنا وكانت الملائكة طبقة واحدة إلا إنهم يتفاضلون فيها وكانت طبقة المرسلين النبيين طبقة واحدة ومنازلهم فى درجات متقاربة إلا أنهم أيضا يتفاضلون فيها ، وهم كلهم طبقة واحدة[١٢٧] والنبيون غير المرسلين طبقة واحدة إلا أنهم أيضا يتفاضلون فيها وكل[١٢٨] الصحابة طبقة واحدة إلا أنهم يتفاضلون فيها ، فوجب بلا شك أن لا يكون أتباع الرسل من النساء والأصحاب كالمتبعوين الذين هم الرسل لأن بالضرورة نعلم أن تابع الأعلى ليس لاحقا نظير متبوعه فكيف أن يكون أعلى منه . كما أن التابعيات من نساء الصحابة رضى الله عنهم لا يلحقن نظراء أزواجهن من الصحابة إذ لسن معهم فى طبقة ، وإنما ننظر بين أهل كل طبقة ومن هو فى طبقته ، ونساء النبى – ﷺ طبقة واحدة مع الصحابة فصح التفاضل بينهم وليس واحدة منهن ولا منهم مع الأنبياء فى طبقة فلم يجز أن ينظر بينهم وقد أخبر عليه السلام أنه رأى ليلة الإسراء الأنبياء عليهم السلام فى السموات سماء سماء .

وبالضرورة نعلم أن منزلة النبى الذى هو متبوع فى سماء الدنيا أمره هناك مطاع أعلى من منزلة التابع فى السماء السابعة للنبى الذى هناك وإذ قد صح عن النبى ﷺ : أن كل نبى يأتى مع أمته فنحن مع نبينا ﷺ .

فإن كان ما ألزمناه مكى لازما لنا ، فيلزمه مثل ذلك فينا أيضا أن نكون أفضل من الأنبياء وهذا غير لازم لما ذكرنا من أنه لا ينظر فى الفضل إلا بين من كان من أهل طبقة واحدة فمن كان منهم أعلى منزلة من الآخر كان أفضل منه بلا شك ، وليس ذلك فى الطباق المختلفة ألا ترى أن كون مالك خازن النار فى مكان غير مكان خازن الجنة وغير مكان جبرائيل لا تحط درجته عن درجة من فى الجنة من الناس الذين الملائكة جملة أفضل منهم لأن مالكا متبوع فى النار[١٢٩] ومقدم

---

(١٢٥) سقط من (خ) الإثنان .
(١٢٦) لم نعثر على تخريج هذا الحديث .
(١٢٧) ما بين القوسين سقط من (أ) .
(١٢٨) فى (خ) : (وكانت) .
(١٢٩) فى (أ) : (للنار) .

مطاع مفضل بذلك على التابعين والخدمة فى الجنة بلا شك فبطل هذا الشغب ، ويجمع هذا الجواب باختصار وهو أن الرؤساء والمتبوعين من[١٣٠] كل طبقة فى الجنة أعلى من التابعين لهم ، ونساء النبى ﷺ وأصحابه كلهم أتباع له عليه السلام ، وجميع الأنبياء متبوعون ، فإنما ينظر بين المتبوعين أيهم أفضل وينظر بين الأتباع أيهم أفضل ، ويعلم الفضل بعلو درجة كل فاضل من دونه فى الفضل ، ولا يجوز أن ينظر بين الأتباع والمتبوعين لأن المتبوعين لا يكونون البتة أحط درجة من التابعين ، وبالله تعالى التوفيق .

فإن قال قائل فكيف يقولون فى الحور العين أهن أفضل من الناس ومن الأنبياء كما قلتم فى الملائكة ؟ فجوابنا وبالله تعالى التوفيق . إن الفضل لا يعرف إلا ببرهان مسموع من الله تعالى فى القرآن ، أو من كلام الرسول ﷺ ، ولم نجد الله تعالى نص على فضل الحور العين كما نص على فضل الملائكة ، وإنما نص على أنهن مطهرات حسان عرب أتراب ، يجامعن ويشاركن أزواجهن فى اللذات كلها ، وأنهن خلقن ليلتذ بهن المؤمنون فإذ الأمر هكذا فإنما محل الحور العين محل من هن له فقط إن ذلك اختصاص لهن بلا عمل[١٣١]، وتكليف فهن خلاف الملائكة فى ذلك وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : ومما يؤكد قولنا قول الله تعالى : إن أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون هم وأزواجهم فى ظلال على الأرائك متكئون[١٣٢].

وهذا نص إذ قد صح فقد وجب الإقرار به ، فلو عجزنا عن تفضيل بعض أقسام هذه الاعتراضات لما لزمنا فى ذلك نقصا إذ لا يجوز الاعتراض على هذا النص ، وكلما صح بيقين فلا يجوز أن يعارض بيقين آخر ، والبرهان لا يبطله برهان ، وقد أوضحنا أن الجنة دار جزاء على أعمال المكلفين فأعلاهم درجة أعلاهم فضلا ، ونساء النبى ﷺ أعلا درجة فى الجنة من جميع الصحابة فهن أفضل منهن ، فمن أبى هذا فليخبرنا ما معنى الفضل عنده ؟ إذ لابد أن يكون لهذه الكلمة معنى ، فإن قال : لا معنى لها فقد كفانا مؤنته ، وإن قال : إن لها معنى سألناه ما هو ؟ فإنه لا يجد غير ما قلناه ، وبالله تعالى التوفيق .

فكيف وقد أبنَّا بتأييد الله عز وجل لنا على كل ما اعترض علينا به فى هذا الباب ؟ ولاح الوجه فى ذلك بينا والحمد لله رب العالمين .

قال أبو محمد : واستدركنا بيانا زائدًا فى قول النبى ﷺ فى أن فاطمة سيدة نساء المؤمنين أو

(١٣٠) فى (أ) : فى .
(١٣١) فى (خ) : (لا يعمل) .
(١٣٢) سورة يس آية رقم ٥٥

نساء هذه الأمة فنقول وبالله تعالى التوفيق إن الواجب مراعاة ألفاظ الحديث وإنما ذكر عليه السلام فى هذا الحديث السادة ولم يذكر الفضل وذكر عليه السلام فى حديثه عائشة الفضل نصًا بقول عليه السلام : « وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيد عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ(١٣٣) » .

قال أبو محمد : والسيادة غير الفضل ، ولا شك أن فاطمة رضى الله عنها سيدة نساء العالمين بولادة النبى ﷺ لها فالسيادة من باب الشرف ، لا من باب الفضل ، فلا تعارض بين الحديثين البتة ، والحمد لله رب العالمين .

وقد قال ابن عمر رضى الله عنهما وهو حجة فى اللغة العربية ، كان أبو بكر خيرًا وأفضل من معاوية ، وكان معاوية أسود من أبى بكر ، ففرق ابن عمر كما ترى بين السيادة والفضل والخير .

وقد علمنا أن الفضل هو الخير نفسه لأن الشىء إذا كان خيرًا من شىء آخر فهو أفضل منه بلا شك .

قال أبو محمد : وقد قال قائل من يخالفنا فى هذا . قال الله عز وجل : « وليس الذكر كالأنثى(١٣٤) » .

فقلنا وبالله تعالى التوفيق : فأنت إذا عند نفسك أفضل من مريم ، وعائشة ، وفاطمة ، لأنك ذكر وهؤلاء إناث .

فإن قال هذا الحق بالنوكى وكفر فإن سأل عن معنى الآية قيل له الآية على ظاهرها ولا شك فى أن الذكر ليس كالأنثى ، لأنه لو كان كالأنثى لكان أنثى ، والأنثى أيضا ليست كالذكر ، لأن هذه أنثى ، وهذا ذكر وليس هذا من الفضل فى شىء البتة ، وكذلك الحمرة غير الخضرة ، والخضرة ليست كالحمرة ، وليس هذا من باب الفضل ، فإن اعترض معترض بقول الله تعالى « وللرجال عليهن درجة(١٣٥) » قيل له إنما هذا فى حقوق الأزواج على الزوجات ، ومن أراد حمل هذه الآية على ظاهرها لزمه أن يكون كل يهودى وكل مجوسى ، وكل فاسق ، من الرجال أفضل من أم موسى ، وأم عيسى ، وأم اسحاق ، عليهم السلام ، ومن نساء النبى ﷺ وبناته ، وهذا كفر ممن قاله باجماع الأمة ، وكذلك قوله تعالى « أو من ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين(١٣٦) » إنما ذلك فى تقصيرهن فى الأغلب عن المحاجة لقلة دُرْبَتِهن وليس فى هذا ما يحط(١٣٧) الفضل عن

(١٣٣) راجع تخريج هذا الحديث فى ص ١٩٨ من هذا الجزء .
(١٣٤) سورة آل عمران آية رقم ٣٦
(١٣٥) سورة البقرة آية رقم ٢٢٨
(١٣٦) سورة الزخرف آية رقم ١٨
(١٣٧) فى (أ) : بزيادة (من) .

ذوات الفضل منهن ، فإن اعترض معترض فقال الذى أمرنا بطاعتهم من خلفاء الصحابة رضى الله عنهم ، أفضل من نساء النبى ﷺ بقوله تعالى : « اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم[١٣٨]» فالجواب وبالله تعالى التوفيق : أن هذا خطأ من جهات .

إحداها : أن نساء النبى ﷺ من جملة أولى الأمر منا الذين أمرنا بطاعتهم فيما بلَّغن إلينا عن النبى ﷺ كالأئمة من الصحابة سواء سواء ولا فرق[١٣٩].

والوجه الثانى : أن الخلافة ليست من قبل فضل الواحد فى دينه ، فقط ، وجبت لمن وجبت له ، وكذلك الإمارة لأن الإمارة قد تجوز لمن غيره أفضل منه ، وقد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه مأمورًا بطاعة عمرو بن العاص إذ أمره رسول الله ﷺ فى غزوة ذات السلاسل[١٤٠]، فبطل أن تكون الطاعة إنما تجب للأفضل فالأفضل ، وقد أمَّر النبى ﷺ عمرو بن العاص وخالد ابن الوليد[١٤١] كثيرا ولم يُأمِّر أبا ذر ، وأبو ذر[١٤٢] أفضل خير[١٤٣] منهما بلا شك وأيضا : فإنما وجبت طاعة الخلفاء من الصحابة رضى الله عنهم فى أوامرهم مذ ولوا لا قبل ذلك ، ولا خلاف فى أن الولاية لم تزدهم فضلا على ما كانوا عليه ، وإنما زادهم فضلا عدلهم فى الولاية لا الولاية نفسها ، وعدلهم داخل فى جملة أعمالهم التى يستحقون الفضل بها ، ألا ترى أن معاوية والحسن إذ وليا كانت طاعتهما واجبة على سعد بن أبى وقاص ، وسعد أفضل منهما ببون بعيد جدا ، وهو حى معهما مأمور بطاعتهما وكذلك القول فى جابر وأنس بن مالك ، وابن عمر رضى الله عنهم ، فى وجوب طاعة [ابن الزبير ثم فى وجوب طاعة][١٤٤] عبد الملك بن مروان والذى بين جابر وأنس ، وابن عمر وبين عبد الملك فى الفضل كالذى بين النور ، والظلمة ، فليس فى وجوب طاعة الولاة ما يوجب لهم فضلا فى الجنة .

---

(١٣٨) سورة النساء آية رقم ٥٩

(١٣٩) سقط من (أ) كلمة : (سواء) الثانية .

(١٤٠) ذات السلاسل : وهى وراء وادى القرى ، وبينها وبين المدينة عشرة أيام وكانت الغزوة فى جمادى الآخرة سنة ثمان من مهاجر رسول الله - ﷺ ، وكان من خبرها أن جماعة من قضاعة قد تجمعوا يريدون أن يدنوا إلى أطراف رسول الله فدعا رسول الله - عمرو بن العاص فعقد له لواء وبعثه فى ثلاثمائة من سراة المهاجرين والأنصار . راجع تفاصيلها فى طبقات ابن سعد حـ ٢ ص ١٣١ وما بعدها .

(١٤١) خالد بن الوليد : بن المغيرة المخزومى القرشى ، سيف الله الفاتح الكبير ، الصحابى ، شهد مع المشركين غزوة أحد ، وأسلم قبل فتح مكة هو وعمرو بن العاص سنة ٧ هـ ، وجهه أبو بكر لقتال مسيلمة ومن ارتد من أعراب نجد ثم سيره إلى العراق سنة ١٢ هـ ففتح الحيرة ثم اتجه إلى الشام واشترك فى معركة اليرموك وانتصر المسلمون بقيادته . توفى سنة ٢١ هـ . الاصابة حـ ١ ص ١٤٣ .

(١٤٢) أبو ذر الغفارى : جندب من جُنادة بن سفيان بن عبيد من بنى غِفار أبو ذر صحابى من كبارهم قديم الإسلام أول من حيا رسول الله بتحية الإسلام هاجر بعد وفاة الرسول - ﷺ إلى بادية الشام ، فشكاه معاوية فاستقدمه معاوية إلى المدينة ثم أمره بالرحلة إلى الربذة له فى البخارى ومسلم ٢٨١ حديثًا توفى عام ٣٢ هـ . (طبقات ابن سعد حـ ٤ ص ١٦١) .

(١٤٣) فى (خ) : سقطت (وخير) .

(١٤٤) ما بين القوسين سقط من (أ) .

فإن اعترض معترض بقول الله تعالى : « والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شىء كل أمرىء بما كسب رهين[١٤٥]» .

فبيان اعتراضه ظاهر فى آخر الآية وهو أن إلحاق الذرية بالآباء لا يقتضى كونهم معهم فى درجة ، ولا هذا مفهوم من نص الآية ، بل إنما فيها إلحاقهم بهم فيما ساووهم فيه بنص الآية ، ثم بين تعالى ذلك ولم يدعنا فى شك بقوله « كل امرىء بما كسب رهين » .

فصح أن كل واحد من الآباء والأبناء يجازى حسب ما كسب فقط ، وليس حكم الأزواج كذلك ، بل أزواج النبى ﷺ معه فى قصوره وعلى سرره ملتذ بهن ومعهن جزاء لهن بما عملن من الخير ، وبصبرهن ، واختيارهن الله تعالى ورسوله ﷺ والدار الآخرة ، وهذه منزلة لا يحلها أحد بعد النبيين والمرسلين عليهم الصلاة والسلام ، فهن أفضل من كل واحد دون الأنبياء عليهم السلام ، فإن شغب مشغب بقول رسول الله ﷺ : « وَمَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَسْلَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ[١٤٦]» .

قلنا وبالله تعالى التوفيق : إن حملت هذا الحديث على ظاهره فيلزمك أن تقول إنك أتم عقلًا ودينًا من مريم ، وأم موسى ، وأم إسحاق ومن عائشة ، وفاطمة ، فإن تمادى على ذلك سقط الكلام معه ولم يبعد عن الكفر .

وإن قال : لا . سقط اعتراضه واعترف بأن من الرجال من هو أنقص دينًا وعقلًا ، من كثير من النساء .

فإن سأل عن معنى هذا الحديث . قيل له قد بين رسول الله ﷺ وجه ذلك النقص ، وهو كون شهادة المرأة على النصف من شهادة الرجل ، وكونها إذا حاضت لا تصلى ولا تصوم ، وليس هذا بموجب نقصان الفضل ، ولا نقصان الدين ، والعقل فى غير هذين الوجهين فقط إذ بالضرورة ندرى[١٤٨] أن فى النساء من هن أفضل من كثير من الرجال وأتم ديناً وعقلًا غير الوجوه التى ذكر النبى ﷺ وهو عليه السلام لا يقول إلا حقا ، فصح يقينا أنه إنما عنى[١٤٩] عليه السلام

---

(١٤٥) سورة الطور آية رقم ٢١

(١٤٦) الحديث رواه البخارى فى الحيض ١٦ ، والزكاة ٤٤ ورواه الإمام مسلم فى الإيمان ١٣٢ ، وأبو داود فى السنة ١٥ ، والترمذى فى الإيمان ٦ وابن ماجه فى الفتن ولفظه عند مسلم : وما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذى لُبٍّ منكن قالت : يا رسول الله وما نقصان العقل والدين قال : أما نقصان العقل فشهادة إمرأتين تعدل شهادة رجل فهذا نقصان العقل ، وتمكث الليالى ما تصلى وتفطر فى رمضان فهذا نقصان الدين .

(١٤٧) فى (أ) : (هذا) .

(١٤٨) فى (خ) : سقطت كلمة (ندرى) .

(١٤٩) فى (أ) : (عبَّر) .

ما قد بينه فى الحديث نفسه من الشهادة والحيض فقط ، وليس ذلك مما ينقص الفضل . فقد علمنا أن أبا بكر وعمر وعليا لو شهدوا فى زنا لم يحكم بشهادتهم ، ولو شهد به أربعة منا عدول فى الظاهر حكم بشهادتهم ، وليس ذلك بموجب أننا أفضل من هؤلاء المذكورين ، وكذلك القول فى شهادة النساء فليست الشهادة من باب التفاضل ، فى ورد ولا صدر ، لكن يوقف فيها عند ما حده النص فقط ، ولا شك عند كل مسلم فى أن صواحبه من نسائه وبناته عليهم السلام كخديجة[١٥٠]، وعائشة[١٥١]، وفاطمة[١٥٢]، وأم سلمة[١٥٣] أفضل دينا ومنزلة عند الله تعالى من كل تابع أتى بعهدهن ومن كل رجل يأتى فى هذه الأمة إلى يوم القيامة ، فبطل الاعتراض بالحديث المذكور وصح أنه على ما فسرناه يقينًا[١٥٤] والحمد لله رب العالمين وأيضا فقول الله تعالى « يا نساء النبى لستن كأحد من النساء[١٥٥]» مخرج لهن عن سائر النساء فى كل ما اعترض به معترض مما ذكرناه وشبهه .

قال أبو محمد : فإن اعترض معترض بقول النبى ﷺ « كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إلا مَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ ، وامْرَأَةِ فِرْعَوْنَ[١٥٦]» .

فإن هذا الكمال إنما هو الرسالة ، والنبوة ، التى انفرد بها الرجال وشاركهم بعض النساء فى النبوة ، وقد يتفاضلون أيضا فيها فيكون بعض الأنبياء أكمل من بعض ، ويكون بعض الرسل أكمل من بعض .

قال الله عز وجل : « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات[١٥٧]» .

فإنما ذكر فى هذا الخبر من بلغ غاية الكمال فى طبقته ولم يتقدمه منهم أحد ، وبالله تعالى التوفيق .

---

(١٥٠) راجع ترجمة خديجة فى كتاب الاستيعاب فى معرفة الأصحاب حـ ٤ .
(١٥١) راجع ترجمة عائشة فى كتاب الاستيعاب فى معرفة الأصحاب حـ ٤ .
(١٥٢) راجع ترجمة أم سلمة فى طبقات ابن سعد حـ ٨ .
(١٥٣) راجع ترجمة فاطمة الزهراء فى هذا الجزء ص ١٦٢ .
(١٥٤) فى (أ) : (وبيناه) .
(١٥٥) سورة الأحزاب آية رقم ٣٢
(١٥٦) هذه الرواية هى من حديث أبى موسى الأشعرى ، وهى عند البخارى ٣٤٠/٦ فى الأنبياء باب قول الله تعالى : وإذا قالت الملائكة يا مريم إن الله أصطفاك وطهرك » ومسلم رقم ٢٤٣١ فى فضائل الصحابة ، باب فضل خديجة أم المؤمنين ، والترمذى رقم ١٨٣٥ فى الأطعمة باب ما جاء فى فضل الثريد . ولفظهُ . كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام .
(١٥٧) سورة البقرة آية رقم ٢٥٣

فأن اعترض معترض بقوله عليه السلام : « لَا يُفْلِحُ قَوْمٌ اسْنَدوُا أَمْرهَمْ إلى امْرَأَة[١٥٨] » .

فلا حجة له فى هذا[١٥٩] لأنه ليس امتناع الولاية فيهن بموجب لهن نقص الفضل ، فقد علمنا أن أبن مسعود ، وبلالا[١٦٠]، وزيد بن الحارثة ، رضى الله عنهم لم يكن لهم حظ فى الخلافة وليس بموجب أن يكون الحسن ، وابن الزبير ، ومعاوية ، أفضل منهم والخلافة جائزة لهؤلاء غير جائزة لأولئك وبينهم فى الفضل ما لا يجهله مسلم .

قال أبو محمد : وأما أفضل نسائه عليه السلام فعائشة ، وخديجة ، رضى الله عنهما لعظيم فضلهما واخباره عليه السلام أن عائشة أحب الناس إليه ، وأن فضلها على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام .

وقد ذكر عليه السلام خديجة بنت خويلد ، فقال : أفضل نسائها مريم بنت عمران ، وأفضل نسائها خديجة بنت خويلد مع سابقة خديجة فى الإسلام ، وثباتها رضى الله عنها ولأم سلمة وسودة[١٦١] وزينب بنت جحش ، وزينب بنت خزيمة[١٦٢]، وحفصة[١٦٣] سوابق فى الإسلام عظيمة ، واحتمال للمشقات فى الله عز وجل ورسوله ﷺ والهجرة ، والغربة عن الوطن ، والدعاء إلى الإسلام والبلاء فى الله عز وجل ورسوله – ﷺ ولكلهن بعد ذلك الفضل المبين رضوان الله عليهن أجمعين .

قال أبو محمد : وهذه مسألة نقطع فيها على أننا المحقون[١٦٤] عند الله عز وجل ، وأن من خالفنا فيها مخطىء عند الله عز وجل بلا شك وليست مما يسع الشك فيه أصلا .

---

(١٥٨) الحديث رواه البخارى فى المغازى ٨٢ والفتن ١٨ والترمذى فى الفتن ٧٥ والنسائى فى القضاء ٨ ، وأحمد بن حنبل فى المسند حـ ٥ ص ٤٣ ، ٥١

(١٥٩) فى (أ) : (ذلك) .

(١٦٠) بلال بن رباح الحبشى ، أبو عبد الله مؤذن رسول الله – ﷺ وخازنه على بيت ماله ، أحد السابقين إلى الإسلام ، وفى الحديث بلال سابق الحبشة ، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ، ولما توفى رسول الله أذن بلال ولم يؤذن بعدها توفى فى دمشق سنة ٢٠ هـ . (طبقات ابن سعد حـ ٣ ص ١٦٩) .

(١٦١) سودة بنت زمعة : بن قيس بن عبد شمس ، من لؤى من قريش إحدى أزواج النبى – ﷺ – كانت فى الجاهلية زوجة السكران ابن عمرو بن عبد شمس ، وأسلمت ثم أسلم زوجها وهاجرا إلى الحبشة ثم عادا إلى مكة فتوفى السكران فتزوجها النبى – ﷺ بعد خديجة – وتوفيت بالمدينة ٥٤ هـ . (طبقات ابن سعد حـ ٥ ص ٢٥) .

(١٦٢) زينب بنت خديجة بن الحارث الهلالية من أزواج النبى – ﷺ ، كانت تدعى فى الجاهلية أم المساكين ، تزوجها عبيدة بن الحارث وقتل عنها ببدر فتزوجها النبى – ﷺ سنة ٣ هـ ولبثت عنده ثمانية أشهر وماتت بالمدينة ٤ هـ وعمرها نحو ثلاثين سنة . (طبقات بن سعد حـ ٨ ص ٨٢) .

(١٦٣) حفصة بنت عمر بن الخطاب – رضى الله عنهما صحابية جليلة من أزواج رسول الله – ﷺ ولدت بمكة وتزوجها خنيس ابن حذافة السهمى فكانت عنده إلى أن ظهر الإسلام فأسلما وهاجرت معه إلى المدينة فمات عنها فتزوجها رسول الله سنة ثلاث من الهجرة ، توفيت بالمدينة سنة ٤٥ هـ روى لها البخارى ومسلم ٦٠ حديثًا . (طبقات ابن سعد حـ ٨ ص ٥٦) .

(١٦٤) فى (أ) : المحققون .

قال أبو محمد : فإن قال قائل هل قال هذا أحد قبلكم ..؟ قلنا له ، وبالله تعالى التوفيق .

وهل قال غير هذا أحد قبل من يخالفنا الآن ؟ وقد علمنا ضرورة أن لنساء النبى ﷺ منزلة من الفضل بلا شك فلابد من البحث عنها فليقل مخالفنا فى أى منزلة نضعهن أبعد جميع الصحابة كلهم ؟ فهذا ما لا يقوله أحد .

أم بعد طائفة منهم ؟ فعليه الدليل وهذا ما لا سبيل له إلى وجوده ، وإذ قد بطل هذان القولان أحدهما بالإجماع على أنه باطل ، والثانى لأنه دعوى لا دليل عليها ولا برهان فلم يبق إلا قولنا .

والحمد لله رب العالمين الموفق للصواب بفضله ثم نقول وبالله تعالى نستعين : قد صح أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه خطب الناس حين ولى بعد موت رسول الله ﷺ فقال : أيها الناس إنى وليتكم ولست بخيركم » فقد صح عنه[(١٦٥)] رضى الله عنه أنه أعلن بحضرة جميع الصحابة رضى الله عنهم أنه ليس بخيرهم ، ولم ينكر هذا القول منهم أحد ، فدل على متابعتهم له ولا خلاف فى[(١٦٦)] أنه ليس فى أحد من الحاضرين لخطبة إنسان يقول فيه أحد من الناس إنه خير من أبى بكر ، إلا على ، وابن مسعود ، وعمر ، وأما جمهور الحاضرين من مخالفينا فى هذه المسألة من أهل السنة ، والمرجئة ، والمعتزلة ، والخوارج ، فإنهم لا يختلفون فى أن أبا بكر أفضل من على ، وعمر ، وابن مسعود ، وخير منهم فصح أنه لم يبق إلا أزواج النبى ﷺ فإن قال قائل إنما قال أبو بكر هذا تواضعا قلنا : له هذا هو الباطل المتيقن لأن الصديق الذى سماه رسول الله ﷺ بهذا الاسم لا يجوز أن يكذب ، وحاشا له من ذلك ، ولا يقول إلا الحق والصدق ، فصح أن الصحابة متفقون فى الأغلب على تصديقه فى ذلك ، فإذ ذلك كذلك وسقط بالبرهان الواضح أن يكون أحد من الصحابة رضى الله عنهم خيرا من أبى بكر إلا أزواج النبى ﷺ ونساؤه ووضح أننا لو قلنا : إنه اجماع من جمهور الصحابة لم يبعد من الصدق .

قال أبو محمد : وأيضا فإن يوسف بن عبد الله النمرى حدثنا قال حدثنا خلف بن قاسم ، ثنا أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن على الكندى ، حدثنا محمد بن العباس البغدادى ، ثنا إبراهيم ابن محمد البصرى ، ثنا أبو أيوب سليمان بن داود الشاذكونى ، قال : كان عمار بن ياسر والحسن ابن على يفضلان على بن أبى طالب على أبى بكر الصديق وعمر .

حدثنا أحمد بن محمد الخوزى ، ثنا أحمد بن الفضل الدينورى ، ثنا محمد بن جرير الطبرى ، أن على بن أبى طالب بعث عمار بن ياسر والحسن بن على إلى الكوفة إذ خرجت

(١٦٥) سقط من (ح) عنه .
(١٦٦) سقط من (أ) (ق) .

أم المؤمنين إلى البصرة ، فلما أتياها اجتمعا إليهما الناس فى المسجد ، فخطبهم عمار وذكر لهم خروج عائشة أم المؤمنين إلى البصرة ثم قال لهم : إنى أقول لكم ووالله إنى لأعلم أنها زوجة رسول الله ﷺ فى الجنة ، كما هى زوجته فى الدنيا ، ولكن الله ابتلاكم بها لتطيعوها أو لتطيعوه ، فقال له مسروق ابن الأسود[١٦٧] يا أبا اليقظان فنحن مع من شهدت له بالجنة دون من لم تشهد له ، فسكت عمار وقال له الحسن اعن نفسك عنا . فهذا عمار والحسن وكل من حضر من الصحابة رضى الله عنهم والتابعين ، والكوفة يومئذ مملوءة منهم ، يسمعون تفضيل عائشة على على ، وهو عند عمار والحسن أفضل من أبى بكر ، وعمر ، فلا ينكرون ذلك ولا يعترضونه وهم أحوج ما كانوا إلى إنكاره فصح أنهم متفقون على أنها وأزواجه عليه السلام أفضل من كل الناس بعد الأنبياء عليهم السلام ، ومما تبين أن أبا بكر رضى الله عنه لم يقل وليتكم ولست بخيركم إلا محقا ، صادقا ، لا تواضعا يقول فيه الباطل ، وحاشا له من ذلك ما حدثناه أحمد بن محمد الطلمنكى[١٦٨].

قال حدثنا أحمد بن محمد بن مفرج ، ثنا محمد بن أيوب الصموت الرقى ، أنا أحمد ابن عمر بن عبد الخالق البزار ، ثنا عبد الملك بن سعد ، ثنا عقبة بن خالد ، ثنا شعبة ابن الحجاج ، ثنا الحريرى عن أبى بصرة عن أبى سعيد الخدرى ، قال : قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : ألست أحق الناس بها أو لست أول من أسلم ؟ ألست صاحب كذا ..؟

قال أبو محمد : فهذا أبو بكر رضى الله عنه يذكر فضائل نفسه ، إذ كان صادقا فيها ، فلو كان أفضلهم لصرح بذلك[١٦٩] وما كتمه وقد نزهه الله تعالى عن الكذب ، فصح قولنا نصا والحمد لله رب العالمين .

قال أبو محمد : ثم وجب القول فيمن هو أفضل الصحابة بعد نساء النبى ﷺ فلم نجد لمن فضل ابن مسعود ، أو عمر ، أو جعفر ابن أبى طالب ، أو أبا سلمة ، أو الثلاثة الأسهليين[١٧٠] على جميع الصحابة حجة يعتمد عليها ، ووجدنا من يوقف لم يزد على أنه لم يلح له بالبرهان أنهم أفضل ولو لاح له لقال به ، ووجدنا العدد والمعارضة فى القائلين بأن عليا أفضل أكثر[١٧١]، فوجب أن يأتى بما شغبوا به ليلوح الحق فى ذلك وبالله تعالى التوفيق .

---

(١٦٧) لم نعثر له على ترجمة .

(١٦٨) راجع ترجمته ص ١٣٥ .

(١٦٩) فى (أ) : (به) .

(١٧٠) الأسهليون الثلاثة : سهل بن عمرو بن عدى الأنصارى ، كان ممن بايع تحت الشجرة ، وسهل بن حنيف بن واهب يكنى أبا سعيد شهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله - ﷺ وثبت يوم أحد وجعل ينصح بالنبل فقال عليه السلام : نبِّلوا سهلًا فإنه سهل وسهل ابن أبى حَثْمَه ، كان ممن بايع تحت الشجرة وكان دليل النبى - ﷺ ليلة أحد وشهد المشاهد كلها إلا بدرًا .

(١٧١) سقط من (خ) (أكثر) .

قال أبو محمد : وجدناهم يحتجون بأن عليا كان أكثر الصحابة جهادًا ، وطعناً . فى الكفار ، وضربا ، والجهاد أفضل الأعمال .

قال أبو محمد : وهذا خطأ لأن الجهاد ينقسم أقساما ثلاثة :

أحدها : الدعاء إلى الله عز وجل باللسان .

والثانى : الجهاد عند الحرب بالرأى والتدبير .

والثالث : الجهاد بانيد فى الطعن والضرب .

فوجدنا الجهاد باللسان لا يلحق فيه أحد بعد رسول الله ﷺ أبا بكر وعمر ، أما أبو بكر فإن أكابر الصحابة رضى الله عنهم أسلموا على يديه ، فهذا أفضل عمل وليس لعلى من هذا كبير حظ ، وأما عمر فإنه من يوم أسلم عز الإسلام وعبد الله تعالى بمكة جهرًا وجاهد المشركين بمكة بيديه ، فضرب وضرب حتى ملوه فتركوه فعبد الله تعالى علانية ، وهذا أعظم الجهاد ، فقد انفرد هذان الرجلان بهذين الجهادين الذين لا نظير لهما ولا حظ لعلى فى هذا أصلا وبقى القسم الثانى : وهو الرأى والمشورة فوجدناه خالصا لأبى بكر ثم لعمر ، وبقى القسم الثالث : وهو الطعن والضرب والمبارزة فوجدناه أقل مراتب الجهاد ببرهان ضرورى وهو أن رسول الله ﷺ لا شك عند كل مسلم أنه المخصوص بكل فضيلة فوجدنا جهاده عليه السلام إنما كان فى أكثر أعماله وأحواله القسمين الأولين من الدعاء إلى الله عز وجل والتدبير والإدارة .

وكان أقل عمله ﷺ الطعن والضرب والمبارزة لا عن جبن بل كان عليه السلام أشجع أهل الأرض قاطبة نفسا ويدا وأتمهم نجدة ، ولكنه كان يؤثر الأفضل فالأفضل من الأفعال ، قدمه عليه السلام ويشتغل به ووجدناه عليه السلام يوم بدر وغيره كان أبو بكر رضى الله عنه معه لا يفارقه ايثارا من رسول الله ﷺ له بذلك واستظهاراً برأيه فى الحرب ، وأنسًا بمكانة ، ثم كان عمر ربما شورك فى ذلك أيضا ، وقد انفرد بهذا المحل دون على ودون سائر الصحابة إلا فى الندرة ، ثم نظرنا مع ذلك فى هذا القسم من الجهاد الذى هو الطعن ، والضرب ، والمبارزة ، فوجدنا عليا رضى الله عنه لم ينفرد بالبسوق فيه بل قد شاركه فى ذلك غيره شركة العنان ، كطلحة ، والزبير ، وسعد ، وممن قتل فى صدر الإسلام كحمزة ، وعُبَيْدة بن الحَارِثِ بن المطلب[١٧٢]، ومصعب بن عمير ، ومن الأنصار سعد بن معاذ ، وسمَاك بن خَرَشة[١٧٣] وغيرهما ووجدنا أبا بكر وعمر قد شاركاه فى

---

(١٧٢) عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف أبو الحارث من أبطال قريش فى الجاهلية والإسلام ، ولد بمكة وأسلم مبكرًا وبعثه النبى فى ستين راكبا من المهاجرين فالتقى بالمشركين وعليهم أبو سفيان بن حرب فى موضع يقال له « ثنية المرة » شهد بدرًا وقتل فيها ٢ هـ . (الأصابة ت ٥٣٧٧) .

(١٧٣) سِمال بن خَرشه الخزرجى المعروف بأبى دجانه ، صحابى كان شجاعًا بطلًا شهد بدرًا وثبت يوم أحد وأصيب بجراحات كثيرة واستشهد باليمامة ١١ هـ . (الاصابة - باب الكلنى ت ٣٧١) .

ذلك بحظ حسن وإن لم يلحقا(١٧٤) بحظوظ هؤلاء ، وإنما ذلك لشغلهما بالأفضل من ملازمة رسول الله ﷺ ، وموازرته فى حين الحرب وقد بعثهما رسول الله ﷺ على البعوث ، أكثر مما بعث عليا وقد بعث أبا بكر إلى بنى فزارة وغيرهم ، وبعث عمر إلى بنى فلان ، وما نعلم لعلى بعثا إلا إلى بعض حصون خيبر ففتحه ، وقد بعث إليه(١٧٥) قبله أبا بكر وعمر فلم يفتحاه ، فحصل أرفع(١٧٦) أنواع الجهاد خالصا(١٧٧) لأبى بكر ، وعمر ، وقد شاركا عليا فى أقل أنواع الجهاد مع جماعة غيرهم .

قال أبو محمد : واحتج أيضا بأن قال : إن عليا كان أكثرهم علما .

قال أبو محمد : كذب هذا القائل ، وإنما يعرف علم الصحابى لأحد وجهين لا ثالث لهما ، أحدهما : كثرة روايته وفتاويه والثانى : كثرة استعمال النبى ﷺ له ، فمن المحال الباطل أن يستعمل النبى ﷺ من لا علم له ، وهذه أكبر الشهادات على العلم وسعته ، فنظرنا فى ذلك فوجدنا النبى ﷺ قد ولى أبا بكر الصلاة بحضرته طول علته ، وجميع أكابر الصحابة حضور ، كعلى ، وعمر ، وابن مسعود وأبى(١٧٨)، وغيرهم فآثره بذلك على جميعهم ، وهذا خلاف استخلافه عليه السلام إذا غزا لأن المستخلف فى الغزوة لم يستخلف إلا على النساء ، وذو الأعذار فقط ، فوجب ضرورة أن نعلم أن أبا بكر أعلم الناس بالصلاة ، وشرايعها ، وأعلم المذكورين بها وهى عمود الدين ، ووجدناه ﷺ قد استعمله على الصدقات فوجب ضرورة أن عنده من علم الصدقات كالذى عند غيره من علماء الصحابة ، لا أقل وربما كان(١٧٩) أكثر ، أو لا أكثر(١٨٠) إذ قد استعمل عليه السلام أيضا عليها غيره وهو عليه السلام لا يستعمل إلا عالما بما استعمله عليه ، والزكاة ركن من أركان الدين بعد الصلاة .

وبرهان ما قلنا من تمام علم أبى بكر رضى الله عنه بالصدقات أن الأخبار الواردة فى الزكاة أصحها ، والذى يلزم العمل به ولا يجوز خلافه فهو حديث أبى بكر الذى من طريق عمر ، وأما من طريق على فمضطرب وفيه ما قد تركه الفقهاء جملة ، وهو أن فى خمس وعشرين من الإبل خمس

---

(١٧٤) فى (أ) : يلحقنا وهو تحريف .
(١٧٥) سقط من (أ) (إليه) .
(١٧٦) فى (أ) : أربع وهو تحريف .
(١٧٧) سقط من (أ) (خالصا) .
(١٧٨) أبى بن كعب بن قيس بن عبيد من بنى النجار من الخزرج أبو المنذر صحابى أنصارى ، كان قبل الإسلام حبرًا من أحبار اليهود ، مطلعا على الكتب القديمة يكتب ويقرأ ، ولما أسلم كان من كتاب الوحى ، وشهدًا بدرًا واحدًا والخندق وشهد مع عمر بن الخطاب وقعة الجابية ، وكتب كتاب الصلح لأهل بيت المقدس له فى الصحيحين ١٦٤ حديثًا توفى سنة ٢١ هـ .
(١٧٩) سقط من (خ) (كان) .
(١٨٠) سقط من (أ) (أو لا أكثر) .

شياه ، فوجدناه عليه السلام قد استعمل أبا بكر على الحج ، فصح ضرورة أنه أعلم من جميع الصحابة بالحج ، وهذه دعائم الإسلام ، ثم وجدناه عليه السلام قد استعمله على البعوث فصح أن عنده من أحكام الجهاد مثل ما عند سائر من استعمله رسول الله ﷺ على البعوث فى الجهاد ، إذ لا يستعمل عليه السلام على العمل إلا عالمًا به ، فعند أبى بكر من الجهاد من العلم به كالذى عند على ، وسائر أمراء البعوث ، لا أكثر ولا أقل ، فإذ قد صح التقدم لأبى بكر على علىّ وغيره فى علم الصلاة ، والزكاة ، والحج ، وساواه فى علم الجهاد ، فهذه عمدة العلم ، ثم وجدناه عليه السلام قد ألزم نفسه فى جلوسه ، ومسامرته ، وظعنه ، وإقامته أبا بكر فشاهد أحكامه عليه السلام ، وفتاويه أكثر من مشاهدة على لها ، فصح ضرورة أنه أعلم بها فهل بقيت من العلم بقية إلا وأبو بكر هو(١٨١) المتقدم فيها الذى لا يلحق ؟ أو المشارك الذى لا يسبق ؟ فبطلت دعواهم فى العلم ، والحمد لله رب العالمين .

وأما الرواية ، والفتوى ، فإن أبا بكر رضى الله عنه لم يعش بعد رسول الله ﷺ إلا سنتين ، وستة أشهر ، ولم يفارق المدينة إلا حاجا أو معتمرًا ولم يحتج الناس إلى ما عنده من الرواية عن رسول الله ﷺ ، لأن كل من حواليه أدركوا النبى ﷺ ، وعلى ذلك كله فقد روى عنه عن النبى ﷺ مائة حديث وإثنان وأربعون حديثا مسندة ، ولم يرد عن على إلا خمس مائة وست وثمانون حديثا مسندة ، يصح منها نحو خمسين ، وقد عاش بعد رسول الله ﷺ أزيد من ثلاثين سنة ، فكثر لقاء الناس إياه ، وحاجتهم إلى ما عنده ، لذهاب جمهور الصحابة رضى الله عنهم ، وكثر سماع أهل الأفاق منه مرة بصفين وأعواما بالكوفة ومرة بالبصرة ، والمدينة ، فإذا نسبنا مدة أبى بكر من حياته وأضفنا تقرى علىٍّ البلاد بلدا بلدا وكثرة سماع الناس منه إلى لزوم أبى بكر موطنه وأنه لم تكثر حاجة من حواليه إلى الرواية عنه ثم نسبنا عدد حديث من عدد حديث ، وفتاوى من فتاوى ، علم كل ذى حظ من العلم أن الذى كان عند أبى بكر من العلم أضعاف ما كان عند على منه ، وبرهان ذلك أن من عمرٍّ من أصحاب رسول الله ﷺ عمرا قليل قل النقل عنهم ، ومن طال عمره منهم كثر النقل عنهم ، إلا اليسير من اكتفى بنيابة غيره عنه فى تعليم الناس ، وقد عاش على بعد عمر ابن الخطاب سبعة عشر عاما غير شهر ، ومسند عمر خمسمائة حديث وسبعة وثلاثون حديثا ، يصح منها نحو خمسين كالذى عن على سواء بسواء ، فكلما زاد حديث علىٍّ على حديث عمر تسعة وأربعين حديثا فى هذه المدة الطويلة ، ولم يزد عليه فى الصحيح الا حديثا أو حديثين .

وفتاوى عمر موازنة لفتاوى على فى أبواب الفقه ، فإذا نسبنا مدة من مدة وضربنا فى البلاد من ضرب فيها وأضفنا حديثا إلى حديث ، وفتاوى إلى فتاوى ، علم كل ذى حس علما ضروريا أن

---

(١٨١) سقط من (أ) (هو) .

الذى كان عند عمر من العلم أضعاف ما كان عند على من العلم ، ثم وجدنا الأمر كل ما طال كثرت الحاجة إلى الصحابة فيما عندهم من العلم فوجدنا حديث عائشة رضى الله عنها ألفى مسند ومائتى مسند وعشرة مسانيد ، وحديث أبى هريرة خمسة آلاف مسند وثلثمائة مسند وأربع وسبعين مسندا ووجدنا مسند ابن عمر وأنس قريبا من مسند عائشة لكل واحد منهما ، ووجدنا مسند جابر ابن عبد الله ، وعبد الله ابن عباس ، لكل واحد منهما أزيد من ألف وخمسمائة ، ووجدنا لأبن مسعود ثمان مائة مسند ونيف ، ولكل من ذكرنا حاشا أبا هريرة وأنس بن مالك من الفتاوى أكثر من فتاوى على أو نحوها ، فبطل هذه الوقاح الجهال ، فإن عاندنا معاند فى هذا الباب جاهل أو قليل الحياء لاح كذبه وجهله ، فإنا غير متهمين[١٨٢] على حط أحد من الصحابة رضى الله عنهم عن مرتبته ولا على رفعه فوق مرتبته ، لأننا لو انحرفنا عن على رضى الله عنه ونعوذ بالله من ذلك لذهبنا فيه مذهب الخوارج ، وقد نزهنا الله عز وجل عن هذا الضلال فى التعصب ولو غلونا فيه لذهبنا فيه مذهب الشيعة ، وقد أعاذنا الله تعالى من هذا الإفك فى التعصب فصار غيرنا من المنحرفين عنه أو الغالين فيه هم المتهمون فيه إما له وإما عليه ، وبعد هذا كله فليس يقدر من ينتمى إلى الإسلام أن يعاند فى الاستدلال على كثرة العلم باستعمال النبى ﷺ بمن استعمله منهم على ما استعمله وعليه من أمور الدين .

فإن قالوا : إن رسول الله ﷺ قد استعمل عليا على الأخماس وعلى القضاء باليمن ؟ قلنا لهم : نعم ولكن مشاهدة أبى بكر لأقضية رسول الله ﷺ أقوى فى العلم وأثبت مما عند على وهو باليمن ، وقد استعمل رسول الله ﷺ أبا بكر على بعوث فيها الأخماس ، فقد ساوى علمه علم على فى حكمها بلا شك ، إذ لا يستعمل عليه السلام إلا عالما بما يستعمله عليه ، وقد صح أن أبا بكر وعمر كانا يفتيان على عهد رسول الله ﷺ وهو عليه السلام يعلم ذلك ، ومحال أن يبيح لهما ذلك إلا وهما أعلم ممن دونهما وقد استعمل عليه السلام أيضا على القضاء باليمن مع على معاذ بن جبل ، وأبا موسى الأشعرى[١٨٣] فلعلى فى هذا شركاء كثير ، منهم أبو بكر ، وعمر ، ثم قد انفرد أبو بكر بالجمهور الأغلب من العلم على ما ذكرنا . وقال هذا القائل : إن عليًا كان اقرأ الصحابة .

قال أبو محمد : وهذه القحة المجردة والبهتان لوجوه أولها إنه رد على رسول الله ﷺ لأنه عليه

---

(١٨٢) فى (خ) : فاما غير المتهمين .

(١٨٣) أبو موسى الأشعرى : هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب ، من بنى الأشعر من قحطان صحابى من الشجعان الولاة الفاتحين وأحد الحكمين بعد حرب صفين ولد فى زبيد باليمن وقدم مكة عند ظهور الإسلام ، وهاجر إلى الحبشة استعمله رسول الله على زبيد وعدن ، وولاه عمر بن الخطاب البصرة سنة ١٧ هـ له ٣٥٥ حديثًا مات سنة ٤٤ هـ . (طبقات بن سعد حـ ٤ ص ٧٩) .

السلام قال : يؤم(١٨٤) القوم أقرؤهم ، فإن استووا فأفقههم ، فإن استووا فأقدمهم هجرة ، ثم وجدناه عليه السلام قد قدم أبا بكر على الصلاة مدة الأيام التى مرض فيها وعلى بالحضرة يراه النبى ﷺ غدوة وعشية فما رأى لها عليه السلام أحدا أحق من أبى بكر بها ، فصح أنه كان أقرؤهم وافقههم واقدمهم هجرة ، وقد يكون من لم يجمع حفظ القرآن كله على ظهر قلب اقرأ ممن جمعه كله عن ظهر قلب فيكون ألفظ به وأحسنهم ترتيلا .

هذا على أن أبا بكر وعمر وعلى لم يستكمل أحد منهم حفظ سواد(١٨٥) القرآن كله ظاهرا إلا أنه قد وجب يقينا بتقديم النبى ﷺ لأبى بكر على الصلاة وعلىٌّ حاضر أن أبا بكر أقرأ من على ، وما كان النبى ﷺ ليقدم إلى الإمامة الأقل علما بالقراءة على الأقرأ أو الأقل فقها على الأفقه فبطل أيضا شغبهم فى هذا الباب – والحمد لله رب العالمين .

[وقال هذا الجاهلُ كان على أتقاهم لله](١٨٦).

قال أبو محمد : كذب هذا الأفاك ، ولقد كان على رضى الله عنه تقيا إلا أن الفضائل يتفاضل فيها أهلها وما كان أتقاهم لله إلا أبا بكر . والبرهان على ذلك أنه لم يسوء قط أبو بكر رسول الله ﷺ فى كلمة ولا خالف ارادته عليه السلام فى شىء قط ، ولا تأخر عن تصديقه ولا تردد عن الائتمار له يوم الحديبية إذ تردد من تردد وقد تكلم رسول الله ﷺ على المنبر إذا أراد على نكاح ابنه أبى جهل بما قد عرف(١٨٧) وما وجدنا قط لأبى بكر توقفا عن شىء أمره به رسول الله ﷺ إلا مرة واحدة عذرة فيها رسول الله ﷺ وأجاز له فعله ، وهى إذ أتى رسول الله ﷺ من قباء فوجده يصلى بالناس فلما رآه أبو بكر تأخر فأشار إليه النبى ﷺ أن أقم مكانك فحمد الله تعالى أبو بكر على ذلك ثم تأخر فصار فى الصف ، وتقدم رسول الله ﷺ فصلى بالناس فلما سلم قال له رسول الله ﷺ ما منعك أن تثبت حين أمرتك ، فقال أبو بكر ، ما كان لابن أبى قحافة أن يتقدم بين يدى رسول الله ﷺ(١٨٨).

قال أبو محمد : فهذا غاية التعظيم والطاعة والخضوع لرسول الله ﷺ وما أنكر عليه السلام ذلك عليه ، وإذ قد صح بالبرهان الضرورى الذى ذكرنا أن أبا بكر أعلم أصحاب رسول

---

(١٨٤) فى (أ) : (يوم) وهو تحريف .

(١٨٥) فى (أ) : سور .

(١٨٦) ما بين القوسين سقط من (أ) .

(١٨٧) قال رسول الله – ﷺ : فإنى أنكحت أبا العاص بن الربيع فحدثنى فصدقنى ، وإن فاطمة بضعة منى وأنا أكره أن يفتنوها ، والله لا تجمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل واحد أبدًا . رواه البخارى فى فضائل أصحاب النبى باب أصهار النبى ومسلم رقم ٢٤٤٩ باب فضائل فاطمة بنت النبى – ﷺ .

(١٨٨) ونحن نوافق ابن حزم فى أن هذا التوقف من أبى بكر كان أدبا عاليا مع رسول الله ﷺ

الله ﷺ فقد وجب أنه أخشاهم لله عز وجل ، قال الله عز وجل « إنما يخشى الله من عباده العلماء[١٨٩] » والتقى هو الخشية لله عز وجل .

وقال قائلون على كان أزهدهم .

قال أبو محمد : كذب هذا الجاهل ، وبرهان ذلك أن الزهد إنما هو غروب النفس عن حب الصوت ، وعن المال ، وعن اللذات ، وعن الميل إلى الولد والحاشية ليس الزهد معنى يقع عليه اسم الزهد إلا هذا المعنى ، فأما غروب النفس عن المال فقد علم كل من له أدنى بصر بشيء من الأخبار الخالية أن أبا بكر أسلم وله مال عظيم قيل أربعين ألف درهم ، فأنفقها كلها فى ذات الله تعالى ، وعتق المستضعفين من العبيد المؤمنين المعذبين فى ذات الله عز وجل ، ولم يعتق عبيدا جلدا يمنعونه لكن كل معذب ومعذبة فى الله عز وجل .

حتى هاجر مع رسول الله ﷺ ولم يبق لأبى بكر من جميع ماله إلا ستة آلاف درهم حملها كلها مع رسول الله ﷺ ولم يُبق لبنيه منها درهمًا ، ثم أنفقها كلها فى سبيل الله عز وجل حتى لم يبق[١٩٠] له شيء إلا عباءة له قد خللها بعود إذا نزل افترشها وإذا ركب لبسها إذ تمول غيره من الصحابة رضى الله عن جميعهم واقتنوا الرباع الواسعة والضياع العظيمة من حلها وحقها ، إلا أن من أثر بذلك سبيل الله عز وجل أزهد ممن انفق وأمسك ، ثم ولى الخلافة فما اتخذ جارية ولا توسع فى مال ، وعد عند موته ما أنفق على نفسه وولده من مال الله عز وجل الذى لم يستوف منه إلا بعض حقه وأمر بصرفه إلى بيت المال من صلب ماله الذى حصل له من سهامه فى المغازى والمقاسم مع رسول الله ﷺ فهذا هو الزهد فى اللذات والمال الذى لا يدانيه فيه أحد من الصحابة لا على ولا غيره ، إلا أن يكون أبا ذر وأبا عبيدة من المهاجرين الأولين فإنهما جريا على هذه الطريقة التى فارقا عليها رسول الله ﷺ وتوسع من سواهم من الصحابة رضى الله عنهم فى المباح الذى أحله الله عز وجل لهم ، إلا أن من أثر على نفسه أفضل ، ولولا أن أبا ذر لم يكن له سابقة غيره لما تقدمه إلا من كان مثله ، فهذا هو الزهد فى المال واللذات ، ولقد تلا أبا بكر عمر رضى الله عنهما فى هذا الزهد فكان فوق على فى ذلك يعنى فى اعراضه عن المال واللذات ، وأما على رضى الله عنه فتوسع فى هذا الباب من حله ومات عن أربع زوجات وتسع عشرة أم ولد ، سوى الخدم والعبيد وتوفى عن أربعة وعشرين ولدًا من ذكر وأنثى ، وترك لهم من العقار والضياع ما كانوا به من أغنياء قومهم ومياسيرهم هذا أمر مشهور لا يقدر على إنكاره من له أقل علم بالأخبار والآثار ، ومن جملة عقاره التى تصدق بها كانت تغل ألف وَسْقٍ تمرا سوى زرعها فأين هذا من هذا ..؟؟؟

(١٨٩) سورة فاطر آية رقم ٢٨
(١٩٠) فى (خ) : حتى بقى لا شيء له .

وأما حب الولد والميل إليهم وإلى الحاشية فالأمر فى هذا أبين من أن يخفى على أحد له أقل علم بالأخبار ، فقد كان لأبى بكر رضى الله عنه من القرابة والولد مثل طلحة بن عبيد الله من المهاجرين الأولين والسابقين من ذوى الفضائل العظيمة فى كل باب من أبواب الفضل(١٩١) فى الإسلام ، ومثل ابنه عبد الرحمن بن أبى بكر(١٩٢) وله مع النبى ﷺ صحبةٌ قديمة وهجرة سابقة ، وفضل ظاهر ، فما استعمل أبو بكر رضى الله عنه منهم أحدا على شىء من الجهات ، وهى بلاد اليمن كلها على سعتها وكثرة أعمالها ، وعمان وحضرموت والبحرين واليمامة والطائف ومكة وخيبر ، وسائر أعمال الحجاز ، ولو استعملهم لكانوا لذلك أهلا . ولكن خشى المحاباة وتوقع أن يميله إليهم شىء من الهوى ، ثم جرى عمر على مجراه فى ذلك فلم يستعمل من بنى عدى بن كعب أحدا على سعة البلاد وكثرتها ، وقد فتح الشام ومصر وجميع مملكة الفرس إلى خراسان ، إلا النعمان ابن عدى(١٩٣) وحده على ميسان(١٩٤)، ثم أسرع عزله وفيهم من الهجرة ما ليس فى شىء من افخاذ قريش لأن بنى عدى لم يبق منهم أحد بمكة إلا هاجر ، وكان فيهم مثل سعيد بن زيد أحد المهاجرين الأولين ذوى السوابق وأبى الجهم بن حذيفة(١٩٥) وخارجه بن حذافة(١٩٦) ومعمر بن عبد الله وابنه عبد الله بن عمر ، ثم لم يستخلف أبو بكر ابنه عبد الرحمن وهو صاحب من الصحابة ، ولا استعمل عمر ابنه عبد الله على الخلافة وهو من فضلاء الصحابة وخيارهم وقد رضى به الناس وكان لذلك أهلا ، ولو استخلفه لما اختلف عليه أحد فما فعل ، ووجدنا عليا رضى الله عنه إذ ولى قد استعمل أقاربه عبد الملك بن عباس على البصرة ، وعبيد الله بن العباس على اليمن ، وخثعم ومعبدا بنى العباس على مكة والمدينة وجعدة بن نميره وهو ابن اخته أم هانى بنت أبى طالب على خراسان ، ومحمد بن أبى بكر وهو ابن امرأته وأخو ولده على مصر ، ورضى ببيعة الناس للحسن

---

(١٩١) فى (خ) : (الفضائل) .

(١٩٢) عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق ، يكنى أبا عبد الله ، أمه أم رمان بنت الحارث بن غنم ، فهو شقيق عائشة رضى الله عنها . وشهد عبد الرحمن بدرًا وأحدًا مع قومه كافرًا ، ثم أسلم وحسن إسلامه ، وهو الذى قتل محكم اليمامة وشهد الجمل مع اخته عائشة ، توفى سنة ٥٣ هـ بمكة . (الاستيعاب فى معرفة الأصحاب حـ ٢ ص ٨٢٥ وما بعدها) .

(١٩٣) النعمان بن عدى بن نضلة العدوى ، شاعر ، صحابى من الولاة ، هاجر مع أبيه إلى الحبشة ، ومات أبوه فيها ، ولاه عمر ابن الخطاب على ميسان وهى كورة واسعة بين البصرة وواسط ، ولم يول عمر أحدًا من قومه بنى عدى غيره ، لما كان فى نفسه من صلاحة ثم عزله لشعر قاله . فرحل إلى البصرة ولم يغزو مع المسلمين حتى مات سنة ٣٠ هـ . (الاصابة ت ٨٧٤٠) .

(١٩٤) ميسان بالفتح ثم السكون ، وسين مهملة وآخره نون اسم كورة كثيرة واسعة القرى بين البصرة وواسط ويقال فيها قرية بها قبر عزيمة النبى عليه السلام ، ولما فتحت ميسان فى عهد عمر ولاه النعمان بن عدى بن فضله وكان بميسان مسكين الدارمى . (معجم البلدان حـ ٥ ص ٢٤٢) .

(١٩٥) أبو جهم : هو عامر بن حذيفة بن غانم من قريش من بنى عدى بن كعب ، أحد المعمرين ، أسلم يوم فتح مكة ، واشترك فى بناء الكعبة مرتين الأولى فى الجاهلية ، والثانية حين بناها ابن الزبير سنة ٦٤ هـ وهو أحد الأربعة الذين دفنوا عثمان توفى سنة ٧ هـ . (الأصابة فى الكنى ت ٢٠٦) .

(١٩٦) خارجة بن حذافة بن غانم من بنى كعب ابن لؤى . صحابى من الشجعان كان يعد بألف فارس ، شهد فتح مصر وولى شرطته لعمرو بن العاص استخلفه عمرو ليصلى بالناس فقتله عمرو بن بكر الذى انتدب لقتل عمرو بن العاص ، وقال قاتله لم علم خطأه – أردت عمرًا ، وأراد الله خارجه – وكان ذلك سنة ٤٠ هـ . (الاصابة حـ ١ ص ٣٩٩) .

ابنه بالخلافة ، ولسنا ننكر استحقاق الحسن للخلافة ولا استحقاق عبد الله بن العباس للخلافة ، فكيف امارة البصرة لكنا نقول إن من زهد فى الخلافة لولد مثل عبد الله بن عمر ، وعبد الرحمن ابن أبى بكر والناس متفقون عليه ، وفى تأمير مثل طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد ، فلا شك فى أنه أتم زهدًا أو أعزب عن جميع معانى الدنيا يقينا ممن أخذ منها [مما] أبيح له أخذه ، فصح بالبرهان الضرورى أن أبا بكر رضى الله عنه أزهد من جميع الصحابة ثم عمر بن الخطاب بعده ، وقال هذا القائل وكان على أكثرهم صدقة .

قال أبو محمد : وهذه مجاهرة بالباطل لأنه لم يحفظ لعلى مشاركة ظاهرة بالمال وأما أمر أبى بكر رضى الله عنه فى انفاق ماله فى سبيل الله عز وجل فأشهر من أن يخفى على اليهود والنصارى فكيف على المسلمين ؟ ثم لعثمان بن عفان رضى الله عنه فى هذا المعنى من تجهيز جيش العسرة ما ليس لغيره ، فصح أن أبا بكر أعظم صدقه وأكثر مشاركة وغنى فى الإسلام ، بماله من على رضى الله عنه .

وقالوا على هو السابق إلى الإسلام ولم يعبد قط وثنا .

قال أبو محمد : أما السابقة فلم يقل قط أحد يعتد به أن عليًا مات وله أكثر من ثلاث وستين سنة ومات بلا شك سنة أربعين من الهجرة ، فصح أنه كان حين هاجر[١٩٧] النبى ﷺ ابن ثلاث وعشرين سنة ، وكانت مدة النبى ﷺ بمكة فى النبوة ثلاث عشرة سنة فَبعث عليه السلام ولعلى عشرة أعوام ، فإسلام ابن عشرة أعوام ودعاؤه إليه إنما هو كتدريب المرء ولده الصغير على الدين لا أن عنده غناء ، ولا أن عليه إثما إن أبى ، فإن أخذ الأمر على قول من قال إن عليا مات وله ثمان وخمسون سنة ، فإنه كان إذ بعث النبى ﷺ ابن خمسة أعوام ، وكان إسلام أبى بكر ابن ثمان وثلاثين سنة ، وهو الإسلام المأمور به من عند الله عز وجل ، وأما من لم يبلغ الحلم فغير مكلف ولا مخاطب فسابقة أبى بكر وعمر رضى الله عنهما بلا شك أسبق من سابقة على ، وأما عمر فإن كان إسلامه تأخر بعد البعث بستة أعوام فإن غناءه كان أكثر من عناء أكثر من أسلم قبله ولم يبلغ على حد التكليف إلا بعد أعوام من مبعث النبى ﷺ ، وبعد أن أسلم كثير من الصحابة رجال ونساء بعد أن عذبوا فى الله تعالى ولقوا فيه الألاق وأما كونه لم يعبد قط[١٩٨] وثنا فنحن وكل مولود فى الإسلام لم نعبد قط وثنًا ، وعمار والمقداد[١٩٩] وسلمان[٢٠٠] وأبو ذر ، وحمزة ،

---

(١٩٧) ى (خ) : (هجرة) .

(١٩٨) سقط من (أ) (قط) .

(١٩٩) المقداد بن عمرو ، يعرف بابن الأسود ، الكندى الحضرمى أبو معبد ، صحابى من الأبطال . أول من قاتل على فرس فى سبيل الله ، وكان فى الجاهلية من سكان حضرموت ، شهد بدرًا وغيرها وسكن المدينة وتوفى على مقربة منها سنة ٣٣ هـ . (الاصابة ت ٨١٨٥) .

(٢٠٠) سلمان الفارسى ، صحابى ، كان يسمى نفسه سليمان الإسلام ، أصله من مجوس أصبهان ، عاش عمراً طويلًا ، قرأ كتب الفرس ـــ

وجعفر ، رضى الله عنهم قد عبدوا الأوثان أفترانا أفضل منهم من أجل ذلك ؟ معاذ الله من هذا ، فإنه لا يقوله مسلم ، فبطل أن يكون هذا يوجب لعلى فضلا [على أحد من الصحابة رضى الله عنهم ، ولو كان ذلك يوجب له فضلًا][٢٠١] زائدا لكانت عائشة سابقة لعلى رضى الله عنهما فى هذا الفضل ، لأنها كانت إذ هاجر النبى ﷺ بنت ثمانى سنين وأشهر ، ولم تولد إلا بعد إسلام أبيها[٢٠٢] بسنين ، وعلى ولد وأبوه عابد وثن قبل مبعث النبى ﷺ بسنين ، وعبد الله بن عمر أيضا أسلم أبوه وله أربع سنين لم يعبد قط وثنا ، فهو شريك لعلى فى هذه الفضيلة .

وقال بعضهم على كان أسوسهم .

قال أبو محمد : وهذا باطل لا خفاء به على مؤمن ولا كافر ، فقد درى البعيد والقريب والعالم والجاهل والمؤمن والكافر من ساس[٢٠٣] الإسلام إذ كفر من كفر من أهل الأرض بعد موت النبى وأذعن الجميع للتقيه[٢٠٤] وقبول ما دعت إليه العرب حاشا أبا بكر ، فهل ثبت أحد ثبات أبى بكر على كَلَب العدو وشدة الخوف .. ؟ حتى دخلوا فى الإسلام أفواجا كما خرجوا منه أفواجا وأعطوا الزكاة طائعين وكارهين ولم تَهُلْه جموعهم ولا تضافرهم ولا قله أهل الإسلام حتى أنار الله الإسلام وأظهره ، ثم هل ناطح كسرى وقيصر على أسرة ملكهما حتى أخضع حدود فارس والروم ، وصرع جلودهم[٢٠٥] ونكس راياتهم وأظهر الإسلام فى أقطار الأرض وَذَلَ الكفر وأهله وشبع جائع المسلمين وعز ذليلهم ، واستغنى فقيرهم ، وصاروا اخوة لا اختلاف بينهم وقرأوا القرآن ، وتفقهوا فى الدين إلا أبو بكر[٢٠٦].. ؟ ثم ثنى عمر ثم ثلث عثمان ثم قد رأى الناس خلاف ذلك كله وافتراق كلمة المؤمنين ، وضرب المسلمين بعضهم وجوه بعض بالسيوف ، وشك بعضهم قلوب بعض بالرماح وقتل بعضهم من بعض عشرات الألوف ، وشغلهم بذلك عن أن يفتح من بلاد الكفر قرية أو يذعر لهم سرب ، أو يجاهد منهم أحد حتى ارتجع أهل الكفر كثيرا مما صار بأيدى المسلمين من بلادهم ، فلم يجتمع المسلمون إلى اليوم[٢٠٧] فأين سياسة من سياسة ؟

قال أبو محمد : فإذ قد بطل كلما ادعاه هؤلاء الجهال ولم يحصلوا إلا على دعاوى ظاهرة الكذب لا دليل على صحة شىء منها وصح بالبرهان كما أوردنا أن أبا بكر هو الذى فاز بالقدح

ـــ واليهود ، وقصد بلاد العرب وقابل الرسول – ﷺ وأسلم ، وجعل أميرًا على المدائن فاقام بها إلى أن توفى عام ٣٦ هـ له فى كتب الحديث ٦٠ حديثًا . (طبقات ابن سعد حـ ٤ ص ٥٣) .

(٢٠١) ما بين القوسين سقط من (أ) .

(٢٠٢) فى (خ) : أبويها .

(٢٠٣) فى (أ) : (سائر) وهو تحريف .

(٢٠٤) فى (أ) : (للبقية) .

(٢٠٥) جلودهم : جمع جَلْد وهو القوى – وفى الأصل : جدودهم بدالين .

(٢٠٦) كان ينبغى أن يأتى بالاستثناء (إلا أبو بكر) بعد قوله : واستغنى فقيرهم حتى يستقيم الأسلوب .

(٢٠٧) فى (أ) : (القيامة) وهو تحريف .

المعلى ، والسبق المبرز ، والحظ الأسنى ، فى العلم والقرآن والجهاد ، والزهد والتقوى والخشية ، والصدقة والعتق والمشاركة ، والطاعة والسياسة . فهذه وجوه الفضل كلها فهو بلا شك أفضل من جميع الصحابة كلهم بعد نساء النبى ﷺ .

قال أبو محمد : ولم نحتج عليهم بالأحاديث لأنهم لا يصدقون أحاديثنا ولا نصدق أحاديثهم وإنما اقتصرنا على البراهين الضرورية بنقل الكواف ، فإن كانت الإمامة تُستَحق بالتقدم فى الفضل فأبو بكر أحق الناس بها بعد موت رسول الله ﷺ يقينا ، فكيف والنص على خلافته صحيح .. ؟ وإذ قد صحت إمامة أبى بكر رضى الله عنه فطاعته فرض فى استخلافه عمر رضى الله عنه فوجبت إمامة عمر فرضا بما ذكرنا ، وبإجماع أهل الإسلام عليهما دون خلاف من أحد قطعا ، ثم أجمعت الأمة كلها أيضا بلا خلاف من أحد منهم على صحة إمامة عثمان والدينونة بها ، وأما خلافة على فحق لا بنص ولا بإجماع لكن ببرهان سنذكره إن شاء الله فى الكلام فى حروبه .

قال أبو محمد : ومن فضائل أبى بكر المشهورة قوله عز وجل « إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا(٢٠٨) » .

فهذه فضيلة منقولة بنقل الكافة لا خلاف بين أحد فى أنه أبو بكر ، فأوجب الله تعالى له فضيلة المشاركة فى اخراجه مع رسول الله ﷺ فى أنه خصه باسم الصحبة له ، وبأنه ثانيه فى الغار ، وأعظم من ذلك كله أن الله معهما ، وهذا ما لا يلحقه فيه أحد .

قال أبو محمد : فاعترض فى هذا بعض أهل القحة فقال : قد قال الله عز وجل : فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا(٢٠٩) » .

قال : وقد حزن أبو بكر فنهاه رسول الله ﷺ عن ذلك فلو كان حزنه رضا لله عز وجل لما نهاه رسول الله ﷺ .

قال أبو محمد : وهذه مجاهرة بالباطل أما قوله تعالى فى الآية لصاحبه وهو يحاوره قد أخبر الله تعالى بأن أحدهما مؤمن والآخر كافر ، وبأنهما مختلفان ، فإنما سماه صاحبه فى المحاورة والمجالسة فقط .

كما قال تعالى : « وإلى مدين أخاهم شعيبا(٢١٠) » .

فلم يجعله أخاهم فى الدين لكن فى الدار والنسب ، فليس هكذا قوله تعالى — إذ يقول

---

(٢٠٨) سورة التوبة آية رقم ٤٠
(٢٠٩) سورة الكهف آية رقم ٣٤ وقد جاءت الآية محرفة فى (أ) بقوله : إذ .
(٢١٠) سورة الأعراف آية رقم ٨٥

لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ، بل جعله صاحبه فى الدين والهجرة ، وفى الاخراج وفى الغار ، وفى نصرة الله تعالى لهما وإخافة الكفار لهما ، وفى كونه تعالى معهما ، فهذه الصحبة غاية الفضل وتلك الأخرى غاية النقص بنص القرآن ، وأما حزن أبى بكر رضى الله عنه فإنه قبل أن ينهاه عنه(٢١١) رسول الله ﷺ كان غاية الرضا لله ، لأنه كان اشفاقا على رسول الله ﷺ ولذلك كان الله معه وهو تعالى لا يكون مع العصاة بل عليهم ، وما حزن أبو بكر قط بعد أن نهاه رسول الله ﷺ عن الحزن ولو كان لهؤلاء الأرذال حياء أو علم لم يأتوا بمثل هذا إذ لو كان حزن أبى بكر عيبا عليه لكان ذلك على محمد وموسى رسول الله ﷺ عيبا ، لأن الله عز وجل قال لموسى عليه السلام « سنشد عَضُدَكَ بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون(٢١٢) » .

ثم قال تعالى عن السحرة إنهم قالوا لموسى « إما أن تلقى وإما أن نكون أول من ألقى ، قال بل ألقوا فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى فأوجس فى نفسه خيفة موسى ، قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى(٢١٣) » فهذا رسول الله ﷺ وكليمه قد كان أخبره الله عز وجل بأن فرعون وملأه لا يصلون إليه ، وأن موسى ومن اتبعه هو الغالب ، ثم أوجس فى نفسه خيفة بعد ذلك إذ رأى أمر السحرة حتى أوحى الله عز وجل إليه لا تخف ، فهذا أمر أشد من أمر أبى بكر وإذا لزم ما يقول هؤلاء الفساق أبا بكر وحاشا لله أن يلزمه من أن حزنه لو كان رضا لما نهاه رسول الله ﷺ لزم أشد منه لموسى عليه السلام وأن إيجاسه الخيفة فى نفسه لو كان رضا لله تعالى ما نهاه الله تعالى عنه ومعاذ الله من هذا ، بل إيجاس موسى الخيفة فى نفسه لم يكن إلا نسيان الوعد المتقدم ، وحزن أبى بكر رضى الله عنه رضا لله تعالى قبل أن ينهى عنه ، ولم يكن تقدم إليه نهى عن الحزن ، وأما محمد ﷺ فإن الله عز وجل قال « ومن كفر فلا يحزنك كفره(٢١٤) » .

وقال تعالى : « ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون(٢١٥) » .

وقال تعالى : « فلا يحزنك قولهم إن العزة لله جميعا(٢١٦) » .

وقال تعالى : « فلا تذهب نفسك عليهم حسرات(٢١٧) » .

وقال تعالى : « فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا(٢١٨) » .

---

(٢١١) سقط من (أ) (عنه) .
(٢١٢) سورة القصص آية رقم ٣٥
(٢١٣) سورة طه آية رقم ٦٦
(٢١٤) سورة لقمان آية رقم ٢٣
(٢١٥) سورة النحل آية رقم ١٢٧
(٢١٦) سورة يونس آية رقم ٦٥
(٢١٧) سورة فاطر آية رقم ٨
(٢١٨) سورة الكهف آية رقم ٦

ووجدناه عز وجل قد قال : « قد نعلم إنه ليحزنك الذى يقولون(٢١٩)» .

وقاله أيضا فى الأنعام فهذا الله تعالى أخبرنا أنه يعلم أن رسول الله ﷺ يحزنه الذى يقولون ، ونهاه عز وجل عن ذلك نصا ، فيلزمهم فى حزن رسول الله ﷺ الذى نهاه الله تعالى عنه كالذى أرادوا فى حزن أبى بكر سوآء سواء . ونعم إن حزن رسول الله ﷺ بما كانوا يقولون من الكفر كان طاعة لله تعالى قبل أن ينهاه الله عز وجل [وما حزن عليه السلام بعد أن نهاه ربه تعالى عن الحزن ، كما كان حزن أبى بكر طاعة لله عز وجل قبل أن ينهاه الله عز وجل عن الحزن](٢٢٠) وما حزن أبو بكر قط بعد أن نهاه عليه السلام عن الحزن ، فكيف وقد يمكن أن يكون أبو بكر لم يحزن يومئذ .. ؟ !! لكن نهاه عليه السلام عن أن يكون منه حزن كما قال تعالى لنبيه عليه السلام « ولا تطع منهم آثما أو كفورا(٢٢١)» .

فنهاه عن أن يطيعهم ولم تكن منه طاعة لهم ، وهذا إنما يعترض به أهل الجهل والسخافة ونعوذ بالله من الضلال .

قال أبو محمد : واعترض علينا بعض الجهال ببعثة رسول الله ﷺ على بن أبى طالب خلف أبى بكر رضى الله عنهما فى الحجة التى حجها أبو بكر ، وأخذ برآءة من أبى بكر ، وتولى على تبليغها إلى أهل الموسم وقراءتها عليهم .

قال أبو محمد : وهذا من أعظم فضائل أبى بكر لأنه كان أميرًا على على بن أبى طالب وغيره من أهل الموسم ، لا يدفعون إلا بدفعة ولا يقفون إلا بوقوفه ولا يصلون إلا بصلاته ، وينصتون إذا خطب وعلى فى الجملة كذلك ، وسورة براءة وقع فيها فضل أبى بكر رضى الله عنه وذكره فى أمر الغار وخروجه مع النبى ﷺ وكون الله تعالى معهما فقراءة على لها أبلغ فى إعلان فضل أبى بكر على على ، وعلى سواه ، وحجة لأبى بكر قاطعة وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : إلا أن ترجع الروافض إلى إنكار القرآن والنقص منه والزيادة فيه ، فهذا أمر يظهر فيه قحتهم وجهلهم وسخفهم ، إلى كل عالم وجاهل ، فإنه لا يمترى كافر ولا مؤمن فى أن هذا الذى بين اللوحين من الكتاب هو الذى أتى به محمد ﷺ وأخبرنا بأنه أوحاه الله تعالى إليه فمن تعرض [إلى](٢٢٢) هذا فقد أقر بعين عدوه .

قال أبو محمد : وما يعترض إمامة أبى بكر إلا زارٍ على رسول الله ﷺ ، رادٍ لأمره فى

---

(٢١٩) سورة الأنعام آية رقم ٣٣ وقد جاءت هذه الآية محرفة فى (أ) .
(٢٢٠) ما بين القوسين سقط من (خ) .
(٢٢١) سورة الإنسان آية رقم ٢٤ .
(٢٢٢) سقط من (أ) إلى .

تقديمه أبا بكر إلى الصلاة بأهل الإسلام ، مريدٍ لازالته عن مقام أقامة فيه رسول الله ﷺ .

قال أبو محمد : ولسنا من كذبهم فى تأويلهم « ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا[٢٢٣] » .

وأن المراد بذلك على رضى الله عنه بل هذا لا يصح بل الآية على عمومها وظاهرها لكل من فعل ذلك .

قال أبو محمد : فصح بما ذكرنا فضل أبى بكر على جميع الصحابة رضى الله عنهم بعد نساء النبى ﷺ بالبراهين المذكورة ، وأما الأحاديث فى ذلك فكثيرة كقول رسول الله ﷺ فى أبى بكر « دَعُوا لِى صَاحِبِى فَإِنَّ النَّاسَ قَالُوا كَذَبْتَ وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ صَدَقْتَ[٢٢٤] » .

وقوله ﷺ : « لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لاتخذتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا ولكنَّه أَخِى وَصَاحِبِى[٢٢٥] » .

وهذا الذى لا يصح غيره ، وأما إخوة على فلا تصح إلا مع سهل بن حنيف ، ومنها أمره ﷺ بسد كل باب وخوخه فى المسجد حاشا خوخة أبى بكر . وهذا هو الذى لا يصح غيره .

ومنها غضبه ﷺ على من خارج أبا بكر وعلى من أشار عليه بغير أبى بكر للصلاة ومنها قوله ﷺ : « إن من أمنَّ الناسِ علىَّ فى ماله أبا بكر[٢٢٦] » وعمدتنا فى تفضيل أبى بكر ثم عمر على جميع الصحابة بعد نساء النبىّ ﷺ هو قول رسول الله ﷺ إذ سئل من أحب الناس إليك يا رسول الله . قال : عائشة . قيل فمن الرجال ؟ قال : أبوها . قيل ثم من يا رسول الله ؟ قال : عمر » .

قال أبو محمد : فقطعنا بهذا ثم وقفنا ولو زادنا رسول الله ﷺ بيانا لزدنا لكنا لا نقول فى شىء من الدين إلا بما جاء به النص .

قال أبو محمد : واختلف الناس فيمن أفضل أعثمان أم على رضى الله عنهما ؟

---

(٢٢٣) سورة الإنسان آية رقم ٨

(٢٢٤) الحديث رواه البخارى ١٧ و ١٨ فى فضائل أصحاب النبى - ﷺ باب قول النبى - ﷺ . لو كنت متخذًا خليلًا وفى تفسير سورة الأعراف باب : قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعًا . ولفظه : هل أنتم تاركون لى صاحبى ؟ هل أنتم تاركون لى صاحبى ..؟ إنى قلت : يا أيها الناس إنى رسول الله عليكم جميعًا ، فقلتم كذبت وقال أبو بكر : صدقت .

(٢٢٥) الحديث رواه مسلم رقم ٢٣٨٣ فى فضائل الصحابة : باب مناقب أبى بكر الصديق - رضى الله عنه ، والترمذى رقم ٣٦٥٦ فى المناقب باب مناقب أبى بكر الصديق - رضى الله عنه ولفظه : لو كنت متخذًا خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا ولكنه أخي وصاحبى .

(٢٢٦) لفظ الحديث : قال رسول الله - ﷺ : « مِنْ أمن الناس على فى ماله وصحبته أبو بكر ، ولو كنت متخذًا خليلًا ، لاتخذت أبا بكر خليلًا ولكن أخوة الإسلام ، لا تبقين فى المسجد خوخه إلا خوخة أبى بكر » رواه البخارى ومسلم رقم ٢٣٨٢ فى فضائل أبى بكر والترمذى رقم ٣٦٦١ باب مناقب أبى بكر - رضى الله عنه .

قال أبو محمد : والذى يقع فى نفوسنا دون أن نقطع به ولا نخطىء من خالفنا فى ذلك فهو أن عثمان أفضل من على ، والله أعلم ، لأن فضائلهما تتقاوم فى الأكثر فكان عثمان أقرأ وكان على أكثر فتيا ورواية .

ولعلى أيضا حظ قوى فى القراءة ، ولعثمان أيضا حظ قوى فى الفتيا والرواية ، ولعلى مقامات عظيمة فى الجهاد بنفسه ولعثمان مثل ذلك بماله ، ثم انفرد عثمان بأن رسول الله ﷺ بايع ليساره المقدسة عن يمين عثمان فى بيعة الرضوان ، وله هجرتان وسابقة قديمة وصهر مكرم[٢٢٧] محمود ولم يحضر بدرًا فألحقه الله عز وجل فيهم بأجره التام وسهمه ، فألحقه بمن حضرها فهو معدود فيهم ثم كانت له فتوحات فى الإسلام عظيمة لم تكن لعلى ، وسيرة فى الإسلام هادية ، ولم يتسبب بسفك دم مسلم ، وجاءت فيه آثار صحاح ، وأن الملائكة تستحى منه[٢٢٨] وأنه ومن اتبعه على الحق والذى صح من فضائل على فهو قول النبى ﷺ : « أَنْتَ مِنِى بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِى . » وقوله عليه السلام : « لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غدًا رَجُلًا يُحِبُّ الله وَرَسُولَه وَيُحِبُّه الله وَرَسُولُه[٢٣٠] » وهذه صفة واجبة لكل مؤمن وفاضل وعهده عليه السلام : أَنَّ عَلِيًا لا يُحِبُّه إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا يَبْغَضُه إِلَّا مُنَافِق[٢٣١] » وقد صح مثل هذه فى الأنصار رضى الله عنهم أنه لا يبغضهم من يؤمن بالله واليوم الآخر » وأما من كنت مولاه فعلى مولاه » فلا يصح من طريق الثقات أصلا . وأما سائر الأحاديث التى تتعلق بها الرافضة فموضوعة يعرف ذلك من له أدنى علم بالأخبار ونقلتها .

قال أبو محمد : ونقول ففضل[٢٣٢] المهاجرين الأولين بعد عمر بن الخطاب قطعا إلا أننا لا نقطع بفضل أحد منهم على صاحبه كعثمان بن عفان ، وعثمان بن مظعون ، وعلىّ وجعفر ، وحمزة وطلحة والزبير ومصعب بن عمير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله بن مسعود ، وسعد وزيد بن حارثة ، وأبى عبيدة وبلال ، وسعيد بن زيد وعمار بن ياسر ، وأبى سلمة وعبد الله

---

(٢٢٧) فى (خ) : (مكرر) .

(٢٢٨) الحديث أخرجه مسلم فى فضائل الصحابة ، باب من فضائل عثمان رضى الله عنه ولفظه : ألا أستحى ممّن تستحى منه الملائكة .

(٢٢٩) الحديث رواه البخارى فى المغازى باب غزوة تبوك ، وفى فضائل أصحاب النبى ﷺ باب مناقب على ومسلم رقم ٢٤٠٤ فى فضائل أصحاب النبى والترمذى رقم ٣٧٣١ فى المناقب ، باب مناقب على – رضى الله عنه – ولفظه : أنت منى بمنزلة هارون من موسى .

(٢٣٠) الحديث رواه مسلم رقم ٢٤٠٤ فى فضائل الصحابة باب من فضائل على بن أبى طالب – رضى الله عنه والترمذى رقم ٣٧٢٦ فى المناقب ، باب مناقب على بن أبى طالب – رضى الله عنه – ولفظه : لأعطين الراية غدًا رجلًا يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله قال : فتطاولنا ، فقال : ادعو لى عليًا فأتى به أرمد فبصق فى عينيه ، ودفع الراية إليه ففتح الله عليه .

(٢٣١) الحديث أخرجه الترمذى رقم ٢٧١٩ فى المناقب باب مناقب على بن أبى طالب – رضى الله عنه – واسناده ضعيف ولكن يشهد له حديث والذى فلق الحبّة وبرأ النسمة إنه لعهد النبى الأمى إلىّ أنه لا يحبنى إلا مؤمن ، ولا يبغضنى إلا منافق . أخرجه مسلم والترمذى والنسائى .

(٢٣٢) فى (أ) : تفضل – وهو تحريف .

ابن جحش وغيرهم من نظرائهم . ثم بعد هؤلاء أهل العقبة ، ثم أهل بدر ، ثم أهل المشاهد كلها مشهدًا مشهدًا . فأهل كل مشهد أفضل من أهل المشهد الذى بعده حتى يبلغ الأمر إلى أهل(٢٣٣) الحديبية ، فكل من تقدم ذكره من المهاجرين والأنصار رضى الله عنهم إلى تمام بيعة الرضوان فإننا نقطع على غيب قلوبهم وأنهم كلهم مؤمنون صالحون ماتوا كلهم(٢٣٤) على الإيمان والهدى والبر ، كلهم من أهل الجنة لا يلج أحد منهم النار ألبتة ، لقول الله تعالى : « والسابقون السابقون أولئك المقربون فى جنات النعيم(٢٣٥) » . وكقوله عز وجل : « لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم(٢٣٦) » .

قال أبو محمد : فمن أخبرنا أن الله عز وجل أنه علم ما فى قلوبهم رضى الله عنهم ، وأنزل السكينة عليهم ، فلا يحل لأحد التوقف فى أمرهم ، ولا الشك فيهم ألبتة ، ولقول رسول الله ﷺ « لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة إلا صاحب الجمل الأحمر(٢٣٧) » ولإخباره عليه السلام .. أنه لا يدخل النار أحد شهد بدرًا . ثم نقطع على أن كل من صحب رسول الله ﷺ بنية صادقة ولو ساعة فإنه من أهل الجنة لا يدخل النار لتعذيب إلا أنهم لا يلحقون بمن أسلم قبل الفتح وذلك لقول الله عز وجل .. لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى(٢٣٨) » .

وقال تعالى : « وعد الله لا يخلف الله وعده(٢٣٩) » .

وقال تعالى : « إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون ، لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون(٢٤٠) » فصح بالضرورة أن كل من انفق من قبل الفتح وقاتل فهو مقطوع على غيبة(٢٤١) لتفضيل الله تعالى إياهم ، والله تعالى لا يفضل إلا مؤمنا فاضلا ، وأما من أنفق بعد الفتح وقاتل فقد كان فيهم منافقون لم يعلمهم رسول الله ﷺ فكيف نحن .

---

(٢٣٣) فى (أ) : سقطت كلمة (أهل) .
(٢٣٤) سقط من (أ) كليهم .
(٢٣٥) سورة الواقعة آية رقم ١٠
(٢٣٦) سورة الفتح آية رقم ١٨
(٢٣٧) الحديث رواه مسلم فى المنافقين ١٢ ورواه الترمذى فى المناقب ٥٨ ، والدارمى فى الصلاة ٢٢٢ ولفظه عند مسلم : وكلكم مغفور له إلا صاحب الجمل الأحمر ، فأتيناه فقلنا له تعالى يستغفر لك رسول الله - ﷺ - إلخ .. وصاحب الجمل الأحمر : هو : الجد ابن قيس .
(٢٣٨) سورة الحديد آية رقم ١٠
(٢٣٩) سورة الروم آية رقم ٦
(٢٤٠) سورة الأنبياء آية رقم ١٠٣
(٢٤١) فى (أ) : عينه .

قال الله تعالى « وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم[٢٤٢].

قال أبو محمد : فلهذا لم نقطع على كل امرىء منهم بعينه لكن نقول : كل من لم يكن منهم من المنافقين فهو من أهل الجنة يقينا ، لأنه قد وعدهم الله تعالى الحسنى كلهم ، وأخبر أنه لا يخلف وعده . وأن من سبقت له الحسنى فهو مبعد من النار لا يسمع حسيسها ، ولا يحزنه الفزع الأكبر ، وهو فيما اشتهى خالد . وهذا نص قولنا والحمد لله رب العالمين .

قال أبو محمد : لقد خاب وخسر من رد قول ربه عز وجل أنه رضى عن المبايعين تحت الشجرة وعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وقد علم كل أحد له أدنى علم أن أبا بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعليًا ، وطلحة ، والزبير ، وعمار ، والمغيرة بن شعبة ، رضى الله عنهم من أهل هذه الصفة ، والخوارج ، والروافض ، قد انتظمت الطائفتان الملعونتان البراءة منهم ، خلافا لله عز وجل ، وعنادًا له . ونعوذ بالله من الخذلان .

قال أبو محمد : فهذا قولنا فى الصحابة رضى الله عنهم فأما التابعون ومن بعدهم فلا نقطع على عينهم واحدا واحدًا إلا من بان منه احتمال المشقة فى الصبر للدين ، ورفض الدنيا لغير عرض[٢٤٣] استعجله ، إلا اننا لا ندرى على ماذا مات ، وإن بلغنا الغاية فى تعظيمهم ، وتوقيرهم ، والدعاء بالمغفرة والرحمة والرضوان لهم ، لكن نتولاهم جملة قطعًا ، ونتولى كل إنسان منهم بظاهره ، ولا نقطع على أحد منهم بجنة ، ولا نار . لكن نرجو لهم ، ونخاف عليهم إذ لا نص فى إنسان منهم بعينه ولا يحل الاخبار عن الله عز وجل إلا بنص من عنده . لكن نقول : كما قال رسول الله ﷺ : خيركم القرن الذى بعثت فيه ثم الذى يلونهم ثم الذى يلونهم[٢٤٤].. » ومعنى هذا الحديث إنما هو أن[٢٤٥] كل قرن من هذه القرون التى ذكر عليه السلام أكثر فضلا بالجملة من القرن الذى بعده . لا يجوز غير هذا ألبتة .

وبرهان ذلك أنه قد كان فى عصر التابعين من هو أفسق الفاسقين كمسلم بن عقبة المرى وحبيش بن دكخة القينى ، والحجاج بن يوسف الثقفى وقتلة عثمان ، وقتلة الزبير وقتلة الحسين رضى الله عنهم ، ولعن قتلتهم ومن بعثهم فمن خالف قولنا[٢٤٦] فى هذا الخبر لزمه أن يقول : ان هؤلاء

---

(٢٤٢) سورة التوبة آية رقم ١٠١

(٢٤٣) فى (أ) : غرض .

(٢٤٤) الحديث رواه البخارى فى الشهادات ٩ وفضائل الصحابة ١ وأيمان ١٠ ورواه الترمذى فى الفتن ٤٥ والشهادات ٤ والمناقب ٥٦ وابن ماجه فى الأحكام ٢٧ وأحمد بن حنبل فى المسند حـ ١ ص ٢٧٨ ولفظه عند ابن ماجه « سئل رسول الله - ﷺ - أى الناس خير .. ؟ قال : قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم . ثم يجيء قوم تبدو شهادةُ أحدهم يمينه ويمينه شهادته » .

(٢٤٥) سقط من (أ) أن .

(٢٤٦) فى (خ) : بزيادة (معنى) .

الفساق الأخابث أفضل من كل فاضل فى القرن الثالث ومن بعده ، كسفيان الثورى[٢٤٧] والفضيل ابن عياض[٢٤٨] ومسعر بن كدام[٢٤٩] وشعبة[٢٥٠] ومنصور بن المعتمر[٢٥١] ومالك[٢٥٢] والأوزاعى[٢٥٣] والليث[٢٥٤] وسفيان بن عينيه[٢٥٥] ووكيع[٢٥٦] وابن المبارك[٢٥٧] والشافعى وأحمد بن حنبل وإسحاق ابن راهويه ، وداود بن على رضى الله عنهم ، وهذا ما لا يقوله أحد وما يبعد أن يكون فى زماننا وفيمن يأتى بعدنا من هو أفضل من أفضل[٢٥٨] رجل من التابعين عند الله عز وجل ، إذ لم يأت فى المنع من ذلك نص ولا دليل أصلا ، والحديث المأثور فى أويس القرنى لا يصح لأن مداره على أسيد ابن جابر وليس بالقوى ، وقد ذكر شعبة أنه سأل عمرو بن مرة وهو كوفى قرنى مرادى من أشرف

---

(٢٤٧) سفيان الثورى : هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثورى من بنى ثور من مضر أبو عبد الله ، أمير المؤمنين فى الحديث ، كان سيّد أهل زمانه فى علوم الدين والتقوى ولد سنة ٩٧ هـ بالكوفة ، ورواه المنصور العباسى على أن يلى الحكم فأبى وخرج من الكوفة سنة ١٤٤ هـ فسكن مكة والمدينة مات بالبصرة مختفيًا من المهدى سنة ١٦١ هـ له من الكتب « الجامع الكبير والجامع الصغير وكتاب فى الفرائض » . طبقات ابن سعد حـ ٦ ، ص ٢٥٧ .

(٢٤٨) الفضيل بن عياض بن مسعود التميمى اليربوعى ، أبو على . شيخ الحرم المكى ، من أكابر العلماء الصالحين ، كان ثقة فى الحديث ، أخذ عنه الإمام الشافعى ، ولد فى سمرقند سنة ١٠٥ هـ ودخل الكوفة وأصله منها ثم سكن مكة وتوفى بها عام ١٨٧ هـ : شذرات الذهب حـ ٨ ص ٢٢٣

(٢٤٩) مسعر بن كدام بن ظهير الهلالى العامرى الرواس ، أبو سلمة من ثقات أهل الحديث ، كوفى ، كان يقال له « المصحف » لعظمة الثقة بما يرويه وكانْ مرجئا وعنده نحو ألف حديث وخرج له الستة توفى بمكة سنة ١٥٢ هـ . (تهذيب التهذيب حـ ١٠ ص ١١٣) .

(٢٥٠) شعبة بن الحجاج بن الورد الأزدى أبو بسطام من أئمة رجال الحديث ، ولد بواسط عام ٨٢ هـ قال الإمام أحمد ، هو أمة وحده فى هذا الشأن وقال الشافعى : لولا شعبة ما عرف الحديث بالعراق ، له كتاب الغرائب فى الحديث . (تهذيب التهذيب حـ ٤ ص ٣٣٨) .

(٢٥١) منصور بن المعتمر بن عبد الله السلمى أبو عتاب من أعلام رجال الحديث من أهل الكوفة . لم يكن فيها أحفظ للحديث منه وكان ثقة ثبتا توفى سنة ١٣٢ هـ . (التهذيب حـ ١ ص ٣١٢) .

(٢٥٢) مالك بن أنس بن مالك أبو عبد الله ، إمام دار الهجرة ، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة وإليه تنسب المالكيه ولد سنة ٩٣ هـ بالمدينة سأله المنصور أن يضع كتابًا للناس يحملهم على العمل به فصنف الموطأ وله رسالة فى الرد على القدرية . توفى سنة ١٧٩ هـ . (الوفيات حـ ١ ص ٤٣٩) .

(٢٥٣) الأوزاعى : عبد الرحمن بن عمرو من قبيلة الأوزاع أبو عمرو إمام الديار الشامية فى الفقه والزهد وأحد الكتاب المترسلين ولد فى بعلبك ونشأ فى البقاع وسكن بيروت ، وعرض عليه القضاء فامتنع له كتاب السنن فى الفقه والمسائل توفى سنة ١٥٧ هـ . (الوفيات حـ ١ ص ٢٧٥) .

(٢٥٤) الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمى ، إمام أهل مصر فى عصره حديثًا وفقهًا ، أصله من خراسان ومولده فى قلقشنده سنة ٩٤ هـ وكان من الكرماء الأجواد ، قال الشافعى : الليث أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به . لابن حجر كتاب : الرحمة الغيثية فى الترجمة الليثية . توفى بالقاهرة عام ١٧٥ هـ . (وفيات الأعيان حـ ١ ص ٤٣٨) .

(٢٥٥) سفيان بن عينيه بن ميمون الهلالى الكوفى أبو محمد . محدث الحرم المكى من الموالى ، ولد بالكوفة سنة ١٠٧ هـ وسكن مكة . كان حافظًا ثقة ، واسع العلم كبير القدر . قال الشافعى : لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز ، حج سبعين مرة له كتاب فى التفسير ، وآخر فى الحديث توفى سنة ١٩٨ هـ . (تذكرة الحفاظ حـ ١ ص ٢٤٢) .

(٢٥٦) وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسبى ، أبو سفيان . حافظ للحديث ، ثبت كان محدث العراق فى عصره ، ولد بالكوفة سنة ١٢٩ هـ ، وأراد أن يوليه الرشيد قضاء الكوفة فامتنع ورعًا وكان يصوم الدهر له كتب منها تفسير القرآن والسنن ، والمعرفة ، والتاريخ توفى سنة ١٩٧ هـ . (تذكرة الحفاظ حـ ١ ص ٢٨٢) .

(٢٥٧) ابن المبارك : هو عبد الله بن المبارك بن واضح التميمى أبو عبد الرحمن الحافظ ، شيخ الإسلام ، المجاهد التاجر ، صاحب التصانيف والرحلات أفنى عمره فى الأسقار حاجًا ، ومجاهدًا وتاجرًا ، وجمع الحديث والفقه والعربية ، كان من سكان خراسان ومات بهيت على الفرات منصرفًا من غزو الروم عام ١٨١ هـ له كتاب فى الجهاد ، والرقائق . (تذكرة الحفاظ حـ ١ ص ٢٥٣) .

(٢٥٨) سقط من (أ) (من أفضل) .

مراد وأعلمهم بهم عن أويس القرنى فلم يعرفه فى قومه ، وأما الصحابة رضى الله عنهم فخلاف هذا ولا سبيل إلى أن يلحق أقلهم درجة أحد من أهل الأرض ، وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : وذهب بعض الروافض إلى أن لذوى قرابة رسول الله ﷺ فضلا بالقرابة فقط ، واحتج بقول الله تعالى : إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض[٢٥٩] .

وبقوله عز وجل « قل لا أسئلكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى[٢٦٠]» وبقوله تعالى « وابعث فيهم رسولا منهم[٢٦١]» .

قال أبو محمد : وهذا كله لا حجة فيه ، أما اخباره تعالى بأنه اصطفى آل إبراهيم وآل عمران على العالمين . فإنه لا يخلو من أحد وجهين لا ثالث لهما : إما ان يعنى كل مؤمن فقد قال ذلك بعض العلماء أو يعنى مؤمنى أهل بيت إبراهيم وعمران[٢٦٢] لا يجوز غير هذا لأن آذر والد إبراهيم عليه السلام كان كافرا عدوا لله لم يصطفه الله تعالى الا لدخول النار ، فإن أراد الوجه الذى ذكرنا لم نمانعه ولا ننازعه فى أن موسى وهارون من آل عمران ، وان اسماعيل واسحاق ويعقوب ويوسف من آل إبراهيم مصطفون على العالمين ، فأى حجة هاهنا لبنى هاشم .؟

فإن ذكروا الدعاء المأمور به وهو ، اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد .

فالقول فى هذا كما قلنا ولا فرق ، وهذا دعاء لكل مؤمن وقد قال تعالى « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصلى عليهم إن صلاتك سكن لهم[٢٦٣]» .

وقال رسول الله ﷺ : اللهم صل على آل أبى أوفى[٢٦٤] فهذا هو الدعاء لهم بالصلاة على كل مؤمن ومؤمنة بلا خلاف ، وكذلك الدعاء فى التشهد المفترض فى كل صلاة من قول المصلى[٢٦٥]: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، فهذا السلام على كل مؤمن ومؤمنة فاستوى بنوا هاشم وغيرهم فى اطلاق الدعاء بالصلاة عليهم وبالسلام عليهم ولا فرق ، وقال تعالى : « وبشر

---

(٢٥٩) سورة آل عمران آية رقم ٣٣
(٢٦٠) سورة الشورى آية رقم ٢٣
(٢٦١) سورة البقرة آية رقم ١٢٩
(٢٦٢) فى (أ) : وعمر ، أن : وهو تحريف .
(٢٦٣) سورة التوبة آية رقم ١٠٣
(٢٦٤) الحديث رواه البخارى فى الدعوات ٣٢ وأبو داود فى الزكاة ٧ والنسائى فى الزكاة ١٣ وابن ماجه فى الزكاة ٨ وأحمد بن حنبل ٣٥٣/٤ ، ٣٥٥ ، ٣٨١ ، ٣٨٣
(٢٦٥) فى (أ) : المصطفى

الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة ، قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون[٢٦٦] فوجبت صلوات الله تعالى على كل مؤمن صابر واستوى فى هذا كله بنو هاشم وقريش والعرب والعجم من كان جميعهم بهذه الصفة ، وأيضا فيلزم من احتج بقوله تعالى : « إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين[٢٦٧]» أن يقول : إن من أسلم من الهارونيين من اليهود أفضل من بنى هاشم ، وأشرف وأولى بالتقديم ، لأنه من آل عمران ومن آل إبراهيم وفيهم ورد النص .

قال أبو محمد : فصح يقينا أن الله عز وجل إنما أراد بذلك الأنبياء عليهم السلام فقط وبيَّن هذا بيانا جليا قول الله عز وجل حاكيا عن ابراهيم عليه السلام أنه قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين . « فسوى الله تعالى بين الظالمين[٢٦٨]» من ذرية إبراهيم عليه السلام وبين[٢٦٩] الظالمين من ذرية غيره وقال عز وجل : إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا[٢٧٠]» [النبى عليه السلام][٢٧١] فخص الله تعالى بولاية إبراهيم عليه السلام ومن اتبع إبراهيم كائنا من كان فدخل فى هذا كل مؤمن ومؤمنة ولا فضل .

وأما قول الله عز وجل « قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى[٢٧٢]» . فهذا حق على ظاهره ، وإنما أراد عليه السلام من قريش أن يودوه لقرابته[٢٧٣] منهم ولا يختلف أحد من الأمة فى أنه عليه السلام لم يرد قط من المسلمين أن يودوا أبا لهب وهو عمه ولا شك فى أنه عليه السلام أراد من المسلمين مودة بلال ، وعمار ، وصهيب[٢٧٤]، وسلمان ، وسالم ، مولى أبى حذيفة[٢٧٥]، وأما قوله عز وجل عن إبراهيم عليه السلام « وابعث فيهم رسولًا منهم[٢٧٦]» فقد قال عز وجل « وإن من أمة

---

(٢٦٦) سورة البقرة آية رقم ١٥٥
(٢٦٧) سورة آل عمران آية رقم ٣٣
(٢٦٨) ما بين القوسين من (أ) .
(٢٦٩) فى (أ) : سقط « وبين » .
(٢٧٠) سورة آل عمران آية رقم ٦٨
(٢٧١) ما بين القوسين سقط من (أ) .
(٢٧٢) سورة الشورى آية رقم ٢٣
(٢٧٣) فى (أ) : بزيادة « واو » وهو تحريف .
(٢٧٤) صهيب بن سنان بن مالك من بنى النمر من قاسط : صحابى ومن أرمى العرب سهمًا أحد السابقين إلى الإسلام ، كانت منازل قومه فى أرض الموصل اختطف وبيع فى مكة ، احترف التجارة ، أسلم وهاجر إلى المدينة ، وشهد بدرًا وأحدًا والمشاهد كلها له ٣٠٧ حديثًا وتوفى بالمدينة سنة ٣٨ هـ . (طبقات ابن سعد حـ ٣ ص ١٦١) .
(٢٧٥) سالم مولى أبى حذيفة : هو سالم بن معقل ، أبو عبد الله ، مولى أبى حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس . صحابى من كبارهم فارس الأصل ، اعتقته ثبيته زوج أبى حذيفة صغيرًا وتبناه أبو حذيفة وزوجة ابنه أخ له وهو من السابقين إلى الإسلام وفى الحديث خذوا القرآن من أربعة : من ابن مسعود ، وسالم ، وأبى بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، شهد بدرًا وكان معه لواء المهاجرن يوم اليمامة وقتل فيها سنة ١٢ هـ . (الاصابة ت ٣٠٥٢) .
(٢٧٦) سورة البقرة آية رقم ١٢٩

إلا خلا فيها نذير[٢٧٧]» وقال تعالى : « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم[٢٧٨]» فاستوت الأمم كلها فى هذه الدعوة بأن يبعث فيهم رسولا منهم ممن هم قومه ، فإن احتج محتج بالحديث الثابت الذى فيه : إن الله اصطفى كنانه من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشا من كنانه ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم[٢٧٩]» (فمعناه ظاهر وهو أنه تعالى اختار كونه عليه الصلاة والسلام من بنى هاشم وكون بنى هاشم من قريش ، وكون قريش من كنانه وكون كنانة من بنى إسماعيل كما اصطفى أن يكون موسى من بنى لاوى ، وأن يكون بنو لاوى من بنى إسحاق عليه السلام ، وكل نبى من عشيرته التى هو منها ، ولا يجوز غير هذا ألبتة ، ونسأل من أراد هذا الحديث على غير هذا المعنى أيدخل أحد من بنى هاشم أو من قريش أو من كنانة أو من بنى[٢٨٠] إسماعيل النار أم لا ؟ فإن انكروا هذا كفروا ، وخالفوا الإجماع والقرآن والسنن ، وقد قال عليه السلام ، أبى وأبوك فى النار ، وأن أبا طالب فى النار[٢٨١]» .

وجاء القرآن بأن أبا لهب فى النار ، وسائر كفار قريش فى النار ، كذلك قال الله تعالى : « تبت يدا أبى لهب وتب ، ما أغنى عنه ما له وما كسب ، سيصلى نارا ذات لهب[٢٨٢]» .

فإذا أقر بأنه قد يدخل النار منهم من يستحق أن يدخلها صحت المساواة بينهم وبين سائر الناس .

قال أبو محمد : ويكذب هذا الظن الفاسد قول رسول الله ﷺ : يا فاطمة بنت محمد لا أغنى عنك من الله شيئا ، يا صفية عمة رسول الله لا أغنى عنك من الله شيئا ، يا عباس ابن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيئا ، يا بنى عبد المطلب لا أغنى عنكم من الله شيئا[٢٨٣]» .

---

(٢٧٧) سورة فاطر آية رقم ٢٤

(٢٧٨) سورة ابراهيم آية رقم ٤

(٢٧٩) الحديث رواه مسلم فى الفضائل رقم ١ والترمذى فى المناقب رقم ١ ورواه احمد بن حنبل حـ ٤ ص ١٠٧ ولفظه عند مسلم : إن الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل ، واصطفى قريشًا من كنانة ، واصطفى من قريش بن هاشم واصطفانى من بنى هاشم .

(٢٨٠) فى (أ) : سقط (بنى) .

(٢٨١) الحديث رواه أبو داود فى كتاب السنة فى باب ذرارى المشركين رقم ٤٧١٨ ولفظه عن أنس أن رجلًا قال : يا رسول الله ، أين أبى ؟ قال « أبوك فى النار » فلما قفى قال : إن أبى وأباك فى النار » .

(٢٨٢) سورة المسد آيات من ١ - ٣

(٢٨٣) الحديث رواه البخارى فى الوصايا ١١ « وتفسير سورة ٣٦ ، والمناقب ١٣ ورواه مسلم فى الإيمان ٣٥١ والنسائى فى الوصايا ٦ والدارمى فى الرقاق ٢٣ ولفظه عند البخارى : يا معشر قريش - أو كلمة نحوها - اشتروا أنفسكم لا أغنى عنكم من الله شيئا يا بنى عبد مناف لا أغنى عنكم من الله شيئا يا عباس بن عبد المطلب ... الخ .

وأبين من هذا كله قول الله تعالى : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم[٢٨٤]» .

وقوله تعالى : لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم[٢٨٥]» .

وقوله تعالى : « واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ، ولا مولود هو جازٍ عن والده شيئا[٢٨٦]» .

وقال تعالى : « وذكر عادًا وثمودًا وقوم نوح وقوم لوط » .

ثم قال : أكفاركم خير أم أولئكم أم لكم براءة فى الزبر[٢٨٧]» .

فصح ضرورة انه لا ينتفع أحد بقرابته من رسول الله ﷺ ، ولا من نبى من الأنبياء والرسل ، عليهم السلام . ولو أن النبى ابنه أو أبوه أو أمه بنية .

وقد نص الله تعالى : فى ابن نوح ووالد ابراهيم وعم محمد – على رسل الله الصلاة والسلام – ما فيه الكفاية .

وقد نص الله تعالى على أن من انفق من قبل الفتح وقاتل أعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا ، فصح ضرورة أن بلالًا ، وصهيبًا ، والمقداد ، وعمارًا وسالمًا ، وسلمان ، أفضل من العباس ، وبنيه عبد الله ، والفضل[٢٨٨]، وقثم[٢٨٩] ومعبد[٢٩٠]، وعبيد الله[٢٩١]، وعقيل بن أبى طالب[٢٩٢]، والحسن والحسين ، رضى الله عن جميعهم . بشهادة الله تعالى ، فإذ هذا لا شك فيه

(٢٨٤) سورة الحجرات آية رقم ١٣

(٢٨٥) سورة الممتحنة آية رقم ٣

(٢٨٦) سورة لقمان آية رقم ٣٣

(٢٨٧) سورة القمر آية رقم ٤٣

(٢٨٨) الفضل بن العباس ، وكان اكبر ولده وبه كان يكنى ، وكان جميلًا وأردفه رسول الله ﷺ فى حجته ومات فى الشام فى طاعون عمواس وليس له عقب . طبقات ابن سعد حـ ٤ ص ٦ .

(٢٨٩) قُثَمُ بن العباس كان يشبه النبى – ﷺ – وكان خرج إلى خراسان مجاهدًا فمات بسمرقند وليس له عقب . طبقات ابن سعد حـ ٤ ص ٦ .

(٢٩٠) ومَعْبَدَ قتل بافريقيا شهيدًا وله عقب وأمه : أم الفضل وهى لبابة الكبرى بنت الحارث بن حَزْن بن بُجَيْرْ وفيها وفى أولادها يقول الشاعر : ما ولدت نجيبة من فحل بجبل تعلمه أو سهل كستة من بطن أم الفضل اكرم بها من كهلة وكهل . طبقات بن سعد حـ ٤ ص ٦ .

(٢٩١) عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب أبو محمد والى كان أصغر من أخيه عبد الله نسبه رأى النبى – ﷺ – ولم يرو عنه شيئا واستعمله على على اليمن فحج بالناس سنة ٣٦ هـ وسنة ٣٧ هـ أورد له البغدادى أخبارًا حسانًا فى الجود توفى سنة ٨٧ هـ . خزانة البغدادى حـ ٣ ص ٢٥٦ .

(٢٩٢) عقيل بن أبى طالب بن عبد المطلب كنيته أبو يزيد ، أعلم قريش بأيامها وأنسابها ، صحابى فصيح اللسان ، شديد الجواب – وهو أخو على وجعفر لأبيهما ، بقى على الشرك إلى أن كانت غزوة بدر فأخرجته قريش للقتال كرهًا فشهدها معهم وأسره المسلمون ففداه العباس فرجع إلى مكة ثم أسلم بعد الحديبيه وهاجر إلى المدينة سنة ٨ هـ وشهد غزوة مؤته توفى سنة ٦٠ هـ . الاصابة ت ٥٦٣٠ .

ولا جزاء فى الآخرة إلا على عمل ولا ينتفع عند الله تعالى بالارحام ، ولا بالولادات وليست الدنيا دار فضل[٢٩٣] ولا جزاء فلا فرق بين هاشمى وقرشى ، وعربى وعجمى ، وحبشى وابن زنجية لغير[٢٩٤] الكرم والفوز لمن اتقى الله عز وجل .

حدثنا محمد بن سعيد بن بيان ، أنبأنا أحمد بن عبد الله البصير ، حدثنا قاسم بن اصبغ ، حدثنا محمد بن عبد السلام الخشنى ، حدثنا محمد بن المثنى ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدى ، حدثنا سفيان الثورى ، عن أبى إسحاق السبيعى ، عن حسان بن فايد العبسى قال قال عمر ابن الخطاب رضى الله عنه : « كرم الرجل دينه ، وحسبه خلقه ، وإن كان فارسيًا أو نبطيًا » .

(٢٩٣) سقط من (أ) كلمة فضل .
(٢٩٤) سقط من (أ) لغير .

الكلام فى حرب على
ومن حاربه من الصحابة رضى الله عنهم .

قال أبو محمد : اختلف الناس فى تلك الحرب على ثلاث فرق ، فقال جميع الشيعة وبعض المرجئة ، وجمهور المعتزلة ، وبعض أهل السنة ، أن عليا كان المصيب فى حربه ، وكل من خالفه على خطأ .

وقال واصل بن عطاء[1]، وعمرو بن عبيد ، وأبو الهذيل ، وطوائف من المعتزلة أن عليا مصيب فى قتاله معاوية ، وأهل النهر ، ووقفوا فى قتاله مع أهل الجمل ، وقالوا : إحدى الطائفتين مخطئة ولا نعرف أيهما هى . وقالت الخوارج : على المصيب فى قتاله أهل الجمل ، وأهل صفين ، وهو مخطىء فى قتاله أهل النهر .

وذهب سعد بن أبى وقاص ، وعبد الله بن عمر ، وجمهور الصحابة إلى الوقوف[2] فى على ، وأهل الجمل ، وأهل صفين ، وبه يقول جمهور أهل السنة ، وأبو بكر بن كيسان .

وذهب جماعة من الصحابة ، وخيار التابعين ، وطوائف ممن بعدهم ، إلى تصويب محاربى على من أصحاب الجمل ، وأصحاب صفين ، وهم الحاضرون لقتاله فى اليومين المذكورين ، وقد أشار إلى هذا أيضا أبو بكر بن كيسان .

قال أبو محمد : أما الخوارج ، فقد أوضحنا خطأهم ، وخطأ أسلافهم فيما سلف من كتابنا هذا حاشا احتجاجهم بإنكار تحكيم على الحكمين ، فسنتكلم فى ذلك إن شاء الله تعالى كما تكلمنا فى سائر أحكامهم ، والحمد لله رب العالمين .

---

(١) هو واصل بن عطاء الغزال ، أبو حذيفه من موالى بنى ضبه أو بنى مخزوم رأس المعتزله ، ومنهم طائفه تنسب إليه تسمى « الواصليه ، وهو الذى نشر مذهب الاعتزال وله سنة ٨٠ هـ ومن كتبه « أصناف المرجئه » « والمنزلة بين المنزلتين » وطبقات أهل العلم توفى عام ١٣١ هـ وفيات الأعيان ٢ : ١٧٠ .

(٢) فى (ب) : التوقف .

وأما من وقف فلا حجة له أكثر من أنه لم يتبين له الحق ، ومن لم يتبين له الحق فلا سبيل إلى مناظرته بأكثر من أن نبين له وجه الحق حتى يراه ، وذكروا أيضا أحاديث فى ترك القتال فى الاختلاف سنذكر لكم جملتها إن شاء الله تعالى فلم يبق إلا الطائفة المصوبة لعلى فى جميع حروبه ، والطائفة المصوبة ، لمن حاربه من أهل الجمل وأهل صفين .

قال أبو محمد : احتج من ذهب إلى تصويب محاربى على يوم الجمل ويوم صفين بأن قال : إن عثمان رضى الله عنه قتل مظلوما فالطلب بأخذ القَوَد من قاتليه فرض . قال عز وجل : « ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا[٣] » .

وقال تعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان[٤] » .

قالوا : ومن آوى الظالمين فهو إما مشارك لهم ، وإما ضعيف عن أخذ الحق منهم ، وقالوا : وكلا الأمرين حجة فى اسقاط إمامة[٥] من فعل ذلك ووجوب حربه .

قالوا : وما أنكروا على عثمان إلا أقل من هذا ، من جواز انفاذ أشياء بغير علمه ، فقد ينفذ مثلها سرًا ولا يعلمها أحد إلا بعد ظهورها .

قالوا : وحتى لو أن كل ما أنكر على عثمان يصح ما حل بذلك قتله بلا خلاف من أحد ، من أهل الإسلام لأنهم إنما أنكروا عليه استيثارًا بشىء يسير من فَضَلات الأموال ، لم تجب لأحد بعينه فمنعها ، وتولية أقاربه فلما شكوا إليه عز لهم وأقام الحد على من استحقه ، وأنه صرف الحَكَم ابن أبى العاص[٦] إلى المدينة ، ونفى رسول الله ﷺ للحكم لم يكن حدًا واجبًا ، ولا شريعة على التأبيد ، وإنما كان عقوبة على ذنب استحق به النفى ، والتوبة مبسوطة ، فإذا تاب سقطت عنه تلك العقوبة بلا خلاف من أحد من أهل الإسلام ، وصارت الأرض كلها له[٧] مباحة ، وأنه ضرب عمارا خمسة أسواط ، ونفى أبا ذر إلى الربذة . وهذا كله لا يبيح الدم .

قالوا : وايوآء على المحدثين أعظم الأحداث من سفك الدم الحرام فى حرم رسول الله ﷺ ، لاسيما دم الإمام ، وصاحب رسول الله ﷺ أعظم ، والمنع من إنفاذ الحق عليهم أشد ، من كل ما ذكرنا بلا شك .

---

(٣) سورة الإسراء آية رقم ٣٣

(٤) سورة المائدة آية رقم ٢

(٥) فى (أ) : إمامته على .

(٦) هو الحكم بن أبى العاص بن أميه بن عبد شمس بن عبد مناف عم عثمان بن عفان وأبو مروان بن الحكم ، كان من مسلمة الفتح وأخرجه رسول الله من المدينة وطردة عنها فنزل الطائف ، وخرج معه ابنه مروان فلم يزل الحكم بالطائف إلى أن ولى عثمان فرده إلى المدينة توفى فى آخر خلافة عثمان .

(٧) سقط من (أ) (له) .

قالوا : وامتناع معاوية من بيعة على ، كامتناع على من بيعة أبى بكر ، فما حاربه أبو بكر ، ولا أكرهه ، وأبو بكر أقدر على علىّ من علىّ على معاوية ، ومعاوية فى تأخره عن بيعة على أعذر ، وأفسح مقالا من على فى تأخره عن بيعة أبى بكر ، لأن عليًا لم يمتنع من بيعة أبى بكر أحد من المسلمين غيره ، بعد أن بايعه الأنصار ، والزبير ، وأما بيعة على فإن جمهور الصحابة تأخروا عنها ، إما عليه وإما لا لله ولا عليه ، وما تابعه منهم[٨] إلا الأقل سوى أزيد من مائة ألف مسلم بالشام ، والعراق ، والحجاز كلهم امتنع من بيعته فهل معاوية إلا كواحد من هؤلاء فى ذلك .؟

وأيضًا فإن بيعة على لم تكن على عهد من النبى ﷺ كما كانت بيعة أبى بكر ، ولا عن اجماع من الأمة كما كانت بيعة عثمان . ولا عن عهد من خليفة واجب الطاعة كما كانت بيعة عمر ، ولا بسوق[٩] بائن فى الفضل على غيره لا يختلف فيه[١٠] ولا عن شورى ، فالقاعدون عنها بلا شك ومعاوية من جملتهم – أعذر من على ، فى قعوده عن بيعة أبى بكر ستة أشهر حتى رآى البصيرة ، وراجع الحق عليه فى ذلك .

قالوا : فإن قلتم خفى على علىّ نص رسول الله ﷺ على أبى بكر : قلنا : لكم لم يخف عليه بلا شك تقديم رسول الله ﷺ أبا بكر إلى الصلاة ، وأمره عليًا بأن يصلى ورآه فى جماعة المسلمين ، فتأخره عن بيعة أبى بكر سعى منه فى حطه عن مكان جعله رسول الله ﷺ حقا لأبى بكر ، وسعى منه فى فسخ نص رسول الله ﷺ على تقديمه إلى الصلاة ، وهذا أشد من رد إنسان نفاه رسول الله ﷺ لذنب ثم تاب منه ، وأيضا فإن عليا قد تاب ، واعترف بالخطأ لأنه إذ بايع أبا بكر بعد ستة أشهر تأخر فيها عن بيعته لا يخلو ضرورة من أحد وجهين : إما أن يكون مصيبا فى تأخره فقد أخطأ إذ بايع ، أو يكون مصيبا فى بيعته فقد أخطأ إذ تأخر عنها قالوا : « والممتنعون من بيعة على لم يعترفوا قط بالخطأ على أنفسهم فى تأخرهم عن بيعته قالوا :[١١] فإن كان فعلهم خطأ فهو أخف[١٢] من الخطأ فى تأخر على عن بيعة أبى بكر ، وإن كان فعلهم صوابا فقد برئوا من الخطأ جملة ، قالوا : والبون بين طلحة ، والزبير ، وسعد بن أبى وقاص ، وعلى ، خفى جدا ، فقد كانوا فى الشورى معه لا يبدو له فضل تفوق عليهم[١٣]، ولا على واحد منهم ، وأما البون بين على وأبى بكر أبين وأظهر ، فهم من امتناعهم عن بيعته أعذر لخفاء التفاضل . قالوا : وهلا

---

(٨) فى (أ) : فيهم .
(٩) بسق النخل طال ، وبابه دخل ، ومنه قوله تعالى : « والنخل باسقات » .
(١٠) سقط من (أ) فيه .
(١١) فى (أ) : سقط ما بين القوسين .
(١٢) فى (خ) : (أخفى) .
(١٣) فى (أ) : (شفوق) وهو تحريف .

فعل على فى قتلة عثمان كما فعل بقتلة[١٤] عبد الله بن خبَّاب بن الأرت[١٥] فإن القضيتين استويا فى التحريم ، فالمصيبة فى قتل عثمان فى الإسلام وعند الله عز وجل وعلى المسلمين أعظم جرمًا وأوسع خرقا ، وأشنع إثما ، وأهول فيقا[١٦] من المصيبة ، فى قتل عبد الله بن خبَّاب ، قالوا وفعله فى طلب دم[١٧] عبد الله بن خباب يقطع حجة من تأول على علىّ أنه يمكن أن يكون لا يرى قتل الجماعة بالواحد .

قال أبو محمد : هذا كل ما يمكن أن تحتج به هذه الطائفة قد تقصيناه ، ونحن إن شاء الله تعالى متكلمون على ما ذهبت إليه كل طائفة من هذه الطوائف حتى يلوح الحق فى ذلك بعون الله تعالى وتأييده .

قال أبو محمد : نبدأ بعون الله عز وجل بإنكار الخوارج التحكيم .

قال أبو محمد : قالوا حكم علىٌّ الرجالّ فى دين الله تعالى ، والله عز وجل قد حرم ذلك بقوله .. إن الحكم إلا لله[١٨]» .

وبقوله تعالى : « وما اختلفتم فيه من شىء فحكمه إلى الله[١٩]» .

قال أبو محمد : ما حكم على رضى الله عنه قط رجلا فى دين الله ، وحاشاه من ذلك وإنما حكَّم كلام الله عز وجل كما افترض الله تعالى عليه ، وإنما اتفق القوم كلهم إذ رفعت المصاحف على الرماح ، وتداعوا إلى ما فيها على الحكم بما أنزل الله عز وجل فى القرآن ، وهذا هو الحق الذى لا يحل لأحد غيره لأن الله تعالى يقول : فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر[٢٠]» .

فإنما حكم على رضى الله عنه أبا موسى وعَمْرًا رضى الله عنهما ليكون كل واحد منهما مدليا بحجة من قدمه ، وليكونا متخاصمين عن الطائفتين ثم حاكمين لمن أوجب القرآن الحكم له ، وإذ من المحال الممتنع الذى لا يمكن أن يفهم ، لغط العسْكَرين أو أن يتكلم جميع أهل العسكر بحجتهم ، فصح يقينا لا محيد عنه صواب على فى تحكيم الحكمين والرجوع إلى ما أوجبه القرآن ،

---

(١٤) فى (خ) : فى قتله .

(١٥) خباب بن الأرت بن جندلة بن سعد التميمى أبو يحيى أبو عبد الله ، صحابى من السابقين إلى الإسلام قيل أسلم سادس ستة وهو أول من أظهر اسلامه كان فى الجاهلية يعمل السيوف شهد المشاهد كلها ونزل بالكوفه فمات بها عام ٣٧ هـ وله ٧٣ سنة . الاصابة ١ : ٤١٦ .

(١٦) فيقًا : شدة .

(١٧) سقط من (خ) (دم) .

(١٨) سورة الأنعام آية رقم ٥٧

(١٩) سورة الشورى آية رقم ١٠

(٢٠) سورة النساء آية رقم ٥٩

وهذا الذى لا يجوز غيره ، ولكن أسلاف الخوارج كانوا أعرابًا قرأوا القرآن قبل أن يتفقهوا فى السنة الثابتة عن رسول الله ﷺ ، ولم يكن فيهم أحد من الفقهاء ، لا من أصحاب ابن مسعود ، ولا أصحاب عمر ، ولا أصحاب على ، ولا أصحاب عائشة ، ولا أصحاب أبى موسى ، ولا أصحاب معاذ بن حنبل ، ولا أصحاب أبى الدرداء ، ولا أصحاب سلمان ، ولا أصحاب زيد ، وابن عباس ، وابن عمر ، ولهذا تجدهم يكفر بعضهم بعضا عند أقل نازلة تنزل بهم من دقائق الفتيا وصغارها ، فظهر ضعف القوم ، وقوة جهلهم ، وأنهم أنكروا ما قام البرهان الذى أوردنا بأنه حق ، ولو لم يكن من جهلهم إلا قرب[٢١] عهدهم بخبر الأنصار يوم السقيفة ، وإذ عانهم رضى الله عنهم مع جميع المهاجرين ، لوجوب[٢٢] الأمر فى قريش دون الأنصار ، وغيرهم وأن عهدهم بذلك قريب منذ خمسةٍ وعشرين عاما وأشهر ، وجمهوروهم أدرك ذلك بسُنَّة ، وثبت عند جميعهم كثبات أمر النبى ﷺ ولا فرق ، لأن الذين نقلوا إليهم أمر رسول الله ﷺ ونقلوا إليهم القرآن ، والشرائع ، فدانوا بكل ذلك هم بأعيانهم لا زيادة فيهم ولا نقص ، نقلوا إليهم خبر السقيفة ، ورجوع الأنصار إلى أن الأمر لا يكون إلا فى قريش ، وهم يقرون ويقرأون قوله تعالى : « لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى[٢٣]» .

وقوله تعالى : « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا[٢٤]» الآية .

وقوله تعالى : « لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا[٢٥]» .

ثم أعماهم الشيطان وأضلهم الله تعالى على علم ، فحلوا بيعة مثل على ، وأعرضوا عن مثل سعيد بن زيد ، وسعد ، وابن عمر ، وغيرهم ممن انفق من قبل الفتح وقاتل ، وأعرضوا عن سائر الصحابة الذين أنفقوا بعد الفتح وقاتلوا ، ووعدهم الله الحسنى ، وتركوا من يقرون بأن الله تعالى عز وجل علم ما فى قلوبهم ، فأنزل السكينة عليهم ، ورضى عنهم ، وبايعوا الله وتركوا جميع الصحابة ، وهم الأشداء على الكفار ، الرحماء بينهم ، الركع السجد المبتغون فضلا من الله ورضوانا ، سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ، المثنى عليهم فى التوراة ، والإنجيل ، من عند الله

(٢١) ف (أ) : لأقرب وهو تحريف .
(٢٢) ف (أ) : (لوجب) .
(٢٣) سورة الحديد آية رقم ١٠
(٢٤) سورة الفتح آية رقم ٢٩
(٢٥) سورة الفتح آية رقم ١٨

عز وجل الذين غاظ الله بهم الكفار المقطوع على أن باطنهم فى الخير كظاهرهم ، لأن الله عز وجل شهد بذلك فلم يبايعوا أحدًا منهم ، وبايعوا شيث بن ربعى مؤذن سجاح أيام ادعت النبوة بعد موت النبى ﷺ ، حتى تداركه الله عز وجل ففر عنهم ، وتبين له ضلالهم فلم يقع اختيارهم إلا على عبد الله بن وهب الراسبى اعرابى بوال على عقبيه لا سابقة له ولا صحبة ، ولا فقه ولا شهد الله له بخير قط ، فمن أضل ممن هذه سيرته واختياره ولكن حق لمن كان أحد أئمته ذو الخويصرة الذى بلغه ضعف عقله ، وقلة دينه إلى تجويره رسول الله ﷺ فى حكمه ، والاستدراك عليه ورأى نفسه أورع من رسول الله ﷺ هذا وهو يُقِرُّ أنه رسول الله ﷺ إليه وبه اهتدى وبه عرف الدين ، ولولاه لكان حمارًا أو أضل ، ونعوذ بالله من الخذلان .

وأما الطائفة المصوبة للقاعدين فإن من لم يلح له الحق منهم فإنما يكلم حتى يبين له الحق ، فيلزمه المصير إليه ، فنقول وبالله تعالى التوفيق : إنه قد صح ووجب فرض الإمامة بما ذكرنا قبل فى إيجاب الإمامة وإذ هى فرض فلا يجوز تضييع الفرض ، وإذ ذلك كذلك فالمبادرة إلى تقديم إمام عند موت الإمام فرض واجب ، وقد ذكرنا وجوب الائتمام بالامام فإذ هذا كله كما ذكرنا ، فإذ مات عثمان رضى الله عنه وهو الإمام ففرض إقامة إمام يأتم به الناس لئلا يبقوا بلا إمام . فإذ بادر على فبايعه واحد من المسلمين فصاعدا فهو إمام قائم ففرض طاعته لاسيما ولم تتقدم بيعته بيعةٌ ، ولم ينازعه الإمامة أحد جملة(٢٦)، فهذا أوضح وأوجب فى وجوب إمامته وصحة بيعته ، ولزوم إمرته للمؤمنين ، فهو الإمام بحقه ، وما ظهر منه قط إلى أن مات رضى الله عنه شىء يوجب نقض بيعته ، وما ظهر منه قط إلا العدل ، والجد ، والبر ، والتقوى ، والخير(٢٧) كما لو سبقت بيعة طلحة ، أو الزبير ، أو سعد ، أو سعيد ، أو من يستحق الإمامة لكانت أيضا بيعة حق لازمة لعلى ولغيره ، ولا فرق ، فعلى مصيب فى الدعاء إلى نفسه وإلى الدخول تحت إمامته وهذا برهان لا محيد عنه ، وأما أم المؤمنين ، والزبير ، وطلحة ، رضى الله عنهم ومن كان معهم فما أبطلوا قط إمامة على ولا طعنوا فيها ولا ذكروا فيه جرحه تحطه عن الإمامة ، ولا أحدثوا إمامةً أخرى ولا جددوا بيعة لغيره – هذا ما لا يقدر أن يدعيه أحد بوجه من الوجوه ، بل يقطع كل ذى علم على أن كل ذلك لم يكن ، فإذ لا شك فى كل هذا فقد صح صِحَةً ضرورية لا أشكال فيها ، أنهم لم يمضوا إلى البصرة لحرب على ولا خلافا عليه ولا نقضا لبيعته ، ولو أرادوا ذلك لأحدثوا بيعة غير بيعته – هذا ما لا يشك فيه أحد ، ولا ينكره أحد ، فصح أنهم إنما نهضوا إلى البصرة لسد الفتق الحادث فى الإسلام من قتل أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه ظلما ، ولم يكن نهوض علىٌّ إلى البصرة

---

(٢٦) فى (أ) : (أحد ما) .
(٢٧) سقط من (أ) (الخير) .

لقتالهم لكن موافقا لهم على ذلك ليقوى بهم وتجتمع الكلمة على قتلة عثمان رضى الله عنه[٢٨]، وبرهان ذلك أنهم اجتمعوا ولم يقتتلوا ولا تحاربوا ، فلما كان الليل عرف قتلة عثمان أن الإراغه[٢٩] والتدبير عليهم ، فبيتوا[٣٠] عسكر طلحة والزبير ، وبذلوا السيف فيهم فدفع القوم عن أنفسهم ، فَرَدِعُوا حتى خالطوا عسكر على ، فدفع أهله عن أنفسهم ، وكل طائفة تظن ولا تشك أن الأخرى بدأتها[٣١] بالقتال فاختلط الأمر اختلاطا لم يقدر أحد على أكثر من الدفاع عن نفسه ، والفسقة من قتلة عثمان — لعنهم الله[٣٢] — لا يَفْتُرون من شب[٣٣] الحرب ، واضرامها فكلتا الطائفتين مصيبة فى غرضها ، ومقصدها ، مدافعة عن نفسها ، ورجع الزبير وترك الحرب بحالها وأتى طلحة سهم غائر ، وهو قائم لا يدرى حقيقة ذلك الاختلاط فصادف جرحًا فى ساقه كان أصابه يوم أحد بين يدى رسول الله ﷺ فانصرف ومات من وقته رضى الله عنه ، وقتل الزبير رضى الله عنه بوادى السباع ، على أقل من يوم من البصرة ، فهكذا كان الأمر .

وكذلك كان قتل عثمان رضى الله عنه إنما حاصره المصريون ، ومن لف لفهم يريدونه على إسلام مروان إليهم ، وهو رضى الله عنه يأبى من ذلك ، ويعلم أنه إن أسلمه قتل دون تثبت فهم على ذلك ، وجماعات من الصحابة فيهم الحسن ، والحسين ، أبناء على ، وعبد الله بن الزبير ، ومحمد ابن طلحة ، وأبو هريرة وعبد الله بن عمر ، فى نحو سبعمائة من الصحابة وغيرهم معه فى الدار يحمونه ، وينفلتون إلى القتال فيردعهم تثبتا إلى أن تسوروا عليه من خوخة ، فى دار ابن حزم الأنصارى جاره غيلة فقتلوه ، ولا خبر من ذلك عند أحد .

لعن الله من قتله ، والراضين بقتله ، فما رضى أحد منهم قط بقتله ، ولا علموا أنه يراد قتله ، لأنه لم يأت منه شىء يبيح الدم الحرام ، وأما قول : من قال إنه رضى الله عنه أقام مطروحًا على مزبلة ثلاثة أيام فكذب بحت ، وإفك موضوع ، وتوليد من لا حياء فى وجهه ، بل قتل عشية ودفن من ليلته رضى الله عنه .

شهد دفنه طائفة من الصحابة وهم جبير بن مطعم[٣٤] وأبو الجهم بن حذيفة[٣٥] وعبد الله ابن الزبير ومكرم بن سياد وجماعة غيرهم ، هذا ما لا يتمارى فيه أحد ممن له علم بالأخبار ، ولقد

(٢٨) سقط من (أ) ما بين القوسين .
(٢٩) فى (أ) : الاراغه بالعين المعجمه وهو تحريف إذ أنها من أراعه .
(٣٠) فى (أ) : (فبينوا) بالنون وهو تحريف .
(٣١) فى (أ) : (بدأ بها) وهو تحريف .
(٣٢) سقط من (أ) (لعنهم الله) .
(٣٣) فى (أ) : شن .
(٣٤) جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف القرشى . أبو عدى : صحابى كان من علماء قريش وساداتهم توفى بالمدينة . وعده الجاحظ من كبار النسابين له ٦٠ حديثًا وكانت وفاته عام ٥٩ هـ . الاصابة ١ : ٢٣٥
(٣٥) وما رواه ابن سعد فى كتابه الطبقات الكبرى يقرر أن أبا جهم بن حذيفة هذا قد أسلم يوم فتح مكة ، ومات بعد قتل عمر ابن الخطاب ، ومفهوم هذا القول أنه لم يشهد مقتل عثمان رضى الله عنه . (راجع الطبقات الكبرى : ٥ ص ٣٣٣ ط دار الشعب) بالقاهرة .

أمر رسول الله ﷺ برمى أجساد قتلى الكفار من قريش يوم بدر فى القليب ، وألقى التراب عليهم وهم شر خلق الله تعالى ، وأمر عليه السلام أن يحفر أخاديد لقتلى يهود قريظة ، وهم شر من وارته الأرض ، فمواراة المؤمن والكافر فرض على المسلمين ، فكيف يجوز لذى حياء فى وجهه أن ينسب إلى على وهو الامام ومن بالمدينة من الصحابة أنهم تركوا رجلا ميتا ملقى بين أظهرهم على مزبلة ثلاثة أيام(٣٦) لا يوارونه ..؟ ولا يبالى مؤمنا كان أو كافرا أو فاسقًا(٣٧) ولكن الله يأبى إلا أن يفضح الكذابين بألسنتهم ، ولو فعل هذا على لكانت جرحة فيه(٣٨) لأنه لا يخلو أن يكون عثمان كافرًا ، أو فاسقًا ، أو مؤمنا ، فإن كان كافرًا أو فاسقا عنده ، فقد كان فرضا على على أن يفسخ أحكامه فى المسلمين ، فإذ لم يفعل فقد صح أنه كان مؤمنا عنده ، فكيف يجوز أن ينسب ذو حياء إلى على أنه ترك مؤمنًا مطروحًا ميتا على مزبلة لا يأمر بمواراته ؟ أم كيف يجوز أن يظن به أنه أنفذ أحكام كافر أو فاسق على أهل الإسلام ؟ ما أحد أسوأ ثناء على على من هؤلاء الكذبة الفجرة .

قال أبو محمد : ومن البرهان على صحة ما قلناه إن من الجهل الفاضح أن يظن ظان أن عليا رضى الله عنه بلغ من التناقض فى أحكامه واتباع الهوى فى دينه والجهل أن يترك سعد بن أبى وقاص وعبد الله بن عمر ، وأسامة بن زيد ، وزيد بن ثابت ، وحسان بن ثابت ، ورافع بن خديج ، ومحمد بن مسلمة ، وكعب بن مالك وسائر الصحابة الذين لم يبايعوه فلا يَجْبُرهم عليها وهم معه فى المدينة وغيرها ، نعم والخوارج وهم يصيحون فى نواحى المسجد بأعلا أصواتهم بحضرته ، وهو على المنبر فى مسجد الكوفة ، لا حكم إلا الله ، لا حكم إلا الله ، فيقول لهم رضى الله عنه : لكم علينا ثلاث لا نمنعكم المساجد ، ولا نمنعكم حقكم من الفيء ، ولا نبدءوكم بقتال ولم يبدء هم بحرب حتى قتلوا عبد الله بن خباب ثم لم يقاتلهم بعد ذلك(٣٩) حتى دعاهم إلى أن يسلموا إليه قتلة عبد الله بن خباب فلما قالوا كلنا قتله ، قاتلهم حينئذ ثم يظن به مع هذا كله أنه يقاتل أهل الجمل لامتناعهم من بيعته ، هذا إفك ظاهر ، وجنون مختلف وكذب بحت بلا شك .

قال أبو محمد : وأما أمر معاوية رضى الله عنه فبخلاف ذلك ولم يقاتله على رضى الله عنه لامتناعه من بيعته لأنه كان يسعه فى ذلك ما وسع ابن عمر وغيره لكن قاتله لامتناعه من إنفاذ أوامره فى جميع أرض الشام ، وهو الإمام الواجبة طاعته فعلى المصيب فى هذا ، ولم ينكر معاوية قط فضل على واستحقاقه الخلافة لكن اجتهادُه أداه إلى أن رأى تقديم أخذ القَوَدِ من قتلة عثمان رضى

(٣٦) فى (أ) : سقط (ثلاثة أيام) .
(٣٧) سقط من (أ) (أو فاسقًا) .
(٣٨) سقط من (أ) (فيه) .
(٣٩) فى (خ) : بزيادة « أبدًا » .

الله عنه على البيعة ، ورأى نفسه أحق بطلب دم عثمان ، والكلام فيه من ولد عثمان ، وولد الحكم ابن أبى العاص لسنة ولقوته على الطلب بذلك ، كما أمر رسول الله ﷺ عبد الرحمن بن سهل أخا عبد الله بن سهل المقتول بخيبر بالسكوت ، وهو أخو المقتول وقال له : كبر كبر(٤٠)، وروى الكِبرَ الكِبر ، فسكت عبد الرحمن وتكلم محيصه وحويصة إبنى مسعود ، وهما ابنا عم المقتول لأنهما كانا أسن من أخيه ، فلم يطلب معاوية من ذلك إلا ما كان له من الحق أن يطلبه ، وأضاف(٤١) فى ذلك الأثر الذى ذكرنا وإنما أخطأ فى تقديمه ذلك على البيعة فقط ، فله أجر الاجتهاد فى ذلك ولا إثم عليه فما حرم من الإصابة كسائر المخطئين فى اجتهادهم الذين أخبر رسول الله ﷺ أن لهم أجرا واحدا وللمصيب أجرين . ولا عجب أعجب ممن يجيز الاجتهاد فى الدماء وفى الفروج ، والأبشار(٤٢)، والأموال ، والشرائع التى يدان الله بها من تحريم وتحليل ، وإيجاب ويَعْذِر المخطئين فى ذلك ويرى ذلك مباحا لليث(٤٣) وأبى حنيفة ، والثورى ، ومالك والشافعى ، وأحمد وداود واسحاق وأبى ثور وغيرهم كزفر وأبى يوسف ، ومحمد وابن الحسن ، والحسن بن زياد ، وابن القاسم واشهب ، وابن الماجشون ، والمزنى وغيرهم فواحد من هؤلاء يبيح دم هذا الإنسان ، وآخر منهم يحرمه كمن حارب ولم يقتل ، أو عمل عمل قوم لوط وغير هذا كثير ، وواحد منهم يبيح هذا الفرج وآخر منهم يحرمه كبكر أنكحها أبوها وهى بالغة عاقلة بغير إذنها ولا رضاها ، وغير هذا كثير ، وكذلك فى الشرائع والأموال والأبشار ، وهكذا فعلت المعتزلة بشيوخهم كواصل وعمرو وسائر شيوخهم وفقهائهم ، وهكذا فعلت الخوارج بفقهائهم ومفتيهم ثم يضيقون ذلك على من له الصحبة والفضل ، والعلم والتقدم والاجتهاد كمعاوية وعمرو ومن معهما من الصحابة رضى الله عنهم ، وإنما اجتهدوا فى مسائل دماء كالتى اجتهد فيها المفتون ، وفى المفتين من يرى قتل الساحر وفيهم(٤٤) من لا يراه ، وفيهم من يرى قتل الحر بالعبد ، وفيهم من لا يراه وفيهم من يرى قتل المؤمن بالكافر ، وفيهم من لا يراه .

فأى فرق بين هذه الاجتهادات واجتهاد معاوية وعمرو وغيرهما ، لولا الجهل والعمى والتخليط بغير علم .

وقد علمنا أن من لزمه حق واجب وامتنع من أدائه وقاتل دونه فإنه يجب على الإمام أن يقاتله ، وإن كان متأولًا(٤٥) وليس ذلك بموثر فى عدالته وفضله ، ولا بموجب له فسقا بل هو

---

(٤٠) كبر كبر : أى اترك الأمر لمن هو اكبر منك سنًا .
(٤١) فى (أ) : واضاف عن ذلك .
(٤٢) فى (أ) : الأنساب .
(٤٣) الأوامر والأنساب من (أ) .
(٤٤) فى (خ) : (ومنهم) .
(٤٥) فى (أ) : متا وهو تحريف .

مأجور لاجتهاده ونيته فى طلب الخير ، فبهذا قطعنا على صواب على رضى الله عنه وصحة امامته ، وأنه صاحب الحق وأن له أجرين أجر الاجتهاد وأجر الإصابة ، وقطعنا أن معاوية رضى الله عنه ومن معه مخطئون مأجورون أجرا واحدا . وأيضا فالحديث الشريف الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه أخبر عن مارقة تمرق بين طائفتين من أمته يقتلها أولى الطائفتين بالحق ، فمرقت تلك المارقة وهم الخوارج ، بين أصحاب على وأصحاب معاوية فقتلهم على وأصحابه فصح أنهم أولى الطائفتين بالحق ، وأيضا الخبر الصحيح عن رسول الله ﷺ : تقتل عمارا الفئة الباغية .

قال أبو محمد : المجتهد المخطىء إذا قاتل على ما يرى أنه الحق قاصدا إلى الله تعالى بنيته غير عالم بأنه مخطىء فهو فئة باغية ، وإن كان مأجورا ولا حد عليه إذا ترك القتال ولا قود ، وأما إذا قاتل وهو يدرى أنه مخطىء فهذا محارب تلزمه حدود[٤٦] المحاربة والقود ، وهذا يفسق ويخرج لا المجتهد المخطىء ، وبيان ذلك قول الله تعالى : وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله – إلى قوله : إنما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم[٤٧]» .

فهذا نص قولنا دون تكلف تأويل ولا زوال عن موجب ظاهر الآية ، وقد سماهم الله عز وجل مؤمنين باغين بعضهم إخوة بعض فى حين تقاتلهم ، وأهل العدل المبغى عليهم والمأمورين بالإصلاح بينهم ، وبينهم ، ولم يصفهم الله عز وجل بفسق من أجل ذلك التقاتل ولا بنقص إيمان ، وإنما هم مخطئون فقط باغون ولا يريد واحد منهم قتل الآخر ، وعمار رضى الله عنه قتله أبو العادية يسار ابن سبع السلمى[٤٨]، شهد بيعة الرضوان ، فهو من شهداء الله له بأنه علم ما فى قلبه ، وأنزل السكينة عليه ورضى عنه ، فأبو العادية رضى الله عنه متأول مجتهد مخطىء فيه باغ عليه مأجور أجرا واحدا ، وليس هذا كقتلة عثمان رضى الله عنه لأنهم لا مجال للاجتهاد فى قتله لأنه لم يقتل أحدا و لا حارب ولا قاتل ولا دافع ولا زنا بعد احصان ولا ارتد فيسوغ لمحاربه[٤٩] تأويل ، بل هم فساق محاربون سافكون دما حراما عمدا بلا تأويل على سبيل الظلم والعدوان فهم فساق ملعونون .

قال أبو محمد : فإذ قد بطل هذا الأمر وصح أن عليا هو صاحب الحق ، فالأحاديث التى فيها التزام البيوت وترك القتال إنما هى بلا شك فيمن لم يلح له يقين الحق أين هو ، وهكذا نقول

---

(٤٦) سقط من (أ) كلمة (حدود) .

(٤٧) سورة الحجرات آية رقم ١٠

(٤٨) يسار بن سبع ، أبو غاديه الجهنى ويقال المزنى قال العقيلى وهو أصح قال أبو عمر : وهو مشهور بكنيته واختلف فى اسمه واسم أبيه قيل اسمه مسلم وقيل اسمه يسار بن سبع وقيل : يسار بن أزهير يقال إنه قاتل عمار سكن واسط وكان يفرط فى حب عثمان . الاستيعاب حـ ٤ ص ١٥٨٢ .

(٤٩) فى (أ) فيسوغ المحاربة تأويل .

فإذا تبين الحق فقتال الفئة الباغية فرض بنص القرآن ، وكذلك إن كانتا معا باغيتين . فقتالهما واجب لأن كلام الله عز وجل لا يعارض كلام نبيه ﷺ لأنه كله من عند الله عز وجل . قال الله عز وجل : « وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى[٥٠] » .

وقال عز وجل : « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا[٥١] » فصح يقينا أن كل ما قاله رسول الله ﷺ فهو وحى من عند الله عز وجل ، وإذ هو كذلك فليس شىء مما عند الله تعالى مختلفا والحمد لله رب العالمين .

قال أبو محمد : فلم يبق إلا الكلام على الوجوه التى اعترض بها من رأى قتال على رضى الله عنه .

قال أبو محمد : فنقول وبالله تعالى التوفيق .

أما قولهم إن أخذ القود واجب من قتلة عثمان رضى الله عنه والمحاربين لله تعالى ولرسوله ﷺ الساعين فى الأرض بالفساد ، والهاتكين حرمة الإسلام ، والحرم والإمامة والهجرة ، والخلافة والصحبة والسابقة فنعم .

وما خالفهم قط على فى ذلك ولا فى البراءة منهم ، ولكنهم كانوا عددا ضخما جمًا لا طاقة له عليهم ، فقد سقط عن على رضى الله عنه ما لا يستطيع عليه ، كما سقط عنه وعن كل مسلم ما عجز عنه من قيام بالصلاة والصوم والحج ولا فرق ، قال الله تعالى : « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها[٥٢] » وقال رسول الله ﷺ : « إذا أمرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم » . ولو أن معاوية بايع عليا لقوى به على أخذ الحق من قتلة عثمان ، فصح أن الاختلاف هو الذى أضعف يد على عن انفاذ الحق عليهم ، ولولا ذلك لأنفذ الحق عليهم كما أنفذوه على قتلة عبد الله بن خباب إذ قدر على مطالبة قتلته .

وأما تأسى معاوية فى امتناعه من بيعة على بتأخر على عن بيعة أبى بكر فليس فى الخطأ أسوة ، وعلى قد استقال ورجع وبايع بعد يسير فلو فعل معاوية مثل ذلك لأصاب ولبايع حينئذ بلا شك كل من امتنع من الصحابة من البيعة من أجل الفرقة ، وأما تقارب ما بين على وطلحة والزبير وسعد فنعم ، ولكن من سبقت بيعته وهو من أهل الاستحقاق للخلافة فهو الإمام الواجبة طاعته فيما أمر به من طاعة الله عز وجل ، سواء كان هنالك من هو مثله أو أفضل منه أو لم

---

(٥٠) سورة النجم آية رقم ٣ ، ٤
(٥١) سورة النساء آية رقم ٨٢
(٥٢) سورة البقرة آية رقم ٢٨٦

يكن[٥٣] كما سبقت بيعة عثمان قبله[٥٤] فوجبت طاعته وإمامته على على[٥٥] وغيره .

ولو بويع هنالك حينئذ وقت الشورى على أو طلحة أو الزبير ، أو عبد الرحمن أو سعد لكان الإمام ، ولزمت عثمان طاعته ، وكذلك إذ قتل عثمان رضى الله عنه ، فلو بدر طلحة أو الزبير أو سعد أو ابن عمر فبويع لكان هو الإمام ولوجبت طاعته على على ، فصح أن عليا هو صاحب الحق والإمام المفترضة طاعته وغيره ، كما اذ بدر على وجبت طاعته ولا فرق ومعاوية مخطىء مأجور مجتهد وقد يخفى الصواب على الصاحب العالم فيما هو أبين وأوضح من هذا الأمر من أحكام الدين فربما رجع إذا استبان له ، وربما لم يستبن له حتى يموت عليه ، وماتوفيقنا إلا بالله عز وجل وهو المسئول العصمة والهداية لا إله إلا هو .

قال أبو محمد : فطلب على حقه فقاتل عليه وقد كان له[٥٦] تركه ليجمع كلمة المسلمين كما فعل الحسن ابنه رضى الله عنهما فكان له بذلك فضل عظيم قد تقدم به إنذار رسول الله ﷺ إذ قال : « ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين طائفتين عظيمتين من أمتى[٥٧] » .

فغبطه رسول الله ﷺ بذلك .

ومن ترك حقه رغبة فى حقن دماء المسلمين فقد أتى من الفضل بما لا وراء بعده[٥٨] ومن قاتل عليه ولو أنه فلس فحقه طلب ، ولا لوم عليه ، بل هو مصيب فى ذلك ، وبالله تعالى التوفيق .

---

(٥٣) سقطط من (أ) أو لم يكن .
(٥٤) سقط من (أ) قبله .
(٥٥) سقط من (أ) علىٌ .
(٥٦) سقط من (أ) له .
(٥٧) راجع تخريج هذا الحديث ص ١٧٣ من هذا الجزء .
(٥٨) فى (أ) : فيما لا وراء بعده .

فهـرس الآيـات القرآنيـة

رقم مسلسل	الآيــــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
٦٧	فغرفنا له ذلك .	ص	٢٥	٤٠
٦٨	ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدًا ثم أناب .	ص	٣٤	٤١
٦٩	إن هى إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء .	الأعراف	١٥٥	٤١
٧٠	آلم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين .	العنكبوت	١ ، ٢ ، ٣	٤١
٧١	إنى احببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب ردوها علىَّ فطفق مسحًا بالسوق والأعناق .	ص	٢٢ ، ٢٣	٤٢
٧٢	واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين .	الأعراف	١٧٥	٤٣
٧٣	لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم .	الأنفال	٦٨	٤٥
٧٤	عبس وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى ، أما من استغنى فأنت له تصدى وما عليك ألا يزكى ، وأما من جاءك يسعى ، وهو يخشى فأنت عنه تلهى .	عبس	١ – ١٠	٤٥
٧٥	وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا إذا تمنى ألقى الشيطان فى امنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته .	الحج	٥٢	٤٥
٧٦	ولا تقولن لشىء إنى فاعل ذلك غدًا إلا أن يشاء الله .	الكهف	٢٣ – ٢٤	٤٥
٧٧	وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه .	الأحزاب	٣٧	٤٥
٧٨	ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر .	الفتح	٢	٤٦
٧٩	لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم .			٤٧
٨٠	يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم .	الانفال	١	٤٧
٨١	يجادلونك فى الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون .	الأنفال	٦	٤٧
٨٢	تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة .	الأنفال	٦٧	٤٧
٨٣	وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان .	الحج	٥٢	٤٨
٨٤	ولا تقولن لشىء إنى فاعل ذلك غدًا إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت .	الكهف	٢٣ – ٢٤	٤٨

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
١٠٧	لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم .	يس	٦	٥٨
١٠٨	إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا .	الأحزاب	٥٧	٥٨
١٠٩	ما ننزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذًا منظرين .	الحجر	٨	٦١
١١٠	ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا .	الأنعام	٩	٦٢
١١١	ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون .	الأنعام	٨	٦٢
١١٢	وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا ، لقد استكبروا فى أنفسهم وعتوا عتوًا كبيرا يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين .	الفرقان	٢١ ، ٢٢	٦٢
١١٣	وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم ، وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإنى جار لكم – إلى قوله .. إنى أخاف الله والله شديد العقاب .	الأنفال	٤٨	٦٣
١١٤	كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إنى برىء منك إنى أخاف الله رب العالمين .	الحشر	١٦	٦٣
١١٥	إن هى الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء .	الأعراف	١٥٥	٦٤
١١٦	آلم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون .	العنكبوت	١	٦٤
١١٧	ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل .	البقرة	١٠٢	٦٤
١١٨	إلا ابليس كان من الجن .	الكهف	٥٠	٦٤
١١٩	افتتخذونه وذريته أولياء من دونى .	الكهف	٥٠	٦٤
١٢٠	إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم .	الأعراف	٢٧	٦٤
١٢١	أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك .	البقرة	٣٠	٦٤
١٢٢	فلا تزكوا أنفسكم .	النجم	٣٢	٦٥
١٢٣	اجعلنى على خزائن الأرض إنى حفيظ عليم .	يوسف	٥٥	٦٥
١٢٤	إنى أعلم ما لا تعلمون .	البقرة	٣٠	٦٥
١٢٥	إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون .	الزخرف	٢٤	٦٧
١٢٦	قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم .	الزخرف	٣٤	٦٧
١٢٧	أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون .	البقرة	١٧٠	٦٧
١٢٨	وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا .	الأحزاب	٦٧	٦٨
١٢٩	قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين .	البقرة	١١١	٦٨
١٣٠	اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء .	الأعراف	٣	٦٩
١٣١	قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين .	البقرة	١١١	٦٩

رقم مسلسل	الآيــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
١٥٠	إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء .	النساء	٤٨	٨٣
١٥١	يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء .	آل عمران	١٢٩	٨٣
١٥٢	يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا .	الكهف	٤٩	٨٤
١٥٣	ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل .	الأنبياء	٤٧	٨٤
١٥٤	فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره .	الزلزلة	٧ ، ٨	٨٤
١٥٥	وما كان الله ليضيع إيمانكم .	البقرة	١٤٣	٨٤
١٥٦	فإذا هم جميع لدينا محضرون فاليوم لا تظلم نفس شيئا .	يس	٥٣ ، ٥٤	٨٤
١٥٧	ليجزى الله كل نفس ما كسبت إن الله سريع الحساب .	إبراهيم	٥١	٨٤
١٥٨	ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون .	البقرة	٢٨١	٨٤
١٥٩	لتجزى كل نفس بما تسعى .	طه	١٥	٨٥
١٦٠	وأن ليس للإنسان إلا ما سعى إلى قوله – الجزاء الأوفى .	النجم	٣٩ : ٤١	٨٥
١٦١	وأن للذين ظلموا عذابا دون ذلك .	الطور	٤٧	٨٥
١٦٢	ليجزى الذين أساءوا بما عملوا .	النجم	٣١	٨٥
١٦٣	هنالك تبلوا كل نفس ما أسلفت .	يونس	٣٠	٨٥
١٦٤	وإن كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم .	هود	١١١	٨٥
١٦٥	وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله .	المزمل	٢٠	٨٥
١٦٦	ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوء يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا .	النساء	١٢٣	٨٥
١٦٧	وما يفعلوا من خير فلن يكفروه .	آل عمران	١١٥	٨٥
١٦٨	إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما .	النساء	٤٠	٨٥
١٦٩	إنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى .	آل عمران	١٩٥	٨٥
١٧٠	وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد إلى قوله قال قرينه ربنا ما أطغيته .	ق	٢١	٨٥
١٧١	ولكن كان فى ضلال بعيد . إلى قوله تعالى .. وما أنا بظلام للعبيد .	ق	٢٢ – ٢٩	٨٥
١٧٢	فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية ، وأما من خفت موازينه إلى آخر السورة .	القارعة	٦ – ١١	٨٦
١٧٣	إنّ الحسنات يذهبن السيئات .	هود	١١٤	٨٦
١٧٤	ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم .	البقرة	٢١٧	٨٦

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
١٧٥	من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها .	الأنعام	١٦٠	٨٦
١٧٦	اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم .	غافر	١٧	٨٦
١٧٧	إنّ الحسنات يذهبن السيئات .	هود	١١٤	٨٦
١٧٨	ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها .	الأنعام	١٦٠	٨٧
١٧٩	ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون .	البقرة	٦٢	٨٧
١٨٠	ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم فى النار .	النمل	٩٠	٨٧
١٨١	إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم .	النساء	٣١	٨٧
١٨٢	وجزاء سيئة سيئة مثلها .	الشورى	٤٠	٨٧
١٨٣	ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره .	الزلزلة	٨	٨٧
١٨٤	لا يصلاها إلا الأشقى الذى كذب وتولى .	الليل	١٥	٨٧
١٨٥	ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا .	مريم	٧١	٨٨
١٨٦	وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين .	آل عمران	١٤١	٨٨
١٨٧	ومن يولهم يومئذ دبره .	الأنفال	١٦	٨٨
١٨٨	إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء .	النساء	٤٨	٨٩
١٨٩	يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله – إن الله يغفر الذنوب جميعا .	الزمر	٥٣	٨٩
١٩٠	بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء .	المائدة	١٨	٨٩
١٩١	يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى النفس ولا أعلم ما فى نفسك .	المائدة	١١٦	٨٩
١٩٢	قال عذابى أصيب به من أشاء ورحمتى وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة .	الأعراف	١٥٦	٨٩
١٩٣	فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية ، وأما من خفت موازينه فأمه هاوية .	القارعة	٦ ، ٧	٩٠
١٩٤	هل تجزون إلا ما كنتم تعلمون .	النمل	٩٠	٩٠
١٩٥	اليوم تجزى كل نفس ما كسبت .	غافر	١٧	٩٠
١٩٦	الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم .	النجم	٣٢	٩٠
١٩٧	ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون .	آل عمران	١٣٥	٩١
١٩٨	ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء .	النساء	٤٨	٩١
١٩٩	ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما .	النساء	٣١	٩١

رقم مسلسل	الآيــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
٢٠٠	فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية .	القارعة	٦ ، ٧	٩٢
٢٠١	ان الحسنات يذهبن السيئات .	هود	١١٤	٩٢
٢٠٢	وأما من خفت موازينه فأمه هاوية .	القارعة	٦	٩٣
٢٠٣	لا تختصموا لدى وقد قدمت اليكم بالوعيد ما يبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد .	ق	٢٨	٩٣
٢٠٤	وإنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص .	هود	١٠٩	٩٣
٢٠٥	ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت أعمالهم .	البقرة	٢١٧	٩٤
٢٠٦	أدخلوا آل فرعون أشد العذاب .	غافر	٤٦	٩٤
٢٠٧	إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار .	النساء	١٤٥	٩٤
٢٠٨	ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر .	السجدة	٢١	٩٤
٢٠٩	ما سكلكم فى سقر قالوا لم نك من المصلين ، ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين .	المدثر	٤٠ – ٤٧	٩٤
٢١٠	هل تجزون إلا ما كنتم تعملون .	النمل	٩٠	٩٥
٢١١	لئن أشركت ليحبطن عملك .	الزمر	٦٥	٩٥
٢١٢	ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم .	البقرة	٢١٧	٩٦
٢١٣	قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف .	الأنفال	٣٨	٩٦
٢١٤	وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى .	النجم	٤	٩٧
٢١٥	ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا .	النساء	٨٣	٩٧
٢١٦	لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى .	آل عمران	١٥٣	٩٨
٢١٧	من يعمل سوءا يجز به .	النساء	١٢٣	٩٨
٢١٨	وما كان الله ليضيع إيمانكم .	البقرة	١٤٣	٩٨
٢١٩	وما تفعلوا من خير فلن تكفروه .	آل عمران	١١٥	٩٨
٢٢٠	يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها .	المائدة	١٣٧	٩٨
٢٢١	إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما .	النساء	٣١	٩٨
٢٢٢	ولا يرضى لعباده الكفر ، وإن تشكروا يرضه لكم .	الزمر	٧	١٠٢
٢٢٣	ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم .	البقرة	٢١٧	١٠٣
٢٢٤	يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب .	الرعد	٣٩	١٠٣
٢٢٥	فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات .	الفرقان	٧٠	١٠٣

رقم مسلسل	الآيــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
٢٥٢	قل إنى لا أملك لكم ضرا ولا رشدا .	الجن	٣١	١١٣
٢٥٣	يوم لا تملك نفس لنفس شيئا .	الانفطار	١٩	١١٣
٢٥٤	ولا يشفعون إلا لمن ارتضى .	الأنبياء	٢٨	١١٣
٢٥٥	وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم .	النور	١٥	١١٤
٢٥٦	وكفى بنا حاسبين .	الأنبياء	٤٧	١١٤
٢٥٧	والوزن يومئذ الحق .	الأعراف	٨	١١٤
٢٥٨	فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية وأما من خفت موازينه فأمه هاوية .	القارعة	٦ — ٩	١١٤
٢٥٩	فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا .	الكهف	١٠٥	١١٤
٢٦٠	ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون .	المؤمنون	١٠٣	١١٤
٢٦١	وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا .	مريم	٧١	١١٦
٢٦٢	وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين .	الانفطار	١١	١١٦
٢٦٣	إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون .	الجاثية	٢٩	١١٦
٢٦٤	وكل إنسان ألزمناه طائرة فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك .	الاكراء	١٣	١١٦
٢٦٥	إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد .	ق	١٧	١١٦
٢٦٦	ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين .	غافر	١١	١١٧
٢٦٧	كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم .	البقرة	٢٨	١١٧
٢٦٨	ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا أنفسكم اليوم .	الأنعام	٩٣	١١٧
٢٦٩	إنما توفون أجوركم يوم القيامة .	آل عمران	١٨٥	١١٨
٢٧٠	النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب .	غافر	٤٦	١١٨
٢٧١	الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم .	البقرة	٢٤٢	١١٨
٢٧٢	منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى .	طه	٥٥	١١٨
٢٧٣	أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال أنى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه .	البقرة	٢٥٩	١١٨
٢٧٤	الله يتوفى الأنفس حين موتها .	الزمر	٤٢	١١٨

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
٢٧٥	ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين .	غافر	١١	١١٩
٢٧٦	وكنتم أمواتا فأحياكم ، ثم يميتكم ثم يحييكم .	البقرة	٢٨	١١٩
٢٧٧	هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم .	النجم	٣٢	١٢٢
٢٧٨	ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم .	الكهف	٥١	١٢٢
٢٧٩	وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ، قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين .	الأعراف	١٧٢	١٢٢
٢٨٠	ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا .	الأعراف	١١	١٢٣
٢٨١	ألم يك نطفة من منى يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى .	القيامة	٣٧	١٢٣
٢٨٢	ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفه فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما .	المؤمنون	١٣	١٢٣
٢٨٣	وأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة ، وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون اولئك المقربون فى جنات النعيم .	الواقعة	٩	١٢٤
٢٨٤	فأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين ، وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصليه جحيم إن هذا لهو حق اليقين .	الواقعة	٩٣	١٢٤
٢٨٥	وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم .	الأعراف	١٧٢	١٢٤
٢٨٦	ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء .	البقرة	١٥٤	١٢٥
٢٨٧	عند ربهم يرزقون .	آل عمران	١٦٩	١٢٥
٢٨٨	رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا .	نوح	٢٧	١٢٧
٢٨٩	انه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن .	هود	٣٦	١٢٨
٢٩٠	رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا .	نوح	٢٦	١٢٨
٢٩١	وإذا المؤودة سئلت بأى ذنب قتلت .	التكوير	٨	١٢٩
٢٩٢	لا يسئل عما يفعل .	الأنبياء	٢٣	١٣١
٢٩٣	وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم .	الأحقاف	٩	١٣٢
٢٩٤	إن اتبع إلا ما يوحى إلى .	الأنعام	٥٠	١٣٢
٢٩٥	اليوم تجزى كل نفس بما كسبت .	غافر	١٧	١٣٣

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
٢٩٦	هل تجزون إلا ما كنتم تعملون .	النمل	٩٠	١٣٣
٢٩٧	ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تذر وازرة وزر أخرى .	الأنعام	١٦٤	١٣٣
٢٩٨	فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم .	الروم	٢٠	١٣٣
٢٩٩	صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون .	البقرة	١٣٦ – ١٣٨	١٣٣
٣٠٠	وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ، ألست بربكم ، قالوا .. بلى .	الأعراف	١٧٢	١٣٤
٣٠١	إنّ عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين .	الحجر	٤٢	١٣٥
٣٠٢	فأنذرتكم نارا تلظى لا يصلاها إلا الأشقى الذى كذب وتولى .	الليل	١٥	١٣٥
٣٠٣	من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم .	يس	٧٨	١٣٧
٣٠٤	وأن الله يبعث من فى القبور .	الحج	٧	١٣٧
٣٠٥	رب أرنى كيف تحيى الموتى قال بلى ولكن ليطمئن قلبى .	البقرة	٢٦٠	١٣٧
٣٠٦	ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم .	البقرة	٢٤٣	١٣٧
٣٠٧	فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبث يوما أو بعض يوم ، قال : بل لبثت مائة عام إلى قوله : وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما .	البقرة	٢٥٩	١٣٧
٣٠٨	وأحيى الموتى باذن الله .	آل عمران	٤٩	١٣٨
٣٠٩	ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون .	المؤمنون	١٦	١٣٨
٣١٠	يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا .	يس	٥٢	١٣٩
٣١١	وجنة عرضها السموات والأرض .	آل عمران	١٣٣	١٣٩
٣١٢	فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين .	المؤمنون	١٣ ، ١٤	١٣٩
٣١٣	كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب .	النساء	٥٦	١٤٠
٣١٤	رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة .	التحريم	١١	١٤١
٣١٥	عند سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى .	النجم	١٤	١٤١
٣١٦	فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون .	السجدة	١٩	١٤٢
٣١٧	لا تسمع فيها لاغية .	الفاشية	٢١	١٤٣

رقم مسلسل	الآيــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
٣٤٢	قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون فإن تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا وإن توليتم من قبل يعذبكم عذابا أليما .	الفتح	١٦	١٧٩
٣٤٣	إنّ الظن لا يغنى عن الحق شيئا .	يونس	٣٦	١٧٩
٣٤٤	وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعانوا على الإثم والعدوان .	المائدة	٢	١٨٠
٣٤٥	كنتم خير أمة أخرجت للناس .	آل عمران	١١٠	١٨٣
٣٤٦	وأنى فضلتكم على العالمين .	البقرة	٤٧	١٨٣
٣٤٧	لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل اولئك أعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى .	الحديد	١٠	١٨٥
٣٤٨	لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل .	الحديد	١٠	١٨٦
٣٤٩	لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم اولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه .	المجادلة	٢٢	١٨٨
٣٥٠	قد كانت لكم أسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده .	الممتحنة	٤	١٨٩
٣٥١	وما كان استغفار ابراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن ابراهيم لأواه حليم .	التوبة	١١٤	١٨٩
٣٥٢	النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم .	الأحزاب	٦	١٨٩
٣٥٣	وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى .	النجم	٣ ، ٤	١٩١
٣٥٤	جزاءً بما كانوا يعملون .	الاحقاف	١٤	١٩١
٣٥٥	وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما .	الفتح	٢٩	١٩٢
٣٥٦	ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين .	الأحزاب	٣١	١٩٢
٣٥٧	وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون .	الزخرف	٧٢	١٩٢
٣٥٨	غرف من فوقها غرف مبنية .	الزمر	٢٠	١٩٢
٣٥٩	وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى .	النجم	٤١	١٩٢
٣٦٠	يختص برحمته من يشاء .	البقرة	١٠٥	١٩٣
٣٦١	ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .	الحديد	٢١	١٩٣

رقم مسلسل	الآيــــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
٣٨٤	فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا .	الكهف	٣٤	٢٢٠
٣٨٥	وإلى مدين أخاهم شعيبا .	الأعراف	٨٥	٢٢٠
٣٨٦	سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون .	القصص	٣٥	٢٢١
٣٨٧	لا تخف إنك أنت الأعلى .	طه	٦٦	٢٢١
٣٨٨	ومن كفر فلا يحزنك كفره .	لقمان	٢٣	٢٢١
٣٨٩	ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون .	النحل	١٢٧	٢٢١
٣٩٠	فلا يحزنك قولهم . إن العزة لله جميعا .	يونس	٦٥	٢٢١
٣٩١	فلا تذهب نفسك عليهم حسرات .	فاطر	٨	٢٢١
٣٩٢	فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا .	الكهف	٦	٢٢١
٣٩٣	قد نعلم إنه ليحزنك الذى يقولون .	الأنعام	٣٣	٢٢٢
٣٩٤	ولا تطع منهم آثما أو كفروا .	الإنسان	٢٤	٢٢٢
٣٩٥	ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا .	الإنسان	٨	٢٢٣
٣٩٦	والسابقون السابقون اولئك المقربون فى جنات النعيم .	الواقعة	١٠	٢٢٥
٣٩٧	لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم .	الفتح	١٨	٢٢٥
٣٩٨	لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل اولئك أعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى .	الحديد	١٠	٢٢٥
٣٩٩	وعد الله لا يخلف الله وعده .	الروم	٦	٢٢٥
٤٠٠	إن الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون . لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون .	الأنبياء	١٠٣	٢٢٥
٤٠١	وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاث لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم .	التوبة	١٠١	٢٢٦
٤٠٢	إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض.	آل عمران	٣٣	٢٢٨
٤٠٣	قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى .	الشورى	٢٣	٢٢٨
٤٠٤	وابعث فيهم رسولا منهم .	البقرة	١٢٩	٢٢٨
٤٠٥	خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم .	التوبة	١٠٣	٢٢٨

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
٤٠٦	وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون .	البقرة	١٥٥	٢٢٩
٤٠٧	وابعث فيهم رسولا منهم .	البقرة	١٢٩	٢٢٩
٤٠٨	وإن من أمة الا خلا فيها نذير .	فاطر	٢٤	٢٣٠
٤٠٩	وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومة ليبين لهم .	ابراهيم	٤	٢٣٠
٤١٠	تبت يدا أبى لهب وتب – إلى قوله سيصلى نارا ذات لهب .	السد	١ : ٣	٢٣١
٤١١	يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم .	الحجرات	١٣	٢٣١
٤١٢	لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم .	الممتحنة	٣	٢٣١
٤١٣	واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا .	لقمان	٣٣	٢٣١
٤١٤	أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة فى الزبر .	القمر	٤٣	٢٣١
٤١٥	ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا .	الاسراء	٣٣	٢٣٤
٤١٦	وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان .	المائدة	٢	٢٣٤
٤١٧	إن الحكم إلا لله .	الانعام	٥٧	٢٣٦
٤١٨	وما اختلفتم فيه من شىء فحكمه إلى الله .	الشورى	١٠	٢٣٦
٤١٩	فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر .	النساء	٥٩	٢٣٦
٤٢٠	لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى .	الحديد	١٠	٢٣٧
٤٢١	محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجدا – الآية .	الفتح	٢٩	٢٣٧
٤٢٢	لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا .	الفتح	١٨	٢٣٧
٤٢٣	وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله .	الحجرات	١٠	٢٤٢
٤٢٤	وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى .	النجم	٣ ، ٤	٢٤٣
٤٢٥	ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً .	النساء	٨٢	٢٤٣
٤٢٦	لا يكلف الله نفساً إلا وسعها .	البقرة	٢٨٦	٢٤٣

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس البلدان والأماكن

فهرس الفرق

فهرس الأعلام

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاى

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

حرف الكنية

فهرس الموضوعات

طبعت بدار عكاظ للطباعة والنشر ـ جدة